مَوْضُوعُ الدَّعْوَةِ

(٦)

الطَّبعَة الأولى

١٤٤٣هـ-٢٠٢٢م

ⓒ محمد عبد العزيز العواجي، ١٤٤٢هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العواجي، محمد عبد العزيز محمد
موسوعة دليل الداعية. / محمد عبد العزيز محمد العواجي. -
المدينة المنورة، ١٤٤٢هـ
١٦ مج.
ردمك: ٦-٧٥٨٠-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٨-٧٥٨٦-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (ج٦)
١ - الدعوة الإسلامية ٢- الدعاة أ- العنوان
ديوي ٢١٣ ١٤٤٢/٧١٧٩

رقم الإيداع: ١٤٤٢/٧١٧٩ ردمك: ٦-٧٥٨٠-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٨-٧٥٨٦-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (ج٦)

تم هذا المشروع برعاية

الجميح الخيرية
AL ALJOMAIH CHARITY

مكتب الدار للدراسات والاستشارات التربوية والتعليمية
ADDARR OFFICE FOR STUDIES OF EDUCATIONAL AND CONSULTING

موسوعة دليل الداعية (٦)

موضوع الدعوة

مشروع بحثي قام به مكتب
الدار للدراسات والاستشارات التعليمية والتربوية
تحت إشراف معهد البحوث والدراسات
في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

تأليف
أ. د. محمد بن عبد العزيز بن محمد العواجي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

١٤٤٣ - ٢٠٢٢

المجلد الخامس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

فريق عمل الموسوعة

المشرف العام والباحث الرئيس:

أ.د. محمد بن عبدالعزيز بن محمد العواجي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

ورئيس مجلس إدارة جمعية رعاية طلاب العلم بالمدينة المنورة

الباحث والمشرف العلمي:

د. عبدالرحمن السيد جويل

دكتوراة في الدعوة والثقافة الإسلامية

المستشار بجمعية رعاية طلاب العلم بالمدينة المنورة

والباحث في الدعوة والدراسات الإسلامية

التدقيق اللغوي:

أ. السيد مصطفى محمد جويل (رحمه الله)

مشرف التربية الإسلامية في التعليم الخاص

التحكيم العلمي:

أ.د. أحمد عبدالهادي شاهين حمودة

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية- جامعة طيبة

د. فهد بن محمد فرحان الوهبي

باحث في الدراسات الدعوية والثقافة الإسلامية

دكتوراة دعوة وثقافة إسلامية - معلم دراسات إسلامية تعليم المدينة المنورة

أعضاء فريق مكتب الدار للاستشارات:

١- د. علي بن خالد الدويش

الأستاذ المساعد بكلية القرآن والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية

٢- د. محمد بن عمر عقيلي

الأستاذ المساعد بكلية القرآن والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المُقَدِّمَة

«إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١]»[١].

وأشهد أن نبينا محمداً ﷺ بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة، تركنا على بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آل بيته وأصحابه وعلى كل من سار على هديه واستن بسنته إلى يوم الدين. وبعد:

يتعرض هذا البحث لجانب من البصيرة في الدعوة إلى الله، وهو الإجابة عن سؤال:

إلى أي شيء ندعو الناس؟

أو ما المجالات التي يخاطب الدعاة المدعوين بها؟

---

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه ويفتتح بها كلامه وخطبته، وقد رواها سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح (١٨٩٢)، سنن أبي داوود، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح (٢١٢٠)، جامع الترمذي، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح (١١٠٥)، سنن النسائي، كتاب النكاح، باب ما يستحب من الكلام عند النكاح (٣٢٧٧)، وصححه الألباني في كتابه خطبة الحاجة.

أو ما هي المادة التي سيتم طرحها لمخاطبة المدعوين؟

ويمكن تلخيصها في المجالات التالية:

أولاً: بناء تصور عام عن رسالة الإسلام؛ وأصول التلقي والاستدلال فيه.

ثانياً: عرض مقاصد الإسلام الخمس، وهي: حفظ الدين والنفس والمال والنسل والعقل.

ثالثاً: بيان خصائص الإسلام.

رابعاً: بيان تعاليم الإسلام المرتكزة في أركان الإسلام والإيمان.

خامساً: بيان محاسن الإسلام: العقدية والتعبدية، والأخلاقية، والاقتصادية، والقضائية، والاجتماعية، والسياسية، واهتمام الاسلام بالعلم.

سادساً: بيان التشريعات الحقوقية في الإسلام، من خلال عرض حقوق الإنسان في الإسلام إجمالا ثم حقوق أصناف مخصوصة مثل: المرأة والطفل والعمال، والكبار والأسرى، وغير المسلمين، ثم بيان حقوق الحيوانات والبيئة، والحقوق الصحية.

وبهذا نكون من خلال هذا الكتاب قد بيّنا وأشرنا للدعاة إلى شمولية هذا الدين، وبيَّنا تصورا واضحا عن الإسلام الذي ندعو إليه في أذهان الدعاة إلى الله ليقوموا هم بدورهم في بناء صورة ذهنية عن الإسلام والدعوة إليه وتعليمه لغيرهم.

منهجية البحث:

المنهجية التي سلكناها في كتابة هذا الكتاب تتمثل في النقاط التالية:

- عزو الآيات المستشهد بها للسورة ورقم الآية عقب كل آية.
- الاعتماد على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ في استنباط القواعد والأحكام.

• الاعتماد على كتب التفسير بالمأثور خاصة للبحث في معاني الآيات، وعلى كتب العلماء عامة في صياغة البحث ومسائله.

• الالتزام بإيراد الأحاديث الصحيحة فقط، ولم نستشهد بحديث اتفق على ضعفه.

• الاعتماد في تصحيح الأحاديث على أقوال أهل الشأن في هذا المجال.

• اجتهدنا قدر الاستطاعة أنْ لا نذكر قاعدة ولا حكماً، ولا أمراً من أمور الدعوة إلا وندلل عليه من القرآن وما يفسره من السنة وأقوال أئمة السلف، وأفعالهم.

• الالتزام قدر المستطاع عدم ذكر الخلاف في المسائل الفقهية.

• محاولة الفهم العميق، وإمعان النظر في نصوص الكتاب والسنة.

• الاستفادة من الكتب المعاصرة نقلاً مباشراً أو الاستفادة من أفكارها وإعادة صياغتها مع مراعاة الأمانة العلمية في نسب الفكرة أو النص لأصحابه.

خطة البحث:

يشتمل الكتاب على مقدمة، وستة فصول، وخاتمة وفهارس على النحو التالي:

الفصل الأول: بناء تصور عام عن رسالة الإسلام: وفيها خمسة مباحث:

المبحث الأول: بيان أن الإسلام هو دين الله الوحيد وهو دين كل الأنبياء:

المطلب الأول: الإسلام هو دين الله الذي لا يقبل دين سواه.

المطلب الثاني: الإسلام دين كل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

المبحث الثاني: بيان الآيات الجامعة لرسالة الإسلام وأصوله وتعاليمه:

المطلب الأول: أصناف البر في سورة البقرة.

المطلب الثاني: المنهيات العشر في سورة الأنعام.

المطلب الثالث: جوامع التوجيهات الإسلامية في سورة النحل.

تمهيد: مفهوم خصائص الإسلام وأهمية بيانها.

الخاصية الأولى: الربانية.

الخاصية الثانية: العالمية.

الخاصية الثالثة: الشمولية.

الخاصية الرابعة: التكامل.

الخاصية الخامسة: الواقعية.

الخاصية السادسة: الوسطية.

الخاصية السابعة: التيسير.

الخاصية الثامنة: التدرج.

الخاصية التاسعة: السماحة.

الخاصية العاشرة: العدل.

✧ **الفصل الثالث: عرض مقاصد الإسلام؛ ويشمل خمسة مباحث:**

تمهيد: مقدمات حول مقاصد الإسلام وأهميتها:

المطلب الأول: مقدمات حول مقاصد الإسلام.

المطلب الثاني: أهمية عرض مقاصد الإسلام.

المقصد الأول: حفظ الدين.

المقصد الثاني: حفظ النفس

المقصد الثالث: حفظ النسل.

المقصد الرابع: حفظ المال.

المقصد الخامس: حفظ العقل.

- **المبحث الأول: محاسن التشريع الاعتقادي في الإسلام.**
- **المبحث الثاني: محاسن التشريع التعبدي في الإسلام.**
- **المبحث الثالث: محاسن التشريع الأخلاقي في الإسلام:**

المطلب الأول: الحث على السلوكيات الفاضلة.

المطلب الثاني: التحذير من السلوكيات السيئة.

- **المبحث الرابع: محاسن التشريع الاقتصادي في الإسلام.**
- **المبحث الخامس: محاسن التشريع القضائي في الإسلام:**

المطلب الأول: أهمية القضاء في الإسلام.

المطلب الثاني: الإسلام حدد مصدر القضاء العادل.

المطلب الثالث: دستور القضاء الإسلامي.

المطلب الرابع: واجب القاضي في الإسلام.

المطلب الخامس: نماذج من القضاء في صدر الإسلام.

- **المبحث السادس: محاسن التشريع الاجتماعي في الإسلام:**

المطلب الأول: محاسن الإسلام في الوصية ببر الوالدين.

المطلب الثاني: محاسن الإسلام في الوصية بصلة الأرحام.

المطلب الثالث: محاسن الإسلام في التشريعات الخاصة بالمجتمع.

- **المبحث السابع: محاسن تشريع العلاقات الزوجية في الإسلام.**
- **المبحث الثامن: محاسن التشريعات السياسية في الإسلام.**
- **المبحث التاسع: محاسن الإسلام في الأمر بالعلم:**

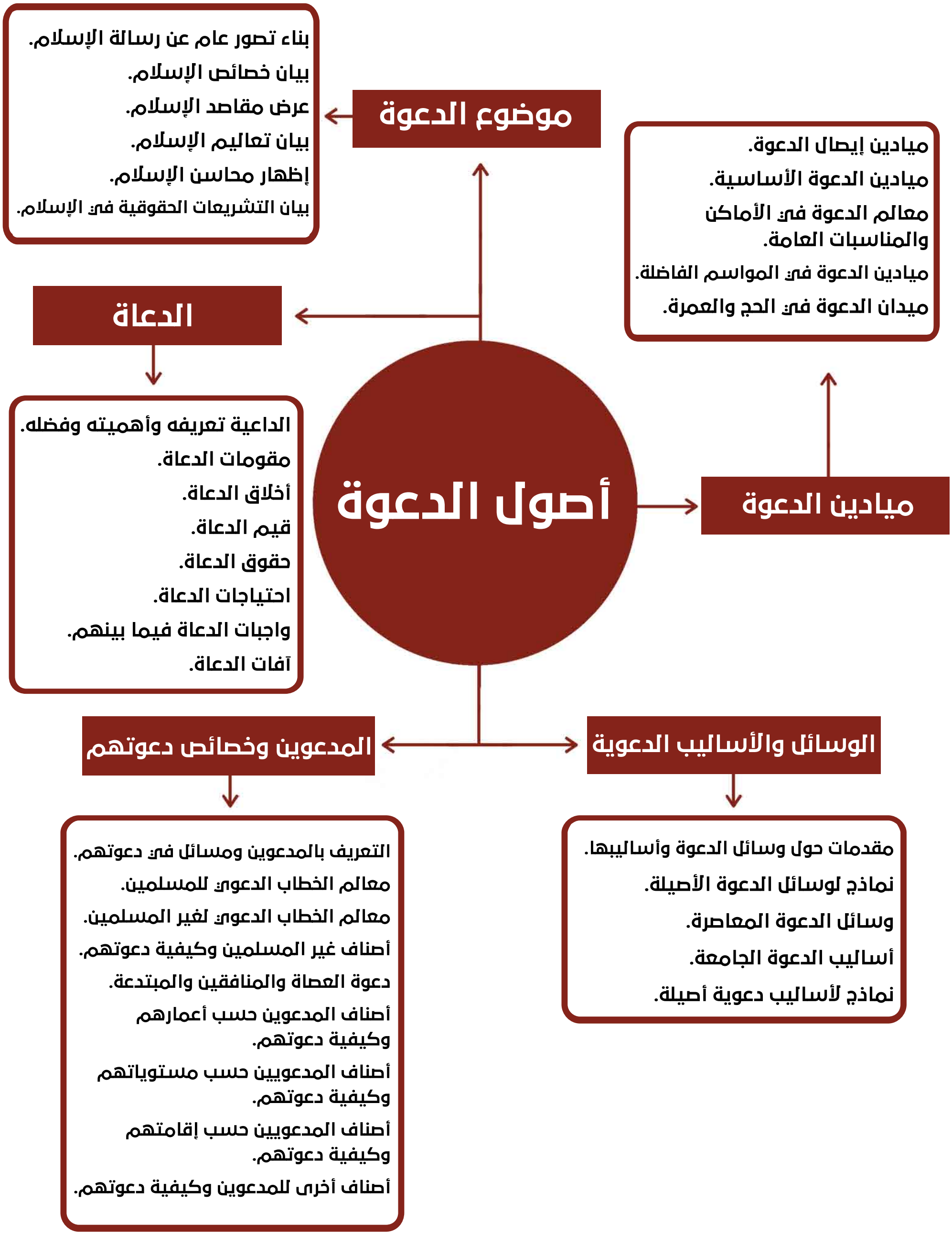
المطلب الأول: اهتمام الإسلام بالعلم.

- **المبحث السادس: حقوق الكبار في الإسلام.**
- **المبحث السابع: حقوق الحيوان في الإسلام.**
- **المبحث الثامن: حقوق البيئة في الإسلام.**
- **المبحث التاسع: الحقوق الصحية في الإسلام.**
- **المبحث العاشر: حق الحرية في الإسلام.**
- **الخاتمة.**
- **ثبت المراجع.**
- **فهرس الموضوعات.**

والله أسأل أنْ ينفع بهذا العمل وأنْ يجعله حجة لنا لا علينا وأنْ يلهمنا العلم النافع والعمل الصالح، وأنْ يجبر تقصيرنا في هذه الدراسة، وأنْ يغفر ما كان فيه من خطأ وزلل، وأنْ يبارك في الطيب منها.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين

المشرف العام على الموسوعة
أ.د. محمد بن عبدالعزيز بن محمد العواجي
الأستاذ بقسم التفسير وعلوم القرآن
كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية - الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
د. عبد الرحمن السيد جويل
دكتوراه في تخصص الدعوة - من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة


أصول الدعوة
موضوع الدعوة
بناء تصور عام عن رسالة الإسلام.
بيان خصائص الإسلام.
عرض مقاصد الإسلام.
بيان تعاليم الإسلام.
إظهار محاسن الإسلام.
بيان التشريعات الحقوقية في الإسلام.
ميادين الدعوة
ميادين إيصال الدعوة.
ميادين الدعوة الأساسية.
معالم الدعوة في الأماكن والمناسبات العامة.
ميادين الدعوة في المواسم الفاضلة.
ميدان الدعوة في الحج والعمرة.
الدعاة
الداعية تعريفه وأهميته وفضله.
مقومات الدعاة.
أخلاق الدعاة.
قيم الدعاة.
حقوق الدعاة.
احتياجات الدعاة.
واجبات الدعاة فيما بينهم.
آفات الدعاة.
المدعوين وخصائص دعوتهم
التعريف بالمدعوين ومسائل في دعوتهم.
معالم الخطاب الدعوي للمسلمين.
معالم الخطاب الدعوي لغير المسلمين.
أصناف غير المسلمين وكيفية دعوتهم.
دعوة العصاة والمنافقين والمبتدعة.
أصناف المدعوين حسب أعمارهم وكيفية دعوتهم.
أصناف المدعويين حسب مستوياتهم وكيفية دعوتهم.
أصناف المدعويين حسب إقامتهم وكيفية دعوتهم.
أصناف أخرى للمدعوين وكيفية دعوتهم.
الوسائل والأساليب الدعوية
مقدمات حول وسائل الدعوة وأساليبها.
نماذج لوسائل الدعوة الأصيلة.
وسائل الدعوة المعاصرة.
أساليب الدعوة الجامعة.
نماذج لأساليب دعوية أصيلة.

الفصل الأول

بناء تصور عام عن رسالة الإسلام

ويتضمن خمسة مباحث:

- **المبحث الأول:** بيان أن الإسلام هو دين اللّه الوحيد وهو دين كل الأنبياء.
- **المبحث الثاني:** بيان الآيات الجامعة لرسالة الإسلام وأصوله وتعاليمه.
- **المبحث الثالث:** عرض رسالة الإسلام.
- **المبحث الرابع:** مدخل الدعوة إلى الإسلام.
- **المبحث الخامس:** أصول التلقي وقواعد الاستدلال في الإسلام.

تمهيد:

إن بناء تصور شامل عن رسالة الإسلام من أهم الموضوعات الدعوية التي لا بد من طرحها على المدعوين لإقناعهم بالإسلام أوَّلاً، ثم لتطبيقهم الإسلام التطبيق الصحيح ثانياً.

وذلك يحتاج إلى إعداد متميز من الدعاة إلى الله، يبرز فيه فهم رسالة الإسلام للتمكن من عرضه بما يناسب المقام.

ولإبراز أهمية وجود هذا الدور يمكن أن نسأل:

لو سُئل أحد الدعاة عن **ما هو الإسلام؟** أو طلب منه كلمة تعريفية عن الإسلام يلقيها في وقت قصير جدًّا، فكيف يُضَمِّن فيها رسالة الإسلام، ويعرضها عرضاً شاملاً متوازناً مقنعاً؟

هذا السؤال يواجهه الداعية، وخصوصاً في دعوة غير المسلمين، وفي البلاد غير الإسلامية، بل يحتاجه كثير من المسلمين الذين ينظرون إلى الإسلام نظرة قاصرة.

ولا نستطيع أن نقوم بإعداد رسالة واحدة عن الإسلام تقال في كل مكان، وعند كل أحد، ولكن الذي يحدد المطلوب هو الزمان والمكان والحال والفئة المخاطبة، فيعطى كل موقف ما يحتاجه من رسالة الإسلام.

وهناك معالم أساسية يمكن من خلالها بناء رسالةٍ عن الإسلام صالحةً للعموم، أما صياغتها فتختلف باختلاف الزمان والمكان والحال والمخاطبين.

ويمكن إجمال تلك المعالم في خمسة مباحث كالتالي:

المبحث الأول

بيان أن الإسلام هو دين اللّٰه الوحيد وهو دين كل الأنبياء

يمكن بيان هذا المعلم في مطلبين:

المطلب الأول: الإسلام هو دين الله الذي لا يقبل دين سواه.

المطلب الثاني: الإسلام دين كل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

المطلب الأول

الإسلام هو دين الله الذي لا يقبل ديناً سواه

لا بد وأن يدرك المدعو أن الإسلام هو دين الله الوحيد، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

إنها قاعدة صريحة لا تقبل التأويل، ولا التحريف، الإسلام هو الدين الوحيد الذي يقبله الله من العبد، قال الرازي: «بيَّن في هذه الآية أن الدين ليس إلا الإسلام، وأن كل دين سوى الإسلام فإنه غير مقبول عند الله، لأن القبول للعمل هو أن يرضى الله ذلك العمل، ويرضى عن فاعله ويثيبه عليه»(١).

وقال ابن جزي: «الآية إبطال لجميع الأديان غير الإسلام»(٢).

وقال ابن تيمية: «بيَّن أن الدين- الذي رضيه ويقبله من عباده- هو الإسلام، ولا يكون الدين في محل الرضى والقبول إلا بانضمام التصديق إلى العمل»(٣).

وقال القاسمي: «المعرض عن الإسلام والطالب لغيره فاقد للنفع، واقع في الخسران، بإبطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها، وفي ترتيب الرد والخسران على مجرد الطلب دلالة على أنَّ حال من تدين بغير الإسلام واطمأن بذلك أفظع وأقبح»(٤).

وعلى هذا فرسالة محمد ﷺ واجبة الاتباع، قال تعالى: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ

(١) مفاتيح الغيب ٢/ ٢٨٢.

(٢) التسهيل في علوم التنزيل ١/ ١٥١.

(٣) مجموع الفتاوى ٧/ ٣٦٠.

(٤) محاسن التأويل ٢/ ٣٤٥.

أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ﴾[آل عمران: ٢٠].

قال ابن كثير: «وهذه الآية وأمثالها من أصرح الدلالات على عموم بعثته صلوات الله وسلامه عليه إلى جميع الخلق، كما هو معلوم من دينه ضرورة»[١].

وعن جابر بن عبدالله أن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أتى رسول الله بنسخة من التوراة، فسكت، فجعل يقرأ ووجه رسول الله يتغير، فقال أبو بكر رضي الله عنه: ثكلتك الثواكل، ما ترى وجه رسول الله ﷺ؟ فنظر عمر إلى وجه رسول الله، فقال: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: **(والذي نفس محمد بيده لو بدا لكم موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتم عن سواء السبيل، ولو كان حياً وأدرك نبوتي لاتبعني)**[٢] وفي رواية **(ما وسعه إلا اتباعي)**[٣].

وقال النبي ﷺ **(والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار)**[٤].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٢٩٨.

(٢) مسند أحمد ٣/ ٣٨٧(١٥١٩٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٧٣-١٧٤ وله شواهد كثيرة تقويه، وأخرج الألباني رواية جابر بن عبدالله أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض الكتب قال فغضب وقال: **(أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية)** قال الألباني: حديث حسن إسناده ثقات غير مجالد وهو ابن سعيد فإنه ضعيف ولكن الحديث حسن له طرق أشرت إليها في مشكاة المصابيح ١/ ٨(١٧٧) ثم خرجت بعضها في إرواء الغليل ٦/ ٣٨.

(٣) شعب الإيمان للبيهقي ١/ ١٩٩(١٧٦)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح ١/ ٣ (١٧٧).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب وجوب إيمان أهل الكتاب برسالة الإسلام (١٤٣).

المطلب الثاني

الإسلام دين كل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

الإسلام دين جميع أنبيائه ورسله عليهم السلام وأتباعهم من أولهم إلى آخرهم، والأدلة في ذلك كثيرة، منها قول الله تعالى عن إبراهيم ويعقوب عليهما الصلاة والسلام: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٣٢ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[البقرة: ١٣٢ - ١٣٣]، وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧].

وقال تعالى عن عيسى ﷺ: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾[المائدة: ١١١].

وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يقول لأهل الكتاب: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وعند مجادلة أهل الكتاب أمر الله تعالى نبيه بإعلان الإسلام والدعوة إليه، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وكذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [هود: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٨].

وهذا رسول الله ﷺ، يعلن أن دين الأنبياء واحد بقوله: **(أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد)**(١).

وقال رسول الله ﷺ: **(مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين)**(٢).

فالإسلام بناء كبير ختم الله بالنبي ﷺ هذا البناء وأكمله، كما قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣].

فالعَالَم يحتاج إلى من ينقل له علم الأنبياء، لقول النبي ﷺ: **(إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)**(٣).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ﴾ [مريم: ١٦] (٣٤٤٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ (٣٥٣٤).

(٣) سنن أبي دواد، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة (٤٢٩١)، وصححه الألباني في الصحيحة (٥٩٩)

المبحث الثاني

بيان الآيات الجامعة لرسالة الإسلام وأصوله وتعاليمه

عند بناء التصور العام عن رسالة الإسلام المتفق عليها بين الرسل بشمول ووضوح وتكامل لا بد من عرض مجموعة من الآيات التي جمعت أصول الإسلام ورسالته الخالدة، لتتضح رسالة الإسلام، ويُعلم أن هذا الدين هو الحياة كلها، وأنه جاء لإصلاح الدنيا والدين، وإصلاح العلاقة بين العبد وخالقه، وإصلاح العلاقة بين العبد والمخلوقين.

وهنا سأذكر نماذج من تلك الآيات من خلال ستة مطالب:

المطلب الأول: أصناف البر في سورة البقرة.

المطلب الثاني: المنهيات العشر في سورة الأنعام.

المطلب الثالث: جوامع التوجيهات الإسلامية في سورة النحل.

المطلب الرابع: التوجيهات الإسلامية في سورة الإسراء.

المطلب الخامس: صفات المؤمنين في سورة المؤمنون.

المطلب السادس: صفات عباد الرحمن في سورة الفرقان.

المطلب الأول

أصناف البر في سورة البقرة

قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ففي هذه الآية يبين الله تعالى قواعد الإيمان الصحيح، والسلوك الإيماني الصحيح، ويحدد صفة الصادقين المتقين، وذلك في خمسة عشر وصفاً.

فهذه الصفات «ترجع إلى ثلاثة أقسام فالخمسة الأولى منها تتعلق بصحة الاعتقاد، والستة التي بعدها تتعلق بحسن معاشرة العباد، والأربعة الأخيرة تتعلق بتهذيب النفس، ولعمري من عمل بهذه الآية فقد استكمل الإيمان ونال أقصى مراتب الإيقان»[١].

فـ«هذه الواوات في الأوصاف في هذه الآية للجمع. فمن شرائط البرّ، وتمام شرط البارّ، أن تجتمع فيه هذه الأوصاف. ومن قام به واحد منها لم يستحق الوصف بالبر»[٢].

(١) روح المعاني ٢/ ٤٨.

(٢) محاسن التأويل ١/ ٤٨٥.

المطلب الثاني

المنهيات العشر في سورة الأنعام

قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١ – ١٥٣].

سمى العلماء هذه الآيات الثلاث بالوصايا لأن الله ختم كل آية منها بالوصية، ورُوي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه يقول عن هذه الآيات: «إنهن الآيات المحكمات»[(١)].

يقول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه، فليقرأ هذه الآيات الثلاث»[(٢)].

لقد شملت هذه الوصايا رسالة الإسلام في كل نواحي الحياة؛ عقدياً وخلقياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، فبها تنتظم حياة الإنسان، وينضبط معاملاته، ضمن حد الشرع والعدل.

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم (٣١٣٨)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يُخرِّجاه.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير ٥/ ١٤١٤.

«هذه وصايا عشر هي وصايا الله تعالى لبناء مجتمع إنساني كامل، يقوم على أساس التعاون الإنساني والمودة ودفع الأذى ووقاية المجتمع من الآفات، ورعاية الضعفاء.. فيها: تطهر النفس والعقول من آفات الفكر، وتطهير المجتمع من التقاطع والتنابذ ومنع الاعتداء بأي نوع من أنواعه.

وفيها: التعاون على حماية الضعفاء، وإعطاء كل ذي حق حقه، وإقامة العدل في كل ضروبه الذي هو ميزان الحقوق والواجبات.

وفيها: الوفاء بالعهود الذي هو رباط الجماعات الإنسانية مهما تختلف أجناسها وشعوبها وقبائلها»(١).

المطلب الثالث

جوامع التوجيهات الإسلامية في سورة النحل

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًا﴾

[النحل: ٩٠ – ٩٢].

«هذه الآية جامعة لجميع المأمورات والمنهيات لم يبق شيء إلا دخل فيها، فهذه قاعدة ترجع إليها سائر الجزئيات، فكل مسألة مشتملة على عدل أو إحسان أو إيتاء ذي القربى فهي مما أمر الله به.

---

(١) زهرة التفاسير لأبي زهرة ٥/ ٢٧٢٧ باختصار يسير.

وكل مسألة مشتملة على فحشاء أو منكر أو بغي فهي مما نهى الله عنه، وبها يعلم حسن ما أمر الله به وقبح ما نهى عنه، وبها يعتبر ما عند الناس من الأقوال وترد إليها سائر الأحوال، فتبارك من جعل في كلامه الهدى والشفاء والنور والفرقان بين جميع الأشياء»[(١)].

لقد أنزل الله تعالى القرآن لينشئ أمة وينظم مجتمعاً، فهو دعوة عالمية إنسانية لا تعصب فيها لقبيلة أو أمة أو جنس، إنما العقيدة وحدها هي الرابطة، فشرع الله المبادئ التي تكفل تماسك المجتمعات، وتكفل اطمئنان الأفراد والأمم، «فهذه الآية استئناف لبيان كون الكتاب تبياناً لكل شيء، فهي جامعة أصول التّشريع»[(٢)].

فقد جمعت هذه الآية رسالة الإسلام، حيث إنها أمرت بثلاثة أمورٍ لا يصلح شأن الإنسان إلا بها؛ وهي: العدل، والإحسان، وإيتاء ذي القربى، ونهت عن ثلاثة أمورٍ لا يصلح شأن الدنيا إلا بتركها؛ وهي: الفحشاء، والمنكر، والبغي. وبهذه الأوامر الثلاثة والنواهي الثلاثة تستقيم حياة الناس في الدنيا، ويفوزون بالآخرة.

ولكن لا بد أن تفهم تلك الأوامر والنواهي بمفهومها الشامل في الإسلام الذي بينته آيات أخرى وأحاديث رسول الله ﷺ، فيدخل في العدل: العدل في القضاء، وعدل الإنسان بين أبنائه وبين زوجاته، وعدل الإنسان مع نفسه لأداء حقوقها، وقبل ذلك العدل مع الله وعدم الظلم بالإشراك معه في عبادته، وكذلك الإحسان

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٤٤٧.

(٢) التحرير والتنوير ١٤/ ٢٥٤.

مع الله في العبادة والإحسان مع الخلق والإتقان في العمل، وكذلك العلاقة بالقرابة وحسن الصلة بكل قرابة سواء كانت في النسب أو السبب أو قرابة مع الجيران، ويقاس على ذلك كل النواهي المذكورة.. والأمر بالوفاء بالعهد.

المطلب الرابع

التوجيهات الإسلامية في سورة الإسراء

قال تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ
أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا
فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ
مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْۚ إِن تَكُونُواْ
صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ
وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾
وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً
إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ
وَيَقْدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ
قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُواْ
ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي

﴿ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟
بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ
وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ
عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾
كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ
ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٢٢ – ٣٩].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال، قال: «إن التوراة كلها في خمس عشرة آية من بني إسرائيل، ثم تلا ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ...﴾»[1].

ففي هذه الآيات يبين الله تعالى شيئاً من أوامر هذا القرآن ونواهيه، التي تهدي للطريق والسلوك والهدي الأقوم، فيبدأ بالنهي عن الشرك، والأمر بالتوحيد، ثم تبدأ الآيات بعرض الأوامر والتكاليف: من بر الوالدين، وإيتاء ذي القربى والمسكين وابن السبيل، في غير إسراف ولا تبذير. وتحريم قتل الذرية، وتحريم الزنا، وتحريم القتل. ورعاية مال اليتيم، والوفاء بالعهد، وتوفية الكيل والميزان، والتثبت من الحق، والنهي عن الخيلاء والكبر.

وتنتهي الآيات بالتحذير من الشرك كذلك، فإذن الأوامر والنواهي والتكاليف تقوم أولاً على عقيدة التوحيد التي يقوم عليها بناء الحياة.

---

(١) جامع البيان ١٥/ ١٣٨، الدر المنثور ٩/ ٣٤٩.

المطلب الخامس

صفات المؤمنين في سورة المؤمنون

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: ١ – ٨].

هذه آيات جامعة لرسالة الإسلام، فهي تجمع خصالاً نافعةً من خصال الخير التي يحصل بها الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة.

فقد جمعت هذه الآيات الكريمة بين حق الخالق وحق المخلوق، وبين أعمال القلوب وأعمال الجوارح، وبين الأعمال اللازمة والأعمال المتعدية.

وتضمنت هذه الآيات المنيرات أسبابَ الفوز باجتماعها في أعمال صالحة عظيمة وهي: المحافظة على الصلاة الخاشعة، والإعراض عما لا ينفع من القول والعمل، وحفظ الفروج عن الحرام، وأداء الأمانات، والوفاء بالعهود[١].

فهذه الخصال المذكورة تجمع بين حق الله وحق المخلوقين، بعبارات جامعة شاملة لا تقتصر على معناها المحدود وإنما تشمل ما ورائها من توجيهات إسلامية، فالخشوع في الصلاة دلالة كبيرة على عظم الإيمان في القلب وأثر التوحيد على النفس الذي يتولد منه هذا الخشوع.. وقس على ذلك باقي الصفات..

(١) ينظر مقال بعنوان صفات المؤمنين في سورة المؤمنون د. عبدالله العواظي، منشور على موقع الألوكة.

تلك الصفات التي تبين رسالة الإسلام وتحدد شخصية المؤمنين المكتوب لهم الفلاح، وهي صفات ذات أثر في تحديد خصائص المسلمين ونوع الحياة التي لا بد أن يحيوها، الحياة الفاضلة العفيفة الإنسانية التي كرم الله بها الإنسان وليست الحياة الحيوانية الشهوانية.

المطلب السادس

صفات عباد الرحمن في سورة الفرقان

قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ
قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ
عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ
إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ
إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا
﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ
عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ
وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ
كِرَامٗا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ
يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾
أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ
حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴾ [الفرقان: ٧٢ – ٧٦].

«وصفهم بالوقار والسكينة، والتواضع له ولعباده، وحسن الأدب، والحلم، وسعة الخلق، والعفو عن الجاهلين والإعراض عنهم، ومقابلة إساءتهم بالإحسان، وقيام الليل والإخلاص فيه، والخوف من النار، والتضرع لربهم أن ينجيهم منها، وإخراج الواجب والمستحب في النفقات والاقتصاد في ذلك، والسلامة من كبائر الذنوب، والاتصاف بالإخلاص لله في عبادته، والعفة عن الدماء والأعراض، والتوبة عند صدور شيء من ذلك، وأنهم لا يحضرون مجالس المنكر والفسوق القولية والفعلية ولا يفعلونها بأنفسهم، وأنهم يتنزهون من اللغو والأفعال الردية التي لا خير فيها، وذلك يستلزم مروءتهم وإنسانيتهم، وكمالهم ورفعة أنفسهم عن كل خسيس قولي وفعلي، وأنهم يقابلون آيات الله بالقبول لها والتفهم لمعانيها والعمل بها، والاجتهاد في تنفيذ أحكامها، وأنهم يدعون الله تعالى بأكمل الدعاء، في الدعاء الذي ينتفعون به، وينتفع به من يتعلق بهم، وينتفع به المسلمون من صلاح أزواجهم وذريتهم، ومن لوازم ذلك سعيهم في تعليمهم ووعظهم ونصحهم لأن من حرص على شيء ودعا الله فيه لا بد أن يكون متسببا فيه، وأنهم دعوا الله ببلوغ أعلى الدرجات الممكنة لهم وهي درجة الإمامة والصديقية.. فلله ما أعلى هذه الصفات وأرفع هذه الهمم وأجل هذه المطالب، وأزكى تلك النفوس، وأطهر تلك القلوب، وأصفى هؤلاء الصفوة، وأتقى هؤلاء السادة»[١].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٥٨٦- ٥٨٧.

المبحث الثالث

عرض رسالة الإسلام

من خلال ما تم عرضه من الآيات السابقة حول رسالة الإسلام يمكن بيان رسالة الإسلام الذي هو دين كل الأنبياء من خلال مطلبين:

المطلب الأول: أقوال تجمع رسالة الإسلام.

المطلب الثاني: بيان رسالة الإسلام الذي هو دين كل الأنبياء.

المطلب الأول

أقوال تجمع رسالة الإسلام

عندما نزل القرآن على الصحابة رضي الله عنهم وعاش الصحابة مع رسول الله ﷺ يعلمهم ويزكيهم؛ استطاع كل واحد منهم أن يصيغ صورة عن الإسلام تبهر من يستمع لها، فهم عاصروا نزول الوحي وشاهدوا التطبيق العملي للإسلام في كل مناحي الحياة.

ومما يبين ذلك بعض النماذج منها:

❍ أولاً: رسالة الإسلام في كلمة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه أمام النجاشي:

فقد ورد في كلمة جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي رضي الله عنهما حين عرض عليه رسالة الإسلام: «أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك **حتى بعث الله إلينا رسولاً نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد وآباؤنا من دونه، من: الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام. فعدد عليه أمور الإسلام**... ونقول في عيسى الذي جاء به نبينا: هو عبدالله ورسوله وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء، البتول»[١].

فهذه العبارات التي وصفت الإسلام جمعت بين العقيدة، والعبادة والشريعة والأخلاق، وهذه الأمور كلها تمثل رسالة الإسلام الذي هو رحمة للعالمين.. صاغها جعفر رضي الله عنه من خلال آيات القرآن المنزلة ومن سيرة رسول الله ﷺ وأقواله التي تمثل التطبيق العملي للإسلام.

---

(١) مسند أحمد١/ ٢٠١ (١٧٤٠)، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن. وقد أوردت الرواية مختصرة.

ثانياً: رسالة الإسلام في كلمة ربعي بن عامر رضي الله عنه أمام رستم:

قال ربعي بن عامر رضي الله عنه لرستم: «الله جاء بنا، وهو بَعَثنا لنُخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومنْ ضيق الدُّنيا إلى سعتها، ومن جور الأدْيَان إلى عدل الإسلام»(١).

فالكلمات التي عبر عنها في التعريف بالإسلام كل من جعفر وربعي رضي الله عنهما لم يقلها رسول الله ﷺ نصّاً، ولم تنزل في كتاب الله كما هي، وإنما هذا هو التصور عن الإسلام من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي وقعت في قلوب الصحابة واستطاعوا أن يصيغوها صياغة تناسب الحال والمستمع.

المطلب الثاني

بيان رسالة الإسلام الذي هو دين كل الأنبياء

ولذا يمكن أن نقول الإسلام الذي هو دين الله والذي هو دين كل الأنبياء يرتكز على الأصول التالية(٢):

أولاً: العبودية لله وحده:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢- ١٦٣]. وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ

---

(١) ينظر القصة بطولها في: تاريخ الطبري ٣/ ٥٢٠، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٢٩٧، والبداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٣٩ حوادث سنة خمسة عشر.

(٢) سنكتفي هنا بذكر الأدلة وسيكون هناك تفصيل في كل هذه النقاط في مواضعها من هذا الباب.

﴿وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

«فالتعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله، هذان الأمران لم يخل شرع منهما، وأما خصوص العبادات فالشرائع مختلفة فيها بالوضع والهيئة والقلة والكثرة والزمان والمكان والشرائط والأركان»(١).

➢ ثانياً: إقامة العدل:

قال تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢٥﴾ [الحديد: ٢٥]. «أي ليقوم الناس في الدين والدنيا بالقسط بالعدل في حق الله، وفي حق العباد»(٢).

➢ ثالثاً: تحقيق الرحمة للعالمين:

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، قال الرازي: «إنه عليه السلام كان رحمة في الدين وفي الدنيا»(٣).

وقال ابن عاشور: «وتفصيل ذلك يظهر في مظهرين: الأول تخلق نفسه الزكية بخلق الرحمة، والثاني إحاطة الرحمة بتصاريف شريعته»(٤).

(١) مفاتيح الغيب ٢٨/ ١٣٩.

(٢) تفسير جزء الذاريات لابن عثيمين ص٢٥.

(٣) مفاتيح الغيب ٢٢/ ١٩٣.

(٤) التحرير والتنوير ١٧/ ١٦٦.

رابعاً: إتمام مكارم الأخلاق:

قال ﷺ: **(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)**[(١)]، وفي رواية: **(صالح الأخلاق)**[(٢)].

«**قال الباجي**: كانت العرب أحسن الناس أخلاقاً بما بقي عندهم من شريعة إبراهيم، وكانوا ضلوا بالكفر عن كثير منها فبعث ﷺ ليتمم محاسن الأخلاق ببيان ما ضلوا عنه وبما خص به في شرعه، وقال ابن عبدالبر: ويدخل فيه الصلاح والخير كله والدين والفضل والمروءة والإحسان والعدل فبذلك بعث ليتممه»[(٣)].

خامساً: نشر العلم ورفع الجهل:

فأول ما نزل على النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: ١ – ٥].

فأول أمر خاطب الله به رسوله ﷺ هو الأمر بالعلم، لأن العلم طريق الإيمان، قال تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦].

«البداية بالعلم بداية منطقية وضرورية لأن كل المطالب من عبادة ومخالطة ودعوة وجهاد ومصالح دنيوية كالتجارات والزواج مفتقرة للعلم في ثمرتها الأخروية وفي حصيلتها العاجلة.. فتشير الآية إلى الترابط بين العلم والدين وإذا انفصل العلم عن الدين فإنه ينذر بوجود كارثة كبيرة.. إنها دعوة لهذه الأمة أن يقرؤوا ويتعلموا ويفتحوا كنوز العلم ويتخلصوا من أميتهم ويبدؤوا مسيرتهم العلمية المترقية في كل مجالات العلوم»[(٤)].

---

(١) موطأ الإمام مالك ٢/ ٩٠٤(١٦٠٩)، والمستدرك على الصحيحين للحاكم ٢/ ٦٧٠(٤٢٢١)، والأدب المفرد للبخاري ١/ ١٠٤(٢٧٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٥).

(٢) مسند أحمد ٢/ ٣٨١(٨٩٣٩) وقال شعيب الأرناؤوط: صحيح وهذا إسناد قوي.

(٣) شرح الزرقاني على الموطأ ٤/ ٤٠٤.

(٤) إشراقات قرآنية للعودة ٢/ ١١٠.

وتكرار الأمر بالقراءة دعوة للمداومة وعدم الانقطاع.. فالعلم يحتاج إليه المسلم في كل وقت وفي كل زمان ومكان لتطبيق شرع الله وتحقيق الخلافة في الأرض.

سادساً: الاستخلاف في الأرض وإعمارها:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ص ٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥].

والمقصود بالخليفة، كما قال الإمام البغوي: «والصحيح أنه خليفة الله في أرضه لإقامة أحكامه وتنفيذ وصاياه»[(١)]، فالخلافة تقوم على أساس الإصلاح والأمر بالمعروف وتحقيق العدل بين الناس فيما يقع بينهم من مظالم ودفع الفساد والظلم عن الناس والنهي عن الفحشاء والمنكر وهذه هي رسالة الإسلام التي خلق الله من أجلها الخلق.

ومن معاني الاستخلاف عمارة الأرض، قال تعالى عن صالح عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[هود: ٦١].

«**أي**: استخلفكم فيها، وأنعم عليكم بالنعم الظاهرة والباطنة، ومكنكم في الأرض، تبنون، وتغرسون، وتزرعون، وتحرثون ما شئتم، وتنتفعون بمنافعها، وتستغلون مصالحها»[(٢)].

(١) معالم التنزيل ١/ ٦٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص٣٨٤.

سابعاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والترغيب في الطيبات، والتيسير:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

فكل معروف أمر الله تعالى به وحث على فعله، وكل منكر حذر الله منه ونهى عنه، وكل طيب أمر الله به، وكل خبيث نهى الله عنه، وكل أمر فيه يسر أمر الله به ورغب فيه وحث عليه، وهذه رسالة الإسلام التي توافق الفطرة: الأمر بالمعروف واستحلال الطيبات، والنهي عن المنكر وتحريم الخبائث، والتيسير في العبادات والتشريعات.

ثامناً: التعارف بين الشعوب لتحقيق التعاون:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات: ١٣].

فقد خلق الله تعالى الخلق مختلفين في الألسنة والألوان والبلدان والقدرات، ليحصل بذلك التعاون والتكامل في الاستفادة من الآخر والاستخلاف في الأرض، واستثمار ما سخر الله لنا لعبادته وتقواه.

المبحث الرابع

مدخل الدعوة إلى الإسلام

الأصل أن أول ما يجب أن يدعى الناس إليه في الإسلام هو التوحيد، ولكن تختلف المداخل للدعوة للتوحيد من شخص لآخر، فالعلماء المتخصصون في علوم اجتماعية أو ثقافية أو دينية أو حياتية كل واحد منهم يختلف المدخل إليه ليتناسب مع عقله وقدرته.

وكذلك أصحاب الأديان المختلفة لكل واحد منهم مدخل دعوي يتناسب معه، حتى عامة الناس قد يختلفون في مداخل دعوتهم للإسلام، وهذا بلا شك يعطينا أهمية فهم رسالة الإسلام جيداً حتى نستطيع أن نوظفها توظيفاً دعويًّاً مناسباً.

فلتصحيح الاعتقاد والبدء بالتوحيد لا بد أن تكون هناك رؤية واضحة متدرجة لنبني التوحيد في النفوس بناءً قويًّاً وأصيلاً، وأحاول بيان تلك الرؤية من خلال النقاط التالية:

المطلب الأول: تثبيت عقيدة الربوبية وأن لهذا الكون خالقاً.

المطلب الثاني: غرس حقيقة سبب الخلق والإيجاد.

المطلب الثالث: تثبيت أهمية حاجة الإنسان إلى منهج للحياة.

المطلب الرابع: غرس حقيقة البعث والجزاء.

المطلب الأول

تثبيت عقيدة الربوبية وأن لهذا الكون خالقاً

لا بد أولاً من غرس حقيقة أن لهذا الكون خالقاً مالكاً عالماً حكيماً ومدبراً، خلق الكون بما فيه و أوجده من العدم، وهذا الخالق هو الله الذي لا إله إلا هو، انطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤] وغيرها من الآيات.

ولأهمية هذا الأمر فقد أخذ حظّاً جيداً من القرآن تفصيلاً وإجمالاً، لأهمية هذه القضية، حيث إن القرآن يوقظ الفطرة، ويزيل ما حولها من شبهات وغفلة وإلف، فيبين قدرة الله تعالى في الكون والنفس.

وهذا الأمر له وسائله الكثيرة، ومنها عرض آيات الله المتلوة والمشاهدة في الكون والنفس، والحث على النظر والتأمل فيها، ومن المهم الاستفادة من جهود علماء القرآن والسنة فلهم جهود كبيرة في ذلك، ومن ذلك أبحاثهم في الإعجاز العلمي بأنواعه.

فهذا الكون لا بد له من خالق ومبدع مدبر كما قال تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[النمل: ٨٨]، وقال: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة: ٧]، وقال تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾[الملك: ٣].

فهذا دليل على وجود الله تعالى ووحدانيته، وهو دليل الإتقان والإحسان؛ لأن من نظر إلى هذا الخلق المتناسق المتكامل أيقن أن وراءه خالقاً له أحسن خَلْقَه وأتقنه، فلم

يوجد هذا العالم فلتة ولا مصادفة، ولا يوجد به ثغرة ولا نقص، ولا تفاوت ولا نسيان.

فلا بد من تنبيه القلوب والعقول على الاستيقاظ من الغفلة والانتباه من الألفة لتحصل الصلة بين الخالق المبدع فتحصل الهداية والتوفيق.

وهنا لا بد أن يتعرف المدعو على الله الخالق لهذا الكون وعلى صفاته وقدرته، فيعلم ويوجه أن الخالق لا بد أن يكون مالكاً ومدبراً وهنا سيعرف الله تعالى بفطرته.

المطلب الثاني

غرس حقيقة سبب الخلق والإيجاد

فإذا أدرك العبد أن الله تعالى هو الخالق والمالك والمدبر، يبدأ البحث عن سر خلقه وفائدة إيجاده، وهنا سيحس بقيمته في هذه الحياة وبدوره الذي يجب أن يقوم به لكي يتميز عن البهائم والجمادات، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

خلق الله الإنسان وكرمه على جميع المخلوقات، في خلقته، وفي تخييره، وفي عقله، وفي قدراته، وفي تسخير الكون كله له، وفي استعداده للاستفادة من هذا الكون وتحقيق الاستخلاف في الأرض، فهذا التكريم له حكمة، وليس تكريماً عشوائيًّا؛ قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

«أي: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ﴾ أيها الخلق ﴿أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ أي: سدًى وباطلاً تأكلون

وتشربون وتمرحون، وتتمتعون بلذات الدنيا، ونترككم لا نأمركم، ولا ننهاكم ولا نثيبكم، ولا نعاقبكم؟ ولهذا قال: ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾»[١].

فلا بد من تنبيه المدعو على أنه لم يخلق ليعيش هذه السنين في الحياة الدنيا بدون هدفٍ أو دورٍ أو رسالة، فهو ليس موجوداً عبثيًّاً أو هامشيًّاً في الوجود ليس له قيمة..

وأنه لم يُترك سدًى، قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾[القيامة: ٣٦]. «أي مهملاً لاعباً لاهياً لا يكلف ولا يجازى»[٢].

أنه خلق لغاية وحكمة: قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وهنا يشعر الإنسان بأنه مخلوق لغاية، مزوّد بالمعرفة ومحاسب عليها، وأنه في فترة امتحانٍ يقضيها على الأرض، لا في فترة لعبٍ ولهوٍ وإهمال! وبهذا تتغير نظرته إلى غاية وجوده، وشعوره بأهمية وجوده، وأن لهذه الحياة قيمة وقيماً لا بد من التنبه لها.

فالإنسان لم يُخلق ليتمتّع كما تتمتّع الأنعام، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد: ١٢]، وقال تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٣]. بل قد يكونوا أضل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[الأعراف: ١٧٩].

فمعيار إنسانية الإنسان يكمن في مدى استفادته مما وهبه الله تعالى من إدراكات

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٥٦٠.

(٢) نظم الدرر ١٢/ ١١٥.

وحواسّ يميز بها بين الأمور ويتخذ من خلالها المواقف التي تبين إنسانيته وتكريم الله له.

فالإنسان لم يُخلق عبثاً ولم يترك سُدًى، بل إن وراء خلقه هدفاً وحكمة، وهو مراقَبٌ في كل حركاته وسكناته من قبل رب العالمين، ومسؤول عن أعماله وأفعاله أمام الله ﷻ، فيُثاب على الحَسن منها، كما ويعاقب على السيئ منها.

المطلب الثالث

تثبيت أهمية حاجة الإنسان إلى منهج للحياة

إذا تيقن المدعو بأن لهذا الكون خالقاً، وبأنه مخلوق لحكمة بدأ يفتش عن تلك الحكمة، ولن يجدها إلا عند من خلقه.. فالله تعالى هو الخالق ويعلم وظيفة كل مخلوق، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[الملك: ١٤].

والإنسان إذا أدرك أن الله هو الخالق المدبر وعرف سبب خلقه وتسخير ما في الكون له بدأ يتساءل كيف أصل إلى الله تعالى؟ وكيف أعبده؟

فهنا تأتي أهمية غرس حقيقة أن الله تعالى رسم للإنسان منهج حياته وعرّفه ما يُصلح شأنه ودلّه على ذلك بواسطة الأنبياء والمرسلين الذين هم أنوار الهداية ومصابيح الدُجى، وهذا المنهج هو الكفيل بإسعاد الإنسان في الحياة الدنيا وفي الآخرة على حدّ سواء إذا ما سار عليه الإنسان والتزم بتعاليم الأنبياء، انطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]. «أعطاه من الخلق والتصوير ما يصلح به لما خلق له ثم هداه لما خلق له وهداه لما يصلحه في معيشته

ومطعمه ومشربه ومنكحه وتقلبه»(١)، كقوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ١ - ٣].

فالله تعالى: «خَلَقَ الخلق فسَوَّى، فإن لم يهده إلى تمام الحكمة التي خُلِقَ لها فَسَدَ، فلا بُدَّ أن يُهْدَى بعد ذلك إلى ما خلق له»(٢).

«فإذا علمنا أنه هو الهادي فإننا نستهدي بهدايته، بشريعته حتى نصل إلى ما أعد لنا ربنا عز وجل من الكرامة»(٣)، قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢ - ٣].

«أي الطريق الواضح الذي لا طريق في الحقيقة غيره، وهو طريق الخير الذي من حاد عنه ضل، وذلك بما أنزلنا من الكتب وأرسلنا من الرسل ونصبنا من الدلائل في الأنفس والآفاق، وجعلنا له من البصيرة التي يميز بها بين الصادق والكاذب وكلام الخلق وكلام الخالق والحق والباطل وما أشبهه»(٤).

وهنا يأتي دور القرآن والسنة في بيان المنهج الذي لا بد أن يسير عليه المسلم، وأن هذا المنهج لا بد أن يكون من خالق الإنسان وخالق هذا الكون، فهو أعلم بما خلق وبما يحتاج الخلق، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

---

(١) شفاء العليل ص ٧٨.

(٢) مجموع الفتاوى ١٦/ ١٣٥.

(٣) تفسير جزء النبأ لابن عثيمين ص١٦٢.

(٤) نظم الدرر ٢١/ ١٣٣.

المطلب الرابع

غرس حقيقة البعث والجزاء

ولكي يلتزم الإنسان بهذا المنهج لا بد من محفز له ولا بد من جزاء وعقاب يجعله يتحرك في القيام بدوره الذي خلق من أجله؛ ولذا كان البعث والجزاء والحساب.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٦ – ٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

فالإنسان لا يتلاشى ولا ينتهي بالموت، بل إن حياته تتجدد مرة أخرى في عالم آخر يلي هذا العالم يُسمى بعالم الآخرة، فيُبعث فيها ويحاسب على أعماله، فيثاب أو يعاقب حسب ما قدمه من أعمالٍ فترة حياته في عالم الدنيا.

فالإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان، وعقيدة من عقائد الإسلام الأساسية؛ فإن قضية البعث في الدار الآخرة هي التي يقوم عليها بناء العقيدة بعد قضية وحدانية الله تعالى.

ولأهميَّة هذا اليوم العظيم؛ نجد أن الله تعالى كثيراً ما يربط الإيمان به بالإيمان باليوم الآخر؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْأٓخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤]. وكقوله تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ

بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [الطلاق: ٢]، وقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة.

ولذا تجد أن الله تعالى يحفز المسلمين للعمل لأجر الآخرة، كما قال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٠ – ١٣].

«فالإيمان باليوم الآخر نتيجة لازمة للإيمان بالله وعدله سبحانه وتعالى، وتوضيح ذلك:

أن الله لا يقر الظلم ولا يدع الظالم بغير عقاب، ولا المظلوم بغير إنصاف، ولا يترك المحسن بغير ثواب وجزاء، ويعطي كل ذي حق حقه، ونحن نرى في الحياة الدنيا من يعيش ظالماً ويموت ظالماً ولم يعاقب، ومن يعيش مظلوماً ويموت مظلوماً ولم يأخذ حقه، فما معنى هذا والله لا يقبل الظلم؟ معناه أنه لا بد من حياة أخرى غير هذه الحياة التي نعيشها، لا بد من ميعاد آخر يكافأ فيه المحسن ويعاقب فيه المسيء ويأخذ كل ذي حق حقه.

والإيمان باليوم الآخر له أشد الأثر في توجيه الإنسان وانضباطه والتزامه بالعمل الصالح وتقوى الله ﷻ وبعده عن الأنانية والرياء، ولهذا يتم الربط بين الإيمان باليوم

الآخر والعمل الصالح في كثير من الأحيان، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [التوبة: ١٨].

والإيمان باليوم الآخر تنبيه للغافلين المنشغلين بأمور الحياة ومتاعها عن التنافس في الطاعات واغتنام الوقت للتقرب إلى الله بالطاعات إلى حقيقة الحياة وقصرها وأن الآخرة هي دار القرار والخلد، فالله تعالى لما أثنى على الرسل في القرآن وذكر أعمالهم مدحهم بالسبب الذي كان يدفعهم لتلك الأعمال والفضائل فقال: ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾ [ص ٤٦] أي: إن سبب تلك الأعمال الفاضلة أنهم تميزوا بتذكر الدار الآخرة فدفعهم هذا التذكر لتلك الأعمال والمواقف.

ولما تثاقل بعض المسلمين عن الامتثال لأمر الله ورسوله قال تعالى تنبيهاً لهم: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

فحين يؤمن الإنسان باليوم الآخر، فإنه سيوقن بأن كل نعيم في الدنيا لا يقاس إلى نعيم الآخرة، ولا يساوي من جهة أخرى غمسة واحدة من أجله في العذاب، وكل عذاب في الدنيا في سبيل الله لا يقاس إلى عذاب الآخرة، ولا يوازي من جهة أخرى غمسة واحدة من أجله في النعيم.

ومن أهمية الإيمان باليوم الآخر أنه يورث الطمأنينة بأن الإنسان ملاق نصيبه، فإذا فاته شيء من متاع الحياة الدنيا فلا ييأس ويقتل نفسه حزناً، بل عليه أن يجتهد ويوقن بأن الله لا يضيع أجر من أحسن العمل، وإن كان قد أُخِذَ منه مثقال ذرة بظلم أو غش حصَّلَها يوم القيامة في أحوج ما يكون إليها، فكيف يغتم من علم أن نصيبه سيأتيه

لا محالة في أهم اللحظات وأخطرها؟ وكيف يحزن من يعلم أن من يقضي بينه وبين خصومه هو أحكم الحاكمين سبحانه وتعالى؟»[١].

من هذه النقاط الأربع وتفصيلاتها يدخل الداعية للمدعوين ببناء الاعتقاد السليم وإزالة الاعتقاد الخاطئ، حيث إنه لا يمكن دخول أحد في الإسلام عن قناعة إلا لو تحقق التصور الصحيح لتلك القضايا الأربع، فإذا تمكنت من القلب سهل بعد تلك تحويل هذه العقيدة إلى سلوك يتمثل في عبادة وتشريعات يمكن تطبيقها والثبات عليها.

---

(١) دليل المسلم الجديد- عبدالله با همام باختصار وتصرف يسير.

المبحث الخامس

أصول التلقي وقواعد الاستدلال في الإسلام

من أهم ما لا بد أن يُعلَم عن رسالة الإسلام: المصدر الذي يتم تلقي الإسلام منه، والذي وصل إلينا الإسلام من خلاله، والأدلة على تشريعات الإسلام وصدق خبره.

وهذا الأمر مما تختلف فيه الشريعة الإسلامية عن كل الشرائع، حيث إنها شريعة ربانية منزلة من عند الله الخالق المالك المدبر الذي يعلم ما خلق وما يصلحه.

ومصادر هذه الشريعة ودستورها وهو القرآن محفوظ من التبديل والتحريف، ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

ومن حفظ الله تعالى للقرآن أن حفظ بيان القرآن وشرحه من خلال حفظه للسنة النبوية، بأن قيض لها علماء أفنوا أعمارهم في جمعها وتمحيصها.

أما الشرائع الأخرى فهي نتاج بشر، أسسها أو حَرَّف في أصولها الصحيحة، حتى ظهر تناقضها وعدم صلاحيتها لكل زمان ومكان، وتعارضها مع الفطر السليمة.

إن هذا الدين له أصول وقواعد في تلقي الدين وفهمه، والعادة أنَّ الشرائع إذا عُرفت وفُهمت سهل على غير أتباعها تلقيها أولاً، ثم الاطمئنان إليه ثانياً، والثبات عليها بعد ذلك.

والذين يريدون أن يطعنوا في هذا الدين كثيراً ما يطعنون في مصدريه القرآن والسنة، ولكن قيض الله من علماء الإسلام من وقف ضد هذه حملات الطعن، متسلحاً بسلاح الدليل والبرهان؛ الخبري والعقلي والحسي تحت راية الإيمان واليقين بهذا الدين.

وفي هذا المبحث سنلقي الضوء على منهج الإسلام في التلقي والاستدلال تنبيهاً

على ربانية هذا الدين وحفظ الله تعالى له من الزيادة والنقصان والتبديل والتحريف، مبتدئين بتمهيد حول مجمل منهج أهل السنة في التلقي والاستدلال.

تمهيدٌ حول: مجمل منهج أهل السنة في التلقي والاستدلال:

لأهل السنة منهجٌ قويمٌ في التلقي والاستدلال حتى لا يدخل في دين الله ما ليس منه، وحتى لا يُفهم كلام الله وسنة رسوله فهماً غير سَوِيٍّ يؤدي إلى تصرفاتٍ غير صحيحةٍ، أو تكوين صورةٍ عن الإسلام غير متكاملةٍ أو متناقضةٍ.

وما سيأتي من قواعد لأهل السنة في التلقي والاستدلال لكلٍّ منها تفاصيل وضوابط، لكن نجملها في هذه النقاط خشية الإطالة[1]:

١- مصدر العقيدة: كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ الصحيحة، وإجماع السلف الصالح.

٢- كل ما صح من سنة رسول الله ﷺ وجب قبوله والعمل به، وإن كان آحاداً؛ في العقائد وغيرها.

٣- المرجع في فهم الكتاب والسنة هو النصوص المبينة لها، وفهم السلف الصالح، ومن سار على منهجهم من الأئمة، ولا يُعارض ما ثبت من ذلك بمجرد احتمالاتٍ لغويةٍ.

٤- أصول الدين قد بينها النبي ﷺ، وليس لأحد أن يحدث شيئاً زاعماً أنه من الدين.

٥- التسليم لله ولرسوله ﷺ: ظاهراً، وباطناً، فلا يعارض شيء من الكتاب أو السنة الصحيحة بقياسٍ، ولا ذوقٍ، ولا كشفٍ ولا قول شيخٍ، ولا إمامٍ، ونحو ذلك.

---

(١) متن: مجمل معتقد أهل السنة والجماعة للشيخ ناصر العقل مع شرحها. ومنهج التلقي والاستدلال بين أهل السنة والمبتدعة؛ د. أحمد بن عبدالرحمن الصويان. منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد، لعثمان علي حسن.

٦- العقل الصريح موافق للنقل الصحيح، ولا يتعارض قطعيان منهما أبداً، وعند توهم التعارض يقدم النقل.

٧- يجب الالتزام بالألفاظ الشرعية في العقيدة، وتجنب الألفاظ البدعية التي أحدثها الناس، والألفاظ المجملة المحتملة للخطأ والصواب يستفسر عن معناها، فما كان حقّاً أثبت بلفظه الشرعي، وما كان باطلاً رد.

٨- العصمة ثابتة للرسول ﷺ، والأمة في مجموعها معصومة من الاجتماع على ضلالة، وأما آحادها فلا عصمة لأحدٍ منهم، وما اختلف فيه الأئمة وغيرهم فمرجعه إلى الكتاب والسنة، فما قام عليه الدليل قُبل، مع الاعتذار للمخطئ من مجتهدي الأمة.

٩- في الأمة محدثون ملهمون كعمر بن الخطاب رضي الله عنه، والرؤيا الصالحة حقٌّ، وهي جزءٌ من النبوة، والفراسة الصادقة حقٌّ، وفيها كراماتٌ ومبشراتٌ؛ بشرط موافقتها للشرع، وليست مصدراً للعقيدة ولا للتشريع.

١٠- المراء في الدين مذمومٌ، والمجادلة بالحسنى مشروعةٌ، وما صح النهي عن الخوض فيه وجب امتثال ذلك، ويجب الإمساك عن الخوض فيما لا علم للمسلم به، وتفويض علم ذلك إلى عالمه سبحانه.

١١- يجب الالتزام بمنهج الوحي في الرَّدِّ، كما يجب في الاعتقاد والتقرير، فلا تُردُّ البدعةُ ببدعةٍ، ولا يُقابل التفريطُ بالغلو؛ ولا العكس.

١٢- كل محدثةٍ في الدين بدعةٌ، وكل بدعةٍ ضلالةٌ، وكل ضلالةٍ في النار.

ويمكن بيان أصول أهل السنة في التلقي والاستدلال في سبعة مطالب:

المطلب الأول

تعظيم النصوص الشرعية والانقياد لها

إن أصل دين الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده المؤمنين: الاستِسلام والخضوع والانقياد؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤].

وحقيقة الاستسلام: تعظيم أمر الله ونهيِه، والإذعان لهما، والوقوف عند حدود الله وما أنزل على نبيه ﷺ، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾[الحج: ٣٠]، فكل ما أمر به الشارع أو نهى عنه فحقُّه التعظيم والإجلال والامتِثال، وهذا هو طريق الفلاح والفوز؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [النور: ٥٢].

وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن التقديم بين يدي الله ورسوله؛ فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١].

فإذا جاء أمر الله فلا مجال للاختيار أو التردُّد، بل التسليم والانقياد؛ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقد نفَى الله سبحانه وتعالى الإيمان بالكلية عمَّن أعرَض عن حكم النبي ﷺ ولم يرضَ به ووجد في نفسه حرجاً من ذلك؛ قال سبحانه وتعال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وتوعَّد الله سبحانه وتعالى المخالفين لأمره فقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور: ٦٣].

وقال ﷺ: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَداً؛ كِتَابَ الله وَسُنَّتِي**)(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد أمر الله بطاعة رسوله ﷺ في أكثر من ثلاثين موضعاً من القرآن، وقرن طاعته بطاعته، وقرن بين مخالفته ومخالفته؛ كما قرن بين اسمه واسمه فلا يذكر الله إلا ذُكر معه»(٢).

ولما سأل الإمام الشافعي رجلٌ عن مسألةٍ قال: قضى فيها رسول الله ﷺ بكذا وكذا. فقال له الرجل: ما تقول أنت؟ فغضب الإمام الشافعي وقال له: «تراني في بيعَة! تراني في كَنِيسَة! ترى عَلَيَّ زِي الْكفَّار! هُوَ ذَا تَرَاني فِي مَسْجِد الْمُسلمين عَلَيَّ زِي الْمُسلمين مُسْتَقْبل قبلتهم، أروى حَدِيثاً عَن النبي ﷺ ثمَّ لَا أَقُول بِهِ»(٣).

ولذا «فلا يجوز معارضة النص بالعقل، ففي المنهج الإسلامي لا يتعارض النص الصحيح مع العقل الصريح، فإذا وقع التعارض فيكون لعدم صحة النقل أو عدم صحة الدليل العقلي، وإذا صح العقل وصح النقل فيكون التعارض من المستحيلات.

فالشاهد أن منهج أهل السنة في فهم نصوص الوحيين أنها لا تُعارَض بالعقل، فإذا لم يستطع العقل إدراك معنى النص يقدم الإنسان النص، لأن النقل ثابتٌ معصومٌ من الخطأ، أما العقل فمتغيرٌ وغير معصومٍ من الخطأ، فالعقول متفاوتةٌ ولهذا يجب تقديم النص إذا تعارض مع العقل»(٤).

---

(١) موطأ الإمام مالك، باب النهي عن القول بالقدر، رقم (١٦٦١)، قال ابن عبدالبر عن الحديث: «محفوظ معروف مشهور عن النبي ﷺ عند أهل العلم شهرة يكاد يستغني بها عن الإسناد». التمهيد ٢٤/ ٣٣١.

(٢) مجموع الفتاوى ١٩/ ١٠٣.

(٣) طبقات الشافعية للسبكي ٢/ ١٣٨.

(٤) الضوابط الشرعية لفهم نصوص الكتاب والسنة- محاضرة مفرغة د. حمد بن عبدالمحسن التويجري، منشورة على موقع السكينة باختصار.

المطلب الثاني
الاعتماد على السنَّة الصحيحة

أمر الله سبحانه وتعالى بطاعة نبيه ﷺ في آيات كثيرة؛ منها قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧].

وسنَّة النبي ﷺ هي الموضِّحة والمبيِّنة لكتاب الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

وذمَّ رسول الله ﷺ أقواماً يَتركون ما جاء في سنَّته؛ فقال: **(ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ألا يوشك رجل ينثني شبعاناً على أريكته يقول: عليكم بالقرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه)**(١).

والاستدلال العلمي الصحيح يعتمد على الأحاديث الصحيحة والحسنة، وأما الأحاديث الموضوعة والضعيفة فلا يَجوز الاستدلال بها، ويَجب الحذر منها.

فقد قيض الله لسنة نبيه ﷺ من أهل الإخلاص علماء أعلاماً نذروا حياتهم لتنقية سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وجمعها وتدوينها وتوثيقها وتنقيحها؛ حتى تصل إلينا في صحاحٍ اعتمد عليها الفقهاء والعلماء مصدراً للتشريع مع القرآن الكريم.

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل أسسوا علوماً جديدة للتثبت من الأخبار ورواياتها،

(١) مسند أحمد ٢٨/ ٤١٠ (١٧١٧٣)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح، وسنن ابن ماجه، افتتاح الكتاب، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ، والتغليظ على من عارضه (١٢)، وسنن أبي داوود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة (٤٦٠٦)، وجامع الترمذي، كتاب العلم، باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ (٢٦٦٤). قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٤٢).

فكان علم الرجال، وعلم الإسناد، وعلم الجرح والتعديل، وعلم العلل، وغيرها، وكلها تتابع رواة الأحاديث وتدرس أحوالهم، وما ظهر من أمرهم وما خفي، للتأكد من مدى صدقهم فيما نقلوه عن الرسول ﷺ، بل تدرس الحالة الاجتماعية والسياسة والاقتصادية التي عاشها الرواة ومدى تأثيرها عليهم في نقل الحديث.

المطلب الثالث

صحَّة فَهمِ النصوص وأهميته في الاستدلال الصحيح

قد جاءت الإشارات العديدة في كتاب الله تبارك وتعالى لأهمية العقل، وتكررت الدعوة لإعمال العقل كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠]، وقوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]، وجعل الله مناط الفهم والانتفاع هو العقل: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: ٣٧].

إن صحَّة فَهمِ النصوص الشرعية ركيزة أساسية لصحَّة الاستِدلال، ولا يَستطيع المرء أن يَعرف مراد الله سبحانه وتعالى ومُراد رسوله ﷺ إلا حينما يستقيم فَهمُه لدلائل الكتاب والسنَّة، بل إن كثيراً من البدع والضلالات لم تَحدُث إلا بسبب سوء الفهم.

قال ابن القيم: «صحَّة الفَهمِ وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عباده، بل ما أُعطِي عبد عطاء بعد الإسلام أفضل ولا أجل منهما، بل هما ساقا الإسلام، وقيامُه عليهما، وبهما يأمن العبد طريقَ المغضوب عليهم الذين فسد طريقهم، وطريق

الضالين الذين فسَدت فُهومهم ويَصير من المنعَم عليهم الذين حسنت أفهامهم وقُصودهم، وهم أهل الصراط المستقيم الذين أمرنا الله أن نَسأله أن يهدينا إلى صراطهم في كل صلاة.

وصحَّة الفهم نور يقذفه الله في قلب العبد يميِّز به بين الصحيح والفاسد، والحق والباطل، والهدى والضلال، والغيِّ والرشاد، ويمدُّه حسن القصد وتَحرِّي الحق والصواب، وتقوى الرب في السر والعلانية، ويقطع عنه اتِّباع الأهواء وإيثار الدنيا وطلب محمَدة الخَلقِ»[(١)].

كما أن سوء الفهم أصل كل بلية، يقول ابن القيم: «سوء الفهم عن الله ورسوله ﷺ؛ أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام، بل هو أصل كل خطأ في الأصول والفروع، ولا سيما إن أضيف إليه سوء القصد»[(٢)].

ومما يدل دلالة واضحة على أهمية الفهم الصحيح للقرآن والسنة: أن الأئمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يهتمون كثيراً بالفهم الجيد، فهذا الإمام أحمد يجلس عند شاب أعرابي يطلب منه العلم فسأله أحد أصحابه: «يا أبا عبدالله تركت ابن عيينة عنده الزهري وعمرو بن دينار وزياد بن علاقة والتابعون ما الله به عليم!!، فقال له: اسكت. **فإن فاتك حديث بعلو تجده بنزول، ولا يضرك في دينك ولا في عقلك، وإن فاتك عقل هذا الفتى أخاف أن لا تجده إلى يوم القيامة**!! ما رأيت أحداً أفقه في كتاب الله عز وجل من هذا الفتى القرشي. فقال: من هذا؟ فقال الإمام: هو محمد بن إدريس الشافعي»[(٣)].

---

(١) إعلام الموقعين ١/ ٦٩.

(٢) الروح لابن القيم ص ٦٣.

(٣) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٧/ ٢٠٣ باختصار.

فالشريعة المطهرة حذرت أشد التحذير من الفهم السقيم وتحريف الكلام، كما قال تعالى عن بني إسرائيل: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦].

«فليس كل من استدل بالقرآن والسنة يُعْتَبَرُ مُحِقّاً؛ إنما المحق الذي يستدل بالنص في مكانه، وبمعناه الصحيح، وبمراد الله، ومراد رسوله ﷺ، فإذا استدل الإنسان بكلام الله على غير مراده فهذا من أعظم الفرية، ومن أعظم الجرم، لأن هذا افتراء على الله ﷻ يُحَمِّلُ كلام الله ما لا يحتمل، فإنه لو أتى إنسان وقال: أنت أردت بكلامك كذا وكذا، على غير مرادك، لقلت له: كذبت أنا ما أردت بهذا الكلام هذا المعنى. فكيف يفتري هؤلاء على الله وعلى رسوله ﷺ، ويَحْمِلُون كلامهما على غير مرادهما، ولهذا لابد من ضوابط وقواعد يُضْبَطُ به الاستدلال بنصوص الوحيين، لنعرف الحق من الباطل، ولنفرق بين المحق والمبطل»[(١)].

المطلب الخامس

الاعتماد على منهج الصحابة رضي الله عنهم في الفهم

للصحابة منزلة جليلة؛ فقد شرَّفهم الله سبحانه وتعالى وأعلى منزلتهم ورفع قدرهم ودرجاتهم وعدَّلهم من فوق سبع سموات؛ قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

---

(١) الضوابط الشرعية لفهم نصوص الكتاب والسنة- محاضرة مفرغة د. حمد بن عبدالمحسن التويجري، منشورة على موقع السكينة.

يقول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من كان منكم متأسياً فليتأسَّ بأصحاب محمد ﷺ فإنهم كانوا أبرَّ هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلَّها تكلُّفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ فاعرِفوا لهم فضلهم، واتَّبعوا آثارهم؛ فإنهم كانوا على الهُدى المستقيم»[(١)].

مِن أجل هذا، فإن فَهم دلائل الكتاب والسنة إنما يؤخذ من الصحابة؛ ففيهم تكلم رسول الله ﷺ وعليهم نزل الكتاب، فهم أعلم الناس بمُراد الله ومراد رسوله، خاصة بعد أن كَثُرت البدع، وقَلَّ العِلم، وفسدت الفهوم، وهُجِرت السنَّة.

وقد صحَّ عن النبي ﷺ قوله: **(فإنه من يعش منكم بعدى، فسيرى اختلافاً كثيراً؛ فعليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة)**[(٢)].

قال شيخ الإسلام: «فمَن فسَّر الكتاب والحديث وتأوَّله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين فهو مُفترٍ على الله، مُلحِد في آياته، مُحرِّف للكلم عن مواضعه، وهذا فتح لباب الزندقة والإلحاد، وهو معلوم البطلان بالاضطرار من دين الإسلام»[(٣)].

قال ابن رجب: «فالعلم النافع من هذه العلوم كلها: ضبْط نصوص الكِتاب والسنَّة

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر ٢/ ٩٧، من طريق قتادة عنه.

(٢) مسند أحمد ٤/ ١٢٦، ١٢٧، سنن أبي داوود، كتاب السنة، باب لزوم السنة (٤٦٠٧)، وجامع الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (٢٦٧٦)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٤٩).

(٣) مجموع الفتاوى ١٣/ ٢٤٣.

وفَهمُ معانيها، والتقيُّد في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم في معاني القرآن والحديث، وفيما ورَد عنهم من الكلام في مسائل الحلال والحرام والزهد والرقائق والمعارف، وفي ذلك كفاية لمن عقل، وشُغْل لمن بالعلم النافع عُني واشتغَل»(١).

المطلب السادس

مَعرفة اللغة العربية

لقد تَنزَّل القُرآن على قَلب الرسول ﷺ بلسان عَربيّ مُبين، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٥]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[يوسف: ٢].

ولكي نفهم دلائل الكتاب والسنَّة على الوجه الصحيح لا بد من معرفة لغة العرب التي نزل بها القرآن والتي خاطب بها رسول الله ﷺ أصحابه؛ ولهذا تواتَر اعتِناء علماء الأمة وأئمتها بلغة القرآن حتى يوضَع خطاب الشارع في موضعه اللائق به شرعاً؛ يقول ابن عبدالبر: «ومما يُستعان به على فهم الحديث العلمُ بلسان العرب ومواقع كلامها وسعَة لغتها وأشعارها، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب إلى الآفاق أن يتعلموا السنَّة والفرائض، واللحن - يعني النحو - كما يتعلم القرآن»(٢).

(١) بيان فضل علم السلف على علم الخلف لابن رجب ص ١٥٠-١٥٢

(٢) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ١١٢٩.

ومن المواقف المهمة التي تبين أهمية المعرفة باللغة العربية وعدم اللحن فيها وأنها سبب للفهم السقيم، ما ورد أن أعرابيًّا قدم في زمان عمر رَضِوَاللَّهُعَنْهُ فقال: من يقرؤني مما أنزل الله على محمد فأقرأه رجل براءة، فقال: إن الله بريء من المشركين ورسوله بالجر، فقال الأعرابي: أو قد برئ الله من رسوله!! إن يكن الله برئ من رسوله فأنا بريء منه، فبلغ عمر مقالة الأعرابي فدعاه فقال: يا أعرابي أتبرأ من رسول الله وقال: يا أمير المؤمنين إني قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن، فسألت من يقرؤني فأقرأني هذا سورة براءة فقال: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾[التوبة: ٣] -أي: قرأه خطأ بكسر لام رسوله-، فقلت أو قد برئ الله من رسوله فإن يكن الله برىء من رسوله فأنا أبرأ منه. فقال عمر: ليس هكذا يا أعرابى، قال فكيف يا أمير المؤمنين قال: إن الله بريء من المشركين ورسولُه، فقال الأعرابي: وأنا والله أبرأ ممن برئ الله ورسوله منه، فأمر عمر بن الخطاب **أن لا يقرئ الناس إلا عالم باللغة**(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمة رَحِمَهُاللَّهُ: «يحتاج المسلمون إلى شيئين: أحدهما: معرفة ما أراد الله ورسوله ﷺ بألفاظ الكتاب والسنة بأن يعرفوا لغة القرآن التي بها نزل وما قاله الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر علماء المسلمين في معاني تلك الألفاظ، فإن الرسول لما خاطبهم بالكتاب والسنة عَرَّفَهم ما أراد بتلك الألفاظ»(٢).

---

(١) كنز العمال لابن عساكر (٤١٥٧)، وجامع الأحاديث للسيوطي ٢٧/ ٤٩٨(٣٠٥٧٥).

(٢) مجموع الفتاوى ١٧/ ٢٥٣.

المطلب السابع

جَمعُ النصوص الواردة في الباب الواحد

تمثِّل النصوص الشرعية وحدةً واحدةً يُكمِّل بعضُها بعضاً، فلا تتَّضح المسألة حتى تستوفي جميع النصوص الواردة فيها، فالنصوص الثابتة تأتَلِف ولا تَختلِف؛ فكلها خرجَت مِن مشكاة، ولا يمكن أن يرد التناقض بينها أو الاختلاف، ولهذا فقد وصَف الله كتابه العزيز بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

إذا تقرَّر هذا؛ فإنه لا يجوز أن يؤخذ نصٌّ ويُترَك نصٌّ آخَر في الباب نفسه؛ لأن هذا يؤدي إلى تقطيع النصوص وبَترِها؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِ﴾[البقرة: ٨٥].

يقول الإمام أحمد: «الحديث إذا لم تجمَع طرقه لم تفهمْه، والحديث يفسِّر بعضه بعضاً»[(١)].

ويقول الإمام ابن تيمية: «إذا ميَّز العالم بين ما قاله الرسول ﷺ وما لم يقله، فإنه يحتاج أن يفهم مُراده ويفقَه ما قاله، ويَجمع بين الأحاديث ويضمَّ كل شكل إلى شَكلِه، فيجمع بين ما جمع الله ورسوله، ويُفرِّق بين ما فرَّق الله ورسوله، فهذا هو العلم الذي ينتفع به المسلمون، ويجب تلقِّيه وقبوله، وبه ساد أئمة المسلمين؛ كالأربعة وغيرهم - رضي الله عنهم أجمعين»[(٢)].

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي ٢/ ٢١٢.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٧/ ٣١٦.

«ومنهج أهل السنة والجماعة الأخذ بجميع النصوص، فأهل السنة يَرْوُون مالهم وما عليهم، أما أهل البدع فإنهم يأخذون من النصوص ما يؤيد بدعتهم بزعمهم ويَدَعُون ما يخالف بدعتهم، وهذا هو الذي يوقع الإنسان في الضلالة والانحراف، ولهذا أمرنا الله -عز وجل- بالرجوع إلى أهل العلم، لأنهم الأقدر والأجدر بالنظر في جميع النصوص، لأن من النصوص نصوصاً عامة ونصوصاً خاصة، ومطلقاً ومقيداً، وناسخاً ومنسوخاً، ومحكماً ومتشابهاً، ولا يُعْرَف هذا إلا من أهل العلم.

فلا بد من الأخذ بجميع النصوص وألا نقتصر على جانب واحد من جوانب النصوص، فالخوارج أخذوا بنصوص الوعيد وتركوا نصوص الوعد، والمرجئة أخذوا بنصوص الوعد وتركوا نصوص الوعيد، والمعطلة أخذوا بنصوص التنزيه وتركوا نصوص الإثبات، والممثلة أخذوا بنصوص الإثبات وتركوا نصوص التنزيه، أما أهل السنة فأخذوا بجميع النصوص»[١].

(١) الضوابط الشرعية لفهم نصوص الكتاب والسنة- محاضرة مفرغة د. حمد بن عبدالمحسن التويجري، منشورة على موقع السكينة.

الفصل الثاني
بيان خصائص الإسلام

وفيه تمهيد وعشرة خصائص:

تمهيد: مفهوم خصائص الإسلام وأهمية بيانها.

- **الخاصية الأولى:** الربانية.
- **الخاصية الثانية:** العالمية.
- **الخاصية الثالث:** الشمولية.
- **الخاصية الرابعة:** التكامل.
- **الخاصية الخامسة:** الواقعية.
- **الخاصية السادسة:** الوسطية.
- **الخاصية السابعة:** التيسير.
- **الخاصية الثامنة:** التدرج.
- **الخاصية التاسعة:** السماحة.
- **الخاصية العاشرة:** العدل.

تمهيد: مفهوم خصائص الإسلام وأهمية بيانها:

أولاً: مفهوم خصائص الإسلام:

الخصائص: «جمع خصيصة، وخَصَّه بالشيء، يَخُصُّهُ خصّاً.. يقال: اختص فلان للأمر وتخصص له: إذا انفرد»[(١)].

و«**التخصيص والاختصاص والخصوصية والتخصص**: تفرد بعض الشيء بما لا يشاركه فيه الجملة، وذلك خلاف العموم»[(٢)]، و«الخصائص: الصفة التي تميز الشيء وتحدده»[(٣)].

وخصائص الإسلام: «خصائصه الخاصة به التي تميزه عن غيره تمييزاً واضحاً بارزاً»[(٤)].

وعلى ذلك فخصائص الإسلام: هي أوصافه ومميزاته ومقوماته التي تفرد وتميز بها عن غيره من الأديان والمذاهب الأخرى.

ثانيا: أهمية عرض خصائص الإسلام علي المدعوين:

خصائص الإسلام لا بد للداعية من معرفتها معرفة جيدة وتفهيمها للناس لأمور:

١- حتى لا يختلط الخبيث بالطيب، والصالح بالطالح[(٥)]:

فمعرفة السمات التي تميز الإسلام عن غيره من الأديان منهج إسلامي أصيل، قال

---

(١) لسان العرب ٧/ ٢٥.

(٢) المفردات في غريب القرآن ص١٤٩..

(٣) المعجم الوسيط ١/ ٢٣٨.

(٤) ينظر: أصول الدعوة؛ عبدالكريم زيدان ص٤٠- ٤١.

(٥) الطالح: طَالِح مفرد: ج طالحون وطُلَّح: شرِّير، فاسد خلاف صالح «لا يعرف الصَّالح من الطّالح- شابٌّ طالح لم يجد من يوجّهه. ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة ٢/ ١٤٠٨.

تعالى: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ﴾ [الأنفال: ٣٧]. وقال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥]

وقبل ذلك في افتتاح المصحف يقول الله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦ – ٧].

وقال تعالى في آخر المصحف: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١ – ٦].

فمعرفة الخصائص تعين على تحديد معالم المنهج الإسلامي، وتمييز هويته في هذا الزمن الذي كثرت فيه الدعاوى، وبغير ذلك سيبقى الغبش والمداهنة واللبس والترقيع.. والإسلام لا يقوم على هذه الأسس الواهنة الضعيفة. حيث أصبحنا نسمع ونقرأ في هذا الزمان من ينسب بعض المناهج المتطرفة التي غلت أو فرطت في دين الله تعالى إلى منهج الإسلام، فيشوهون صورة هذا الدين ويلبسون الحق بالباطل.

٢- إدراك عظمة هذا الدين:

فقد منّ على هذه الأمة بنعمة الإسلام العظيم فأكمله لها وأتمه عليها ورضيه لها فقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فتعريف المدعوين بخصائص الإسلام تعينهم على إدراك عظمة هذا الدين، فيزدادون به يقيناً، فتثبت على الطريق أقدامهم ويغدو استعلاؤهم واعتزازهم بهذا الدين

جبلاً لا تهزه عواطف الشهوات ولا الشبهات ولا الانبهار بزائف الحضارات.

فعظمة هذا الدين تكمن في أنه دين رباني وليس ديناً بشريّاً، وهو دين عالمي شامل متكامل وسطي ميسر واقعي يراعي الفطرة فيقوم على التدرج والسماحة والعدل.. يدرك أنه لا يمكن أن يكون إلا من الله تعالى ليصلح لنا حياتنا ونسعد في الدارين فديننا هو الدين الوحيد الذي يحقق السعادة للفرد والمجتمع لأنه الدين الشامل الذي يتلائم مع الفطرة البشرية لأن الله تعالى هو الذي خلق الكون ويعلم ما يصلحه وما يفسده قال تعالى: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

٣- تتيح لغير المسلمين تكوين صورة صحيحه عن الإسلام:

فإبراز الدعاة لخصائص الإسلام تتيح لغير المسلمين تكوين صورة صحيحة مشرقة متكاملة مترابطة عن الإسلام تجمع بين العقل والنقل والفطرة السليمة، بعيدة عن الإفراط أو التفريط لتزول عن قلوبهم الغشاوة وينجلي عن أبصارهم الغمام فيبصروا حقيقة الإسلام كما هي، ومن ثم يكون ذلك باعثاً لهم حثيثاً لاعتناقه والتمسك به.

ولذلك يسأل كثير من الناس لماذا الإسلام هو خير الأديان؟ لماذا نحن مسلمون؟ وما الذي يختلف في الإسلام عن الأديان الأخرى؟ ولماذا يحارب الإسلام وحده ولا تحارب الديانات الأخرى؟

كل هذه الأسئلة سيتضح الإجابة عنها من خلال دراسة مجموعة من مميزات هذا الدين، والتي نجملها في: الربانية، العالمية، الشمول، والتكامل، والواقعية، والوسطية، والتيسير، والتدرج، والسماحة، والعدل، والرقي، والمثالية وسيكون الحديث عنها في الخصائص العشر(١):

(١) ألفت مؤلفات كثيرة في خصائص الإسلام، وكثير من أفكارها متداخل فيما بينها، فللاستزادة ينظر على =

الخاصية الأولى

الربانية

«الربانية نسبة إلى الربان الذي يرب الناس وهو الذي يصلح أمورهم ويربها ويقوم بها»[(١)]. قال شيخ الإسلام: «الرباني من يرب الناس كما يرب الربان السفينة»[(٢)].

ومعنى ربانية المنهج الإسلامي: أي أن منهج الإسلام منزل من عند الله سبحانه وليس من وضع البشر المتصفين بالعجز والنقص.

فالربانية التي هي من خصائص منهج الإسلام تعني أمرين: الأول: ربانية المصدر، أي أنه من عند الله تعالى. **والثاني:** ربانية القصد، أي عبادة الله وحده لا شريك له.

وتوضيح ذلك:

المحور الأول: ربانية المصدر:

بمعنى أن الإسلام مصدره من الله، من خلال القرآن المنزل وسنة الرسول الخاتم ﷺ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:. وقال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

=سبيل المثال: خصائص الشريعة الإسلامية د. عمر الأشقر، خصائص الشريعة الإسلامية ومميزاتها السيد سابق، والخصائص العامة للإسلام د. يوسف بن عبدالله، وخصائص الإسلام الذي ندعو إليه د. إسماعيل على محمد، وبحث: الخصائص العامة للإسلام د. إبراهيم بن حماد بن سلطان الريس منشور على موقع الألوكة.

(١) جامع البيان للطبري ٣/ ٣٢٧.

(٢) مجموع الفتاوى ١/ ٦٢.

وخاصية الربانية هي الخاصية الأم التي تتفرع عنها كل الخصائص الأخرى، ويمكن اعتبار الخصائص الأخرى نتاج هذه الخاصية، فربانية المصدر لها دلالات كثيرة تؤثر في عملية الدعوة أجملها في النقاط التالية:

✧ أولاً: ربانية الإسلام هي التي صاغت منهجه القويم:

وهذه الصياغة كانت وفق علم الله المحيط بالكائن المنزل عليه ذلك المنهج، بصفاته وأحواله وطبيعته وغرائزه وجبلته ومواطن ضعفه وقوته وما يصلحه وما يقيمه وينهض لمهمته، فجاء متناغماً متسقاً ملائماً لتلك الطبيعة البشرية، فالذي وضعه هو القائل عن نفسه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

فهو الذي يعلم عن الإنسان ما لا يعلمه عن نفسه. فهو منهج رباني ملائم لطبيعة المكلفين ولا يفرض عليهم إلا ما فيه نفع لهم ولا يمنع عنهم إلا ما فيه شر لهم، فهو الأنسب لكل البشر ويستحيل أن تتعارض شرائعه مع فطرة الإنسان كما فعلت المذاهب الوضعية المعاصرة.

✧ ثانياً: المنهج الإسلامي مبرأ عن الهوى الإنساني:

فالإسلام هو المنهج الوحيد المبرأ من الهوى والضعف الإنساني، والرغبة في النفع الذاتي لشخص المشرع، أو لأسرته، أو لطبقته، أو لجنسه،..

فواضع المنهج الإسلامي هو الله. وهو سبحانه رب البشر أجمعين فهو لا يشرّع ليحابي نفسه، ولا ليحابي طبقة من البشر على طبقة أخرى ولا ليحابي جنساً على جنس.

✧ ثالثاً: ربانية المنهج الإسلامي تجعله في عصمة عن النقص والخلل:

قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]. فالقصور البشري يعتري كل المناهج الأخرى التي هي من نسج البشر، فمهما اتسم واضعيها بالحيادية والعدالة والعقلانية فمحال أن يستوعب كل البشر وكل احتياجات البشر ويراعي المكان والزمان الذي يعيش فيه البشر.

✧ رابعا: إن الإسلام هو المنهج الوحيد غير المحرف والمبدل:

قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، فلم يختلط بأوهام البشر وأغلاط البشر وانحرافات البشر حيث إن النظم القائمة كلها – عدا دين الله تعالى الإسلام – لا تخرج عن أحد هذه الأصناف الثلاثة:

١- منهج ديني محرَّف، اختلط فيه كلام الله تعالى بكلام البشر وأهوائهم، ومثاله: اليهودية والنصرانية.

٢- منهج ديني بشري، فيه القيام بأداء طقوس تعبدٍ وتألهٍ يؤديها الإنسان لمألوه أو لعدد من الآلهة؛ من صنع البشر، فليس له أصل من عند الله تعالى، مثل: الهندوسية، البوذية، عبادة الشيطان، عبادة الأصنام، وغيرها.

٣- منهج مدني بشري خالص. فهو مدني لأنه نظام حياة دنيوية؛ يُعنى بتنظيم حياة الإنسان الدنيوية وتحقيق مصالحه وفق ضوابط وقيود دنيوية، مصدره البشر، أفراداً أو جماعات، مثل الشيوعية، الرأسمالية، الوجودية.

ويبقى الإسلام وحده بصفائه ونقائه وسموه وكماله من بين سائر المناهج والأديان هو الباقي في خضم الصراعات الثقافية والفكرية والحضارية لربانيته.

✧ خامسا: الإسلام دين الله فهو ناصره ومؤيده:

فالدين هو دين الله وهو ناصر دينه وأولياؤه الذين اصطفاهم لتبليغه، مهما تظاهر عليهم الأعداء، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢ – ٣٣].

«فإضافة النور إلى اسم الجلالة إشارة إلى أن محاولة إطفائه عبث، وأن أصحاب تلك المحاولة لا يبلغون مرادهم»[(١)].

إنه هو الوعد الحق من الله، الدال على سنته التي لا تتبدل، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

فالله تعالى جعل لنصر دينه سنن لا تحابي أحداً، فلا ينصر هذا الدين بين قوم قصروا فيه أو خذلوه، وإنما يمكن لدينه مع الفئة العالمية المضحية المؤمنة حق الإيمان.

⇦ المحور الثاني: ربانية القصد:

أي أن الإسلام يجعل غايته الأخيرة وهدفه البعيد هو رضا الله تعالى ونيل مرضاته بتحقيق العبودية الخالصة لله وحده لا شريك له، وبهذا يعرف الإنسان أن لوجوده غاية فيشعر أن لحياته قيمة ومعنى وأنه ليس ذرة تافهة في الفضاء ولا مخلوقاً سائباً هملاً.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾[الانشقاق: ٦]، وقوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢]. فطالما أننا سنرجع إلى الله فالله تعالى لم

---

(١) التحرير والتنوير ١٠/ ١٧٢.

يخلقنا عبثاً بل خلقنا لعبادته قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

ولا جدال في أن للإسلام غايات وأهدافاً أخرى إنسانية واجتماعية، ولكن عند التأمل، نجد هذه الأهداف في الحقيقة خادمة للهدف الأكبر، وهو مرضاة الله تعالى، وحسن مثوبته. فهذا هو هدف الأهداف، أو غاية الغايات.

ففي الإسلام تشريع ومعاملات، ولكن المقصود منها هو تنظيم حياة الناس حتى يستريحوا، ويبرأوا من الصراع على المتاع الأدنى، ويفرغوا لمعرفة الله تعالى، وعبادته، والسعي في مراضيه.

وعلى سبيل المثال ففي الإسلام جهاد وقتال للأعداء، ولكن الغاية هي: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

وفي الإسلام حث على المشي في مناكب الأرض، والأكل من طيباتها، ولكن الغاية هي القيام بشكر نعمة الله وأداء حقه: ﴿كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥].

وكل ما في الإسلام من تشريع وتوجيه وإرشاد، إنما يقصد إلى إعداد الإنسان ليكون عبداً خالصاً لله، لا لأحد سواه. ولهذا كان روح الإسلام وجوهره هو التوحيد.

الخاصية الثانية

العالمية

يقصد بالعالمية: توجه عقيدة الإسلام وكتابه وأحكام الاسلام وتشريعاته وتوجيهاته للناس كافة على اختلاف أجناسهم، عن طريق رسول خاتم للعالمين(١).

ويمكن بيان هذه الخاصية في النقاط التالية:

أولا: مظاهر عالمية الإسلام:

١ - عالمية عقيدة الإسلام:

فأما عالمية عقيدته، فلأنها عقيدة كل الأنبياء والمرسلين على تنوع شرائعهم وتباين أزمانهم وأقوامهم، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

فالتوحيد قاعدة الانطلاق وأساس الدعوة القويمة منذ أن بعث الله الرسل للناس، لا تبديل فيها ولا تحويل. توحيد الإله وتوحيد المعبود، فلا انفصال بين الألوهية والربوبية.

فعقيدة الإسلام هي عقيدة كل الأنبياء الله لا يقبل الله من أحد سواها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾[آل عمران: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

---

(١) ينظر: كتاب معالم في أصول الدعوة ص ١٦٥ وما بعدها في بعض أفكار هذه الخاصية.

٢- عالمية شريعة الإسلام:

وأما عالمية **شريعته المطهرة** فلأنها الشريعة المهيمنة الخاتمة إلى الناس كافة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ ٢٨]، فلم يستثن الله ﷻ أحداً.

وهذا يعني أن الاسلام رسالة للناس كافة على اختلاف ألوانهم وألسنتهم وبلدانهم وعلى امتداد الزمن من بعثة النبي ﷺ إلى يوم الدين، فلا تنحصر رسالة الإسلام في بلد ولا عرق ولا جنس ولا لون ولا عصر.

٣- عالمية رسول الإسلام:

وأما عالمية رسوله ﷺ، فلقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف١٥٨] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء١٠٧].

وقال رسول الله ﷺ: **(أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي..)** وذكر منها: **(وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة)**(١).

وفي لفظ: **(..وبعثت إلى كل أحمر وأسود)**(٢).

وقال ﷺ: **(والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار)**(٣).

(١) صحيح البخاري، كتاب المساجد، باب: **(جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً)** (٤٣٨)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب **(جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً)** (٥٢١).

(٢) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً (٥٢١).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب إيمان أهل الكتاب برسالة الإسلام (١٥٣).

٤- عالمية القرآن:

وأما عالمية **كتابه الكريم** فلأنه آخر الكتب الإلهية نزولاً، والناسخ لما سبق منها، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان١]. وقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [يوسف ١٠٤]. فهذا النص مكي، وله دلالته على إثبات عالمية هذه الرسالة منذ بدايتها، فقد بين الله تعالى أنها للعالمين مع أن الرسول ﷺ كان يواجه في مكة بالتكذيب والمقاومة والجحود.

ثانياً: شواهد عملية على عالمية الإسلام:

١- العالمية في رموز وقادة الإسلام:

وقد تجسدت عالمية الاسلام على مر العصور في رموز كثيرة مسلمة، آمنت بالإسلام ونصرته كبلال الحبشي وصهيب الرومي(١)، وسلمان الفارسي وعمر بن الخطاب القرشي، ومحمد بن إسماعيل البخاري، وابن حجر العسقلاني، وشيخ الإسلام بن تيمية الدمشقي.. ومحمد الفاتح التركي، وصلاح الدين الأيوبي الكردي..

٢- رسائل النبي ﷺ لملوك عصره:

أضف إلى هذا كتب الرسول ﷺ إلى ملوك وأمراء عصره يحثهم فيها على اعتناق الاسلام، فقد أرسل إلى كسرى ملك الفرس، والقيصر عظيم الروم، والمقوقس ملك مصر والنجاشي ملك الحبشة.. وقد انتشر الاسلام في شبه الجزيرة العربية، ووصلت الفتوحات الاسلامية إلى مصر وشمال إفريقية والشام وبلاد فارس، ولازال الإقبال على الاسلام في كل أرجاء الكرة الأرضية مصداقاً لبشرى الله ورسوله، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ

---

(١) يقال صهيب الرومي، لأنه أقام في الروم، ولكنه من العراق، وسبي وأتوا به إلى مكة، وهو عربي.

ﭐلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣]. وقول ﷺ: **(ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار..)**[(١)].

٣- السعة في الشريعة:

فمما يثبت عالمية الإسلام تلك السعة في شريعته التي تؤكد على رفع الحرج، وجلب التيسير عند المشقة، وتغير الفتوى بتغير معطياتها زماناً ومكاناً وحالاً وهذا الذي على مثله يؤمن الناس بالإسلام.

فتتحقق مصالحهم في العاجل والآجل ليس فقط بحفظ الضرورات، وإنما برعاية الحاجيات والتحسينات أيضاً، مع تشريع الرخص المبيحة للمحرمات عند وجود المشقات البالغة أو الضرورات.

ثالثاً: واجب الدعاة تجاه عالمية الإسلام:

مع التنبيه إلى أن تلك العالمية تُلزم المسلمين عامة، والدعاة خاصة أموراً، منها:

- أن يحملوا هَمّ إيصال هذا الدين لكافة الخلق.
- وأن لا يفرق في بذل الخير بين أحد من الناس لاعتبارات عرقية أو إقليمية أو مذهبية.
- والعمل على توحيد المسلمين في كل مكان، وجمع كلمة المسلمين وإقامة اتحادات إسلامية عالمية قوية، ومناصرة قضايا المسلمين المعاصرة في أي بلد كانوا.

على الدعوة أن تستفيد من كل الوسائل والإمكانات المتاحة لإصلاح دين العالمين ودنياهم، وتحقيق الاستخلاف في الأرض.

---

(١) مسند أحمد ٢٨/ ١٥٥ (١٦٩٥٦)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ١٤، وقال: رواه أحمد والطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

الخاصية الثالثة

الشمولية

أولاً: مفهوم شمولية المنهج الإسلامي وأصالته:

يقال اشتمل بثوبه: أداره على جسده كله حتى لا تخرج منه يده، وشمله احتواه، وتضمنه[(١)]. فالشمولية هي الاحتواء والتضمين.

فالشمول: يعني أن الإسلام طريقة ومنهج حياة للفرد والأسرة والمجتمع والدولة، قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[الأنعام: ١٦٢].

وشمولية رسالة الإسلام تعني: احتواء وتضمن رسالة الإسلام لكل ما يمكن أن يحتاجه الإنسان. فهي إحاطة أحكام الإسلام وتشريعاته بكل مجالات الحياة، قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأنعام: ٣٨]أي: «ما فرطنا في شيء بكم إليه حاجة إلا بيناه في الكتاب إما نصًّا وإما مجملاً وإما دلالةً»[(٢)].

وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا﴾ [الإسراء: ١٢]. وقال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ [النحل: ٨٩].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «أنزل في القرآن كل علم، وبين لنا فيه كل شيء، ولكن علمنا يقصر عما بين لنا في القرآن»[(٣)].

---

(١) ينظر: المعجم الوسيط ١/ ٣٩٥، القاموس الفقهي، سعدي أبو جيب ص٢٠١.

(٢) زاد المسير، ابن الجوزي، ٣/ ٣٤.

(٣) جامع البيان ١٧/ ٢٧٩، الإبانة لابن بطة ٦/ ١٤٨ (٤٢٤).

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نزل عليك يا محمد هذا القرآن بياناً لكلّ ما بالناس إليه الحاجة من معرفة الحلال والحرام والثواب والعقاب»[١].

وقال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لما كان هذا القرآن ﴿تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ [النحل ١٨٩] صار حجة الله على العباد كلهم، فانقطعت به حجة الظالمين وانتفع به المسلمون فصار هدًى لهم يهتدون به إلى أمر دينهم ودنياهم، ورحمة ينالون به كل خير في الدنيا والآخرة، فالهدى ما نالوه به من علم نافع وعمل صالح»[٢].

فالقرآن الكريم فيه تبيان لكل شيء، حيث يقدم القواعد الكلية والخطوط الرئيسية والمرجعيات والمعايير الكلية للعيش في الحياة الدنيا، كما يتدخل في بعض التفاصيل ليقررها مباشرة لسبب ما في علم الله كما في آيات المواريث وآيات الدين.

والتشريع الإسلامي شاملاً لأمور، منها: تشريعات اجتماعية تضبط علاقات الأسرة والمجتمع، وهناك تشريعات مالية تضبط الاقتصاد ودورة المال وهناك تشريعات تعبدية تُوضِّح الشعائر والنسك، وهناك تشريعات جنائية تُوضِّح أحكام الحدود والقصاص، وهناك تشريعات مدنية كالميراث، وأخرى دولية في علاقات الدول والمعاهدات.

ثانياً: كلام لابن القيم حول شمولية الإسلام:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فسبحان الله الذي جعل شريعته الكاملة قياماً للناس وغذاء لحفظ حياتهم، ودواء لدفع أدوائهم، وظله الظليل الذي من استظل به أمن من الحرور[٣]، وحصنه الحصين الذي من دخله نجا من الشرور.

---

(١) جامع البيان ١٧/ ٢٧٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٤٦.

(٣) أي: الموضع الذى اشتد فيه الحر. ينظر: المحكم والمحيط الأعظم ٢/ ٥١٧.

والحمد لله الذي نزه شريعته عن هذا التناقض والفساد، وجعلها كفيلة وافية بمصالح خلقه في المعاش والمعاد.. هي شريعة مؤتلفة النظام، متعادلة الأقسام، مبرأة من كل نقص، مطهرة من كل دنس مسلمة لا شية[١] فيها، مؤسسة على العدل والحكمة، والمصلحة والرحمة، قواعدها ومبانيها، إذا حرمت فساداً حرمت ما هو أولى منه أو نظيره، وإذا رعت صلاحاً رعت ما هو فوقه أو شبهه. فهي صراطه المستقيم الذي لا أمت فيه ولا عوج، وملته الحنيفية السمحة التي لا ضيق فيها ولا حرج، بل هي حنيفية التوحيد سمحة العمل، لم تأمر بشيء فيقول العقل لو نهت عنه لكان أوفق، ولم تنه عن شيء فيقول الحجا[٢] لو أباحته لكان أرفق، بل أمرت بكل صلاح، ونهت عن كل فساد، وأباحت كل طيب، وحرمت كل خبيث، فأوامرها غذاء ودواء، ونواهيها حمية وصيانة، وظاهرها زينة لباطنها، وباطنها أجمل من ظاهرها، شعارها الصدق، وقوامها الحق، وميزانها العدل، وحكمها الفصل»[٣].

✍ ثالثاً: لماذا يخافون من شمولية الإسلام:

فشمولية المنهج الإسلامي ضد اختزال الدين في العقيدة والعبادة والأخلاق وصرفه عن المعاملات والأحكام والقوانين وتنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم وطريقة الإدارة التي تعرف بالسياسة والحكم والتقنين والاقتصاد وغيرها..

ولولا فهم قوم شعيب ذلك ما حاربوه وعابوا دعوته كما قال تعالى: ﴿ قَالُواْ

---

(١) الشية: كُلُّ لَوْنٍ يُخَالِفُ مُعْظَمَ لَوْنِ الْفَرَسِ وَغَيْرِهِ. أي: ليس فيها عيب ولا علامة تشوه الشريعة وتسوئها، ينظر: مختار الصحاح ص٣٣٩.

(٢) الحِجَا: الْعقل والفطنة. المحكم والمحيط الأعظم ٣/ ٤٥٩.

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين ٣/ ١٦٢.

﴿يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧].

وقد فهم كفار قريش شمولية الإسلام فحاربوا محمداً ﷺ ورسالته، فقريش كانت تؤمن بالعلمانية التي تتيح حرية العقيدة والعبادة والأخلاق بشرط ألا تتدخل في المعاملات، فتركت الصابئين ومن هم على دين إبراهيم عليه السلام ومن آمن باليهودية والنصرانية دون حرب أو مواجهة رغم اختلافهم معهم في العقيدة والعبادة، كورقة بن نوفل وغيره، وقبلت من أبي بكر أن يتعبد الله داخل داره، وهذا ما يعبر عنه العلماء بتوحيد الربوبية الذي آمن به مشركو قريش، ورفضوا توحيد الألوهية قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾[العنكبوت ٦١][1].

نزل القرآن يدعو للتوحيد وإقامة حياة متكاملة تحكمها الشريعة الإسلامية، قال تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ﴾[المطففين١-٣]، فالتصدي للتطفيف في الميزان في سورة مكية يدل على طبيعة هذا الدين وشمول منهجه للحياة الواقعية وشؤونها العلمية وإقامتها على الأساس الأخلاقي العميق الأصيل في طبيعة هذا المنهج الإلهي القويم.

فالسورة المكية عادة توجه اهتمامها إلى أصول العقيدة الكلية مع العناية بالتوجيهات الأخلاقية وربطها بأصول العقيدة. أما التصدي لمسألة بذاتها من مسائل الأخلاق- كمسألة التطفيف في الكيل والميزان- والمعاملات بصفة عامة، فأمر جاء في السورة المدنية لتنظيم حياة المجتمع في ظل مجتمع مسلم.

(١) مقال بعنوان الإسلام والحياة، د. علاء سعد حسن، منشور على موقه رابطة أدباء الشام.

رابعاً: مجالات الشمول وأنواعه:

الإسلام لم يترك كبيرة ولا صغيرة في أي شأن من شؤن الحياة إلا ونظمه، وبمراجعة مرجعي الإسلام الرئيسيين القرءان الكريم والسنة المطهرة نجد أنهما ما تركا شيئاً إلا وتناولاه تفصيلاً أو إجمالاً، مع دعوة العلماء إلى الاجتهاد والقياس ورعاية المصالح، مما يسر للفقهاء أن يقعدوا قواعد الفقه العامة مع المرونة التي تستوعب كل حادثة في أي زمان ومكان فشرع الإسلام في العقيدة وفي العبادة وفى الأخلاق وفي السياسة وفى القضاء وفي الاقتصاد وفي الحرب وفي السلم وفي التربية وفي التعليم وفي الفن وأنشأ دولة وأقام أمة.

ففي العقيدة تحدث عن توحيد الله وأسمائه وصفاته والجنة والنار والحساب والحشر والميزان والشفاعة والملائكة والجن والموت والقبر والساعة وأشراطها وعلاماتها والبعث.

وفي العبادة تحدث بشمول عن العبادات وأنواعها وأحكامها من صلاة وصيام وزكاة وحج ونذر وطواف.

وفي الأخلاق يجعل الأخلاق ثمرة العقيدة السليمة والعبادة الصحيحة، ويدعو إليها بمحكم القرآن والذي لا يقبل نسخاً ولا تخصيصاً ولا تأويلاً، ويجعلها أزكى الأعمال في ميزان المؤمن يوم القيامة.

وفى السياسة تحدث عن الحكم بما أنزل الله وعن الشورى، وأوجب على الحاكم المساواة بين الرعية في الحكم والقضاء وفي التوزيع العادل للثروة.

وفى **الاقتصاد** بنى الإسلام منهجاً اقتصاديًّاً متكاملاً كما بنى مناهج السياسة

والأخلاق والتربية، فحرم الربا وأوجب الزكاة وشرع كتابة الدين وقنن المعاملات المالية كالشركات ونحوها ودفع إلى العمل وأوجب تنمية الثروة وحارب الفقر.

وفى **الحرب** حدد أهدافها وشرع وسائلها وعلم أخلاقها.

وفى العلاقات **الخارجية** بين كيفية التعامل مع الأعداء ومع غيرهم من المسالمين وحقوق كل فئة وكيفية التعاون المشترك ومبدأه.

ومن الشمولية: شمولية أنشطة الإنسان المختلفة، فتعرض الإسلام لنشاط الإنسان من حيث نموه وأطواره، ومن حيث تركيبه وتكوينه، وجنسه وبلده والعلاقة بين كل جنس وأهل بلد، ومن حيث مسؤولية كل إنسان الفردية والجماعية، وكل ما يتعلق بعمل الإنسان وكسبه وسعيه في الأرض.

فالإسلام هو العقيدة المثلى للفرد والجماعة، يهتم بالروح والجسد، والدنيا والآخرة، يراعي حال السلم والحرب ويضبط التعامل فيها، وينظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم.

إن شمول العقيدة في توجيهاتها الفردية والاجتماعية هو السمة الخاصة في الإسلام، فتتعامل مع الإنسان بشمولية تقيه الانفصال والتباين.

ومن هنا فالواجب عدم تجزئة الإسلام والعمل على التعريف به عقيدة وعبادة وشريعة، فهو دين الله الكامل الشامل الذي ارتضاه للناس جميعاً، ولا يقبل منهم غيره، قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣].

الخاصية الرابعة

التكامل

من خصائص الإسلام **التكامل** في المنهج الإسلامي، أي: أن كل أمر أو توجيه فيه يتكامل مع أمر وتوجيه آخر، قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة: ٣]. يقال: تكاملتِ الأشياءُ: كمَّل بعضُها بعضاً بحيث لم تحتج إلى ما يُكمِّلها من خارجها[1].

وتتضح هذه الخاصية في أمرين:

الأول: التكامل في العبادة والتشريع:

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٢ – ٤].

إن الصفة الأولى للمتقين الإيجابية، فيجتمع فيهم الإيمان بالغيب، والقيام بالفرائض، والإيمان بالرسل كافة، واليقين بعد ذلك بالآخرة، وهذا هو الكمال الذي تمتاز به العقيدة الإسلامية، والنفس المؤمنة بهذه العقيدة، ولهذا كانت هذه العقيدة جديرة بأن تكون عالمة وخاتمة ومهيمنة، وليعيش الناس في ظلالها بمنهج حياة متكامل، وشامل للشعور والعمل، والإيمان والنظام.

وقد شرع الله تعالى مجموعة من العبادات الأساسية التي لا بد لكل مسلم القيام بها، ولا يجوز لأحد أن يقوم بها مقام غيره مثل عبادة الصلاة والزكاة الواجبة والصوم، أما الحج فإنه يجوز أن ينوب أحد عن أحد في أدائها متى تعذر ذلك لمرض لا يرجى برؤه أو موت.

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة ٣/ ١٩٥٩.

وهناك عبادات يمكن أن يقوم بها أناس نيابة عن إخوانهم، وهو ما يعبر عنه الفقهاء بالواجب الكفائي إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين، كصلاة العيدين والكسوف والخسوف فهذا من مظاهر التكامل الذي يرفع الله به الحرج عن الأمة.

ومن جانب آخر: وهو أن من الصعب بل من المستحيل أن يتم فصل الدين عن الدنيا أو التشريع عن التنفيذ أو الإيمان عن الحياة في النظام الإسلامي، فلقد جعل الإسلام تشريعاته متداخلة متكاملة يؤدي بعضها إلى بعض بحيث لا يمكن اجتزاء الدين، ولو حدث لكان الهلاك والضياع.

ومن أمثلة ذلك فريضة الزكاة: فهي عبادة مالية، وقد تحتاج إلى جهاز إداري ونظام محاسبي يحدد ممن تجبى منه ولمن تعطى، وفي هذا يقول تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: من الآية ١٠٣] فواجب على الحكام جمعها وتوظيف من يقوم على جمعها والإشراف على صرفها حتى لو احتاج الحاكم لتفريغ من يقوم بذلك فإن له أن يعطيه من الزكاة فمن مصارف الزكاة ﴿وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ [التوبة: ٦٠].

وكذلك حث الإسلام على الزواج والاستعفاف فقال: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ [النور: ٣٢]، فوضع شروطاً لهذا الزواج ابتداء كالولي والشهود، ووضع شروطاً لاستمرار الحياة هانئة مطمئنة بقوله: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

ثانياً: التكامل في تلبية احتياجات الأمة:

ويتضح هذا الأمر في موضوع طلب العلم والجهاد في سبيل الله، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[التوبة: ١٢٢]. فقد أَمَرَ الله تعالى بتخصيص قوم لطلب العلم: قال ابن عاشور: أي «أنه كما كان النفْرُ للغزو واجباً لأن

في تركه إضاعة مصلحة الأمة؛ كذلك كان تركه من طائفة من المسلمين واجباً لأن في ذهاب جميع المسلمين للغزو إضاعة مصلحة للأمة أيضاً، **فأفاد مجموع الكلام أن النفْر للغزو واجب على الكفاية، أي على طائفة كافية لتحصيل المقصد الشرعي منه، وأن تركه متعين على طائفة كافية منهم لتحصيل المقصد الشرعي مما أمروا بالاشتغال به من العلم في وقت اشتغال الطائفة الأخرى بالغزو..** ولذلك كانت **هذه الآية أصلاً في وجوب طلب العلم على طائفة عظيمة من المسلمين وجوباً على الكفاية»**[١].

فالأمة المسلمة تتكامل فيكون منها طالب العلم ويكون منها المجاهد، فينفر لطلب العلم الشرعي طائفة وطلب العلوم الأخرى التي تقيم الحياة طائفة أخرى، فلا بد من وجود الطبيب المسلم والطبيبة المسلمة والمهندس المسلم والمترجم المسلم..

ويظهر التكامل جليّاً كذلك في توظيف الطاقات وتوزيعها ليكمل كل مسلم أخاه في تحقيق الخلافة في الأرض، فهذا رسول الله ﷺ يوزع الجهود للتكامل الأمة فيقول: **(أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقضاهم علي بن أبي طالب، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، ألا وإن لكل أمة أميناً، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح)**[٢].

وبذلك تتكامل الأمة فلا يطلب من كل مسلم أن يكون فيه كل تلك الصفات والمهارات ولكن لا بد من التخصص لتحقيق التكامل لتلبية احتياجات الأمة.

---

(١) التحرير والتنوير ١١/ ٦٠-٦١.

(٢) سنن ابن ماجه، افتتاحية الكتاب، باب فضل زيد (١٥٤)، مسند أحمد ٣/ ٢٨١(١٤٠٢٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٢٢٤).

الخاصية الخامسة

الواقعية

⌑ أولاً: مفهوم الواقعية في الإسلام ومخالفة الأديان الأخرى لذلك:

الإسلام بما أنه شامل وعالمي فإنه يراعي واقع الحياة التي يعيش فيها الإنسان، فالشرائع التي في الإسلام ملائمة لفطرة الإنسان وواقعه وحياته، ولهذا فهي الشريعة القادرة على إسعاد البشرية كلها، «فنظرة الإسلام للإنسان تقوم على مبدأ الواقعية فلا إغراق في المثالية، ولا سقوط في المادية، ولا إنكار لحاجات الإنسان وغرائزه، ولا إفراط في المتع واللذائذ الشهوانية»(١).

فعالمية الرسالة تلزم أن يكون الإسلام واقعيًّا صالحاً لكل زمان ومكان من خلال التلقي والعمل، وكلُّ تشريع لا يخاطب واقع الناس فمحكوم عليه بالفشل.

لقد جاءت النصرانية بالرهبنة فخالفت فطرة الإنسان، فكان نتاجها شذوذاً واغتصاباً للأطفال وحالات حمل من سفاح بين الراهبات تدل عليها بعض التقارير(٢).

وجاءت الشيوعية معتبرة الإنسان ترساً في آلة يعمل للجميع ولا يعود عليه عمله، فخالفت فطرة الإنسان فكان نتاجها سقوطاً مدويًّا وتخلفاً كبيراً.

واعتبرت قيم الغرب الإنسان حيواناً ناطقاً، فأطلقت العنان للشهوات دون قيد ورقيب، فكان الانهيار الأخلاقي والمجتمعي.

---

(١) معالم في أصول الدعوة ص١٧٣

(٢) ينظر على سبيل المثال تقرير: الاعتداءات الجنسية على الراهبات في الكنائس، منشور على موقع طريق الإسلام.

والإسلام جاء ليشرع للإنسان تشريعات تخص روحه وجسده، غرائزه وأخلاقه، عواطفه وانفعالاته؛ جاء الإسلام ليخرج كوامن الخير في الإنسان ويضبط نوازع الشر.. جاء الإسلام ليخاطب الإنسان كما خلقه اللطيف الخبير، فكان مصلحاً له وصالحاً في كل زمان ومكان(١).

¤ ثانياً: مظاهر تطبيق الإسلام للواقعية(٢):

ولأنه تشريع كل زمان ومكان، فقد وضع أساس الكليات ولم يتعرض للتفصيلات، وحدَّد الثوابت وترك المتغيرات. فالكليات في التشريع هي مقاصده، وهي حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال والتفصيلات حول كيفية التنفيذ ووسائل التطبيق.

وحدد ثوابت لا تتغير فالصدق فضيلة والكذب رذيلة لا يتغير هذا على مدار الزمن، ومهما تباعدت العصور، والزنا فاحشة وساء سبيلاً؛ يُعاقب فاعله ويُثاب تاركه.

الشواهد على الواقعية في التشريع الإسلامي ومنها: تشريع الرخص حال الاضطرار أو الاحتياج، وتشريع التوبة من الذنوب وتشريع الكفارات لبعض المخالفات التماساً للسلامة من تبعاتها وإشاعة للبر والخير والإحسان، وتشريع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومراتبه وأحواله من حيث الوجوب والاستحباب والجواز والحرمة، واعتبار الزمان والمكان في التربية والتعليم والأمر والنهي والفتوى، مع تشريع المرحلية في الدعوة والتغيير والإصلاح والإنكار.

والإسلام أقر **التفاوت الفطري والعملي** بين الناس، فليس كل الناس في درجة واحدة من حيث قوة الإيمان والالتزام بما أمر الله به من أوامر، والانتهاء عما نهى عنه من نواه والتقيد بالمثل العليا.

(١) ينظر: خصائص المنهج الإسلامي، د. أمير بسام، مقال منشور على موقع نافذة مصر.

(٢) بعض أفكار هذه النقطة من مقال بعنوان: من معالم دين الواقعية- منشور على موقع التوحيد والاصلاح.

وتتجلى الواقعية **في العبادات** من حيث مراعاتها لظروف الإنسان وطاقاته ومشاغله، قال تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾[المزمل: ١٨].

كما روعيت فيها **الطبيعة النفسية** للإنسان وما يعتريه به من ملل فوزعت على الزمن، فكان بعضها سنويًّاً، وبعضها مرة في العمر، وبعضها شرع عدة مرات في اليوم، كما كان بعضها بدنيًّاً، وبعضها ماليًّاً، والبعض الآخر يجمع بين الأمرين.

ومن مظاهر الواقعية **في التحليل والتحريم** أن الشريعة لم تحرم إلا ما فيه ضرر على الإنسان، وأحلت ما فيه له منفعة، قال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقُدِّرت الضرورات التي تعرض على الإنسان فرخصت له تناول المحرمات عند الاضطرار: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩].

ومن واقعية الشريعة في **المجال الاجتماعي والاقتصادي**، أنها اعترفت بالدافع الفطري الواقعي في نفس الإنسان: واقع حب التملك فأقرت مبدأ الملكية الفردية وما يترتب عليه من حق التصرف في الملك وحق الإرث له، ولكنها لم تنس واقعاً آخر هو مصلحة المجتمع وحقوقه وحاجات الفئات الضعيفة من أبنائه، فلهذا قيدت هذه الملكية بقيود في اكتساب المال، وفي تنميته، وفي الاستمتاع به، وفي التصرف فيه، وأوجبت فيه حقوقاً لله وللناس.

ومن واقعية الشريعة الإسلامية في **تشريعات الزواج والأسرة**، أنها راعت قوة الدوافع الجنسية لدى الإنسان، وذلك بشرعية «نظام الزواج»، دون أن يعني ذلك

إطلاق هذا الدافع الفطري من أي ضوابط محققة لمقاصده، ولكن كان تشريعه بطريقة ترفع الإنسان عن الحيوان بما يليق بكرامته وخلافته في الأرض.

وكون الإسلام يتعامل بواقعية مع الإنسان، لا يعني موافقته في كل رغباته وتطلعاته، بل يريد أن يسمو به إلى درجات من التكامل والانسجام مع طبيعة الفطرة التي فطر عليها من غير تأثير أو تغيير.

⌑ ثالثاً: نماذج عملية للواقعية في الإسلام:

ومن النماذج التي تدل على واقعية الإسلام:

١ - الأمر بصلاة الجمعة والانتشار بعدها لطلب فضل الله:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الجمعة: ٩ – ١٠].

«إنها دعوة إلى العمل وإلى السعي إليه، كما سعى المؤمنون إلى الصلاة. فالسعي إلى العمل أداء لحقّ النفس، وحقّ الأهل والولد، كما أن السعي إلى الصلاة أداء لحق الله سبحانه وتعالى وكلا الحقّين واجب الأداء، فمن قصّر في أحدهما حوسب عليه حساب المقصّرين.

ودعوة إلى أن يملأ المسلمون وجوه الأرض سعياً وعملاً، وأن يأخذوا بكلّ ما يمكّن لهم منها، ويقيم لهم فيها المقام الكريم، وألا يقْصُروا جهدهم على جانبٍ منها، أو في ميدانٍ من ميادينها، بل ينبغي أن يكون لهم في كل ميدانٍ مجال، وفي كل موقعٍ عمل»[١].

(١) التفسير القرآني للقرآن- لعبدالكريم الخطيب ١٤/ ٩٥٢-٩٥٣.

٢- الرخصة في ابتغاء فضل الله في الحج:

يقول الله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [البقرة: ١٩٨].

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «كانت عكاظ ومجنة، وذو المجاز أسواق الجاهلية، فتأثموا أن يتجروا في المواسم فنزلت: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ في مواسم الحج(١).

يقول الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أخبر تعالى أن ابتغاء فضل الله بالتكسب في مواسم الحج وغيره، ليس فيه حرج إذا لم يشغل عما يجب إذا كان المقصود هو الحج، وكان الكسب حلالاً منسوباً إلى فضل الله، لا منسوباً إلى حذق العبد، والوقوف مع السبب، ونسيان المسبب، فإن هذا هو الحرج بعينه»(٢).

فقد بين الله تعالى إباحة البيع والشراء في الحج، وسماه القرآن ابتغاء من فضل الله ليشعر من يفعل هذا أنه يبتغي من فضل الله حين يتجر وحين يعمل بأجر وحين يطلب أسباب الرزق، إنه لا يرزق نفسه بعمله. إنما هو يطلب من فضل الله، فيعطيه الله.

ومتى استقر هذا الإيمان في قلب المسلم، وهو يبتغي الرزق، فهو إذن في عبادة لله، لا تتنافى مع عبادة الحج، ومتى تعمقت هذه المشاعر في قلب المؤمن انطلق يعمل وينشط كما يشاء.. فكل حركة منه عبادة في هذا المقام يحتسبها عند الله.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ ﴾ [البقرة: ١٩٨]برقم (٤٥١٩).

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص٩٢.

الخاصية السادسة

الوسطية

أولاً: مفهوم الوسطية وشموله في الإسلام:

تعرف الوسطية بأنها: «التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير ويطرد الطرف المقابل، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه، ويطغى على مقابله ويحيف عليه»[(١)].

وقيل هي: «سلوك محمود - مادي أو معنوي - يعصم صاحبه من الانزلاق إلى طرفين مُتقابلين - غالباً - أو مُتفاوتين، تتجاذبهما رذيلتا الإفراط والتفريط، سواء في ميدان ديني أم دنيوي»[(٢)]. قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

قال ابن جرير: «وأرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم وسَط، لتوسطهم في الدين، فلا هُم أهل غُلوٍّ فيه، غلوَّ النصارى الذين غلوا بالترهب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه - ولا هُم أهلُ تقصير فيه، تقصيرَ اليهود الذين بدَّلوا كتابَ الله، وقتلوا أنبياءَهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحبَّ الأمور إلى الله أوْسطُها»[(٣)].

وقال ابن القيم: «فدين الله بين الغالي فيه والجافي عنه. وخير الناس النمط الأوسط، الذين ارتفعوا عن تقصير المفرطين، ولم يلحقوا بغلو المعتدين، وقد جعل

---

(١) مفاهيم إسلامية، تأليف: وزارة الأوقاف المصرية ص ٢٥.

(٢) الوسطية مفهوماً ودلالة، د. محمد ويلالي، بحث منشور على موقع الألوكة.

(٣) جامع البيان ٢/ ٥.

الله سبحانه هذه الأمة وسطاً، وهي الخيار العدل، لتوسطها بين الطرفين المذمومين، والعدل هو الوسط بين طرفي الجور والتفريط. والآفات إنما تتطرق إلى الأطراف، والأوساط محمية بأطرافها، فخيار الأمور أوساطها»[١].

والوسطية التي تميز بها الإسلام ليست محصورة في جزئية من الجزئيات، ولا في ركن من الأركان وإنما هي منهج شامل متكامل لا ينفصل بعضه عن بعض، فما تأملت في أي جانب من جوانب هذا الدين إلا وترى بجلاء معنى الوسطية.

يقول الشيخ السعدي عن قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ «أي: عدلاً خياراً، وما عدا الوسط، فأطراف داخلة تحت الخطر، فجعل الله هذه الأمة، وسطاً في كل أمور الدين، وسطاً في الأنبياء، بين من غلا فيهم، كالنصارى، وبين من جفاهم، كاليهود، بأن آمنوا بهم كلهم على الوجه اللائق بذلك، ووسطاً في الشريعة، لا تشديدات اليهود وآصارهم، ولا تهاون النصارى.

وفي باب الطهارة والمطاعم، لا كاليهود الذين لا تصح لهم صلاة إلا في بيعهم وكنائسهم، ولا يطهرهم الماء من النجاسات، وقد حرمت عليهم الطيبات، عقوبة لهم، ولا كالنصارى الذين لا ينجسون شيئاً، ولا يحرمون شيئاً، بل أباحوا ما دب ودرج.

بل طهارتهم أكمل طهارة وأتمها، وأباح الله لهم الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح، وحرم عليهم الخبائث من ذلك، فلهذه الأمة من الدين أكمله، ومن الأخلاق أجلها، ومن الأعمال أفضلها»[٢].

فهي الأمة الوسط بمعنى الحسن والفضل، والاعتدال والقصد، وسط الاعتقاد..

---

(١) إغاثة اللهفان لابن القيم ١/ ١٨٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص٧٠.

والتفكير وفي التنظيم وفي العلاقات.. وما يعوق الأمة اليوم إلا أنها تخلت عن منهج الله الذي اختاره لها، واتخذت لها مناهج مختلفة فيها إفراط أو تفريط.

☜ ثانياً: نماذج ومظاهر وتطبيقات الوسطية في الإسلام:

هنا سأسوق بعض النماذج مع أدلتها لإظهار هذا المعنى:

١- الوسطية في الاعتقاد:

فعلى سبيل المثال: فقد وصف اليهود الله -تبارك وتعالى- بصفات النقص التي قد يتصف بها بعض المخلوقين وهذه الصفات لا تليق بالبشر فكيف بحق الله تعالى. أما النصارى فقد شبهوا المخلوق بالخالق وأضافوا عليه من الصفات والخصائص ما لا يليق إلا بالله.

أما عقيدتنا الإسلامية: فجاءت بالوسطية فوصفت الخالق سبحانه وتعالى بصفاته التي تليق بكماله وجلاله، وأوجب الله تعالى على المؤمنين أن يثبتوا ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ، ونفى ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

٢- الوسطية في العبادة:

لعل من أهم ما يرسم منهج الوسطية في العبادة: تلك الأحاديث الثلاثة:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادته، فلما أُخبروا كأنهم تقالّوها، فقالوا: أين نحن من النبي، ﷺ؟ قد غُفر له ما

تقدم من ذنبه وما تأخّر. فقال أحدهم: أمّا أنا فأصلي الليل أبداً. وقال الآخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أما أنا فلا أتزوج النساء أبداً. فجاء رسول الله، فقال ﷺ: **(إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)**[1].

وعنه رضي الله عنه قال: دخل النبي ﷺ، المسجد، فإذا حبل ممدود بين ساريتين فقال: **(ما هذا الحبل؟)** فقالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلّقت به، فقال: **(حلّوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليرقد)**[2].

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ، دخل وعندها امرأة قال: **(من هذه؟)** قالت: فلانة، تذكر من صلاتها، قال: **(مه، عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملّوا وكان أحبّ الدّين إليه ما داوم عليه صاحبه)**[3].

وقد كان قبل نزول القرآن، منهجان سائدان يتعلقان بالعبادة تفريطاً وإفراطاً:

المنهج الأول: التفريط والبعد عن التعبد: ويمثله اليهود ومن لحق بهم[4] حيث قال الله عنهم: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾[مريم: ٥٩].

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح (٥٠٦٣). واللفظ له، ومسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه (١٤٠١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب ما يكره من التشدد في العبادة (١٠٨٢).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب أحب الدين إلى الله أدومه (٤١).

(٤) هذا محل خلاف بين المفسرين: فمنهم من قال اليهود، ومنهم من قال النصارى، ومنهم من قال اليهود والنصارى، جامع البيان١٠/ ٥٣٥، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٥/ ١٦٠٧، وتفسير مقاتل ٢/ ٦٣٢.

المنهج الثاني: التعمق في الروحانيات والغلو فيها، ويمثل هذا المنهج النصارى ومن لحق بهم، حيث ابتدعوا عبادات قاسية على النفس، تحرّم الزواج، وتكبت الغرائز، وترفض كل أشكال الزينة، وقد قال الله عنهم: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٧] و«الرهبانية هي المبالغة في العبادة، والرياضة والانقطاع عن الناس، وإيثار العزلة والتبتل»(١).

٣- الوسطية في متطلبات النفس الإنسانية:

وهذا الأمر تبرزه مجموعة من النصوص منها: قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[الإسراء: ٢٩]، وقال:﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦]، وقال:﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]. وقوله:﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[الأعراف: ٣١].

والإسلام يعلمنا التوسط في مشاعرنا قال ﷺ: **(أحبب حبيبك هوناً ما، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما)**(٢).

---

(١) محاسن التأويل للقاسمي٩/ ١٥٧.

(٢) جامع الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الاقتصار في الحب والبغض (٢١٢٨) وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من هذا الوجه، والأدب المفرد عن علي =

وقد ورد في السنة أن سلمان الفارسي زار أخاه أبا الدرداء رضي الله عنهما وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قد آخى بينهما، فرأى أم الدرداء رضي الله عنها متبذلة[١] فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً، فقال له: كل، فإني صائم. فقال: ما أنا بآكلٍ حتى تأكل؛ قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم. فلما كان آخر الليل، قال سلمان: قم الآن، فصليا، فقال سلمان: إن لبدنك عليك حقّاً، ولنفسك عليك حقّاً، ولأهلك عليك حقّاً، فأعط كل ذي حقٍّ حقه، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **(صدق سلمان)**[٢].

فالتوسط وإعطاء العبادة حقها والنفس حقها فطرة إنسانية، يراعيها الإسلام وطبقها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته العملية، وفهمها الصحابة من الرسالة المحمدية، حيث إنها رسالة تقوم على إقامة الدين والدنيا.

= موقوفاً ١/ ٧٤٤ (٦٤٣)، المعجم الكبير للطبراني ١٣/ ٧٠ (١٧٢)، وشعب الإيمان للبيهقي ٨/ ٥١٤ (٦١٦٨)، وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء١/ ٦٤٣: رِجَاله ثِقَات رجال مُسلم لَكِن الرَّاوِي تردد فِي رَفعه، وقال الألباني صحيح الأدب المفرد ص٥٠١: حسن لغيره موقوفاً وقد صح مرفوعاً.

(١) متبذلة: أَي فِي ثِيَاب البذلة: وَهِي خلاف ثِيَاب التجمل والتزين، ينظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي١/ ٤٣٦، وفتح الباري ٤/ ٢١٠، وقال ابن عثيمين: يعني ليست عليها ثياب المرأة ذات الزوج، بل عليها ثياب ليست جميلة، ينظر: شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٢/ ٢٣٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، ولم ير عليه قضاء إذا كان أوفق له (١٩٦٨).

الخاصية السابعة

التيسير

يمكن بيان خاصية التيسير في النقاط التالية[١]:

⌑ أولاً: مفهوم التيسير وأدلته:

يعرف اليسر بأنه: «سهولة تحصيل المرغوب، وعدم التعب فيه، والعُسْر: المشقة في تحصيل المرغوب والعمل المقصود»[٢].

والدين الإسلامي قد قام منهجه على التيسير ورفع الحرج بشكل يتوافق مع الفطرة الإنسانية وتتقبله النفس البشرية من غير تكلف أو تعنت، وذلك ينبع من كون الإسلام رسالة عالمية شاملة خالدة تستوعب جميع الأمكنة والأزمنة، وتصلح للناس جميعا على اختلاف أعراقهم وألوانهم.

والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾ [الحج: ٧٨].

قال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لما قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ ربما توهم متوهم أن هذا من باب تكليف ما لا يطاق، أو تكليف ما يشق، احترز منه بقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾ أي: مشقة وعسر، بل يسره غاية التيسير، وسهله بغاية السهولة، فأولاً ما أمر وألزم إلا بما هو سهل على النفوس، لا يثقلها ولا

---

(١) ينظر: التيسير المعاصر دراسة تحليلية، د. عبدالله بن إبراهيم الطويل رسالة دكتوراة. وكتاب الفقه الإسلامي بين التيسير والتعسير، د. محمد بن الدناه الأجودي الشنقيطي. والتيسير في السنة النبوية ناجح سمارة.

(٢) التحرير والتنوير ٣٠/ ٤١٥.

يؤودها، ثم إذا عرض بعض الأسباب الموجبة للتخفيف، خفف ما أمر، إما بإسقاطه، أو إسقاط بعضه»[١].

وبين الله تعالى في كتاب أن من رسالة النبي ﷺ، رفع الحرج والعسر كما في قوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وقد بين الله تعالى أنه يريد التخفيف عن الخلق، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[البقرة ١٨٥]، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾[النساء ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾[المائدة:٦].

وبناء عليه فالله تعالى لا يكلف أحداً فوق طاقته، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة ٢٨٦]..

وأمر الله تعالى بترقب اليسر وانتظاره وتلمسه في كل أمر وفي كل نهي، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح٥-٦].

ويشهد لهذا اليسر أيضاً مجموعة من الأحاديث منها قول المصطفى ﷺ: **(إن الله رضي لهذه الأمة اليسر وكره لها العسر)**[٢]

وقوله ﷺ: **(إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا)**[٣]، وقوله: **(ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم)**[٤]، وقوله: **(إن الله لم يبعثني متعنتاً ولكن بعثني معلماً ميسراً)**[٥].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٥٤٦.

(٢) المعجم الكبير للطبراني٢٠/ ٢٩٨ (٧٠٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٦٩).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر (٣٩).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر (١٣٣٧).

(٥) صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية (١٣٧٨).

وأوصى الرسول ﷺ معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري رضي الله عنهما حين بعثهما إلى اليمن فقال: **(يَسّرا ولا تُعَسّرا، وبَشِّرا ولا تُنَفِّرا)**[(١)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: **(كان رسول الله ﷺ إذا أمرهم، أمرهم من الأعمال بما يطيقون)**[(٢)].

وعنها رضي الله عنها أنها قالت: **(ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه)**[(٣)].

فالتيسير وعدم التعنيت مظهر من مظاهر الوسطية في هذه الدعوة، والأدلة التي تؤيد هذه القاعدة أكثر من أن تحصر، ولذا يقول الإمام الشافعي رحمه الله: «إن الأدلة على رفع الحرج في هذه الأمة بلغت مبلغ القطع»[(٤)].

قال السعدي رحمه الله: «فأصل الأوامر والنواهي ليست من الأمور التي تشق على النفوس، بل هي غذاء للأرواح ودواء للأبدان، وحمية عن الضرر، فالله تعالى أمر العباد بما أمرهم به رحمة وإحساناً، ومع هذا إذا حصل بعض الأعذار التي هي مظنة المشقة حصل التخفيف والتسهيل، إما بإسقاطه عن المكلف، أو إسقاط بعضه كما في التخفيف عن المريض والمسافر وغيرهم»[(٥)].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه (٣٠٣٨)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر باليسر وترك التنفير (١٧٣٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: (أنا أعلمكم بالله..) (٢٠).

(٣) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ (٣٥٦٠)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله (٢٣٢٧).

(٤) الموافقات للشاطبي ١/ ٢٣١.

(٥) تيسير الكريم الرحمن ص ١٢٠.

ثانياً: قواعد فقهية في يسر الشريعة:

ومن هذا أخذ الفقهاء رحمهم الله من النصوص الواردة الدالة على يسر المنهج الإسلامي بعض القواعد التي تبرز هذا الجانب ومن تلك القواعد على سبيل المثال:

القاعدة الأولى: «المشقة تجلب التيسير»[١]:

أي: «المشقة التي تنفك عنها التكليفات الشرعية، أما المشقة التي لا تنفك عنها التكليفات الشرعية كمشقة الجهاد وألم الحدود؛ ورجم الزناة وقتل البغاة والمفسدين والجناة فلا أثر لها في جلب تيسير ولا تخفيف»[٢].

و«المشقة التي تجلب التيسير سبعة أنواع:

١- السفر وتيسيراته.

٢- المرض وتيسيراته.

٣- الإكراه وهو التهديد ممن هو قادر على الإيقاع بضربٍ مبرح، أو بإتلاف نفس، أو عضوٍ، أو بحبس، أو قيد، أو بما هو دون ذلك لذي جاه، وبما يوجب غمَّاً يعدم الرضا.

٤- النسيان، وهو عدم تذكر الشيء، واتفق العلماء على أنه مسقط للعقاب.

٥- الجهل، وهو عدم العلم ممن شأنه أن يَعلمَ وهو قد يجلب التيسير.

٦- العسر وعموم البلوى.

---

(١) هذه القاعدة مبثوثة في كتب القواعد الفقهية، انظر: شرح القواعد الفقهية للزرقا١/ ١٥٧، والأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية للسيوطي ص٢٦- ٢٧.

(٢) شرح القواعد الفقهية للزرقا ١/ ١٥٧.

٧- النقص، وفيه نوع من المشقة يتسبب عنها التخفيف»[١].

القاعدة الثانية: الضرورات تبيح المحظورات[٢]:

والأصل في هذه القاعدة الفقهية قوله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩].

وتصل حالات الضرورة إلى أربعة عشر حالة وهي: ضرورة الغذاء، والجو أو العطش، والدواء، والإكراه، والنسيان، والجهل، والعسر أو الحرج، وعموم البلوى، والسفر والمرض، والنقص الطبيعي[٣].

مع التنبه إلى أن تقرير منهج التيسير في الإسلام:

١- لا يعني الإخلال بمقاصد الشريعة والدين، فلا يفهم من مبدأ التيسير أنه تفريط أو تسيب في تطبيق أحكام هذا الدين وتنفيذ أوامره.

٢- ولا يعني تجاوز الحلال والحرام أو الإخلال بالمفاهيم الإسلامية والآداب العامة.

٣- ولا يعني تحكيم الأهواء والرغبات في الانحراف عن شرع الله تحت مظلة التيسير، فهذا شأن ضعاف الإيمان الذين يطوعون ويلوون أعناقها لتحقيق مآربهم أو التحلل من التكاليف الشرعية[٤].

---

(١) شرح القواعد الفقهية للزرقا ١/ ١٥٧- ١٦١ مختصراً، وللاستزادة من الأمثلة يمكن الرجوع للكتاب.

(٢) شرح القواعد الفقهية للزرقا ١٣١.

(٣) لمزيد من التوسع يراجع كتاب: نظرية الضرورة الشرعية د. وهبة الزحيلي ص ٧٣- ٧٤.

(٤) ينظر: اليسر والسماحة في الإسلام د. فالح الصغير ص٤٠ بتصرف.

الخاصية الثامنة

التدرج

يمكن بيان معالم التدرج في النقاط التالية[١]:

➢ أولاً: مفهوم التدرج وأهميته:

التدرج هو: «التقدم بالمدعو شيئاً فشيئاً للبلوغ به إلى غاية ما طلب منه وَفْقَ طرق مشروعة مخصوصة»[٢].

فالتدرج: أخذ الأمور شيئاً فشيئاً، وقليلاً قليلاً، وعدم تناول الأمور دفعة واحدة[٣].

فمن خصائص المنهج الإسلامي أنه جاء متدرجاً بحسب الأحوال والوقائع، قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦].

وقد ثبت في الصحيح أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «... إنما نزل أوَّل ما نزل من آي القرآن سورة من المفصل[٤] فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب[٥] الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام. ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع

---

(١) ينظر: التدرج في دعوة النبي ﷺ، د. إبراهيم بن عبدالله المطلق، سياسة التدرج في تطبيق الأحكام الشرعية، د. إياد كامل الزيباري، مفهوم التدرج في تطبيق الشريعة، د. عطية فياض، منشور على موقع السكينة. التدرج في التشريع الإسلامي، د. ماهر حامد محمد الحولي.

(٢) التدرج في دعوة النبي ﷺ د. إبراهيم بن عبدالله المطلق ص١٧.

(٣) ينظر بحث بعنوان، مفهوم التدرج في تطبيق الشريعة، د. عطية فياض، منشور على موقع السكينة.

(٤) المفصل: آخره سورة الناس، واختلف في أوله فقيل: ق، وقيل: الحجرات، وطواله إلى عَمَّ، وأوساطه منها إلى الضُحَى، ومنها إلى آخر القرآن قِصَاره، وسُمِّيَ مفصلاً لقصر سوره، وكثرة فواصله. ينظر الإتقان ١/ ١٧٩-١٨١.

(٥) ثاب: ثاب الناس إذا اجتمعوا وجاؤا. الصحاح ١/ ٩٤، ولسان العرب. ١/ ٣٤٣.

الخمر أبداً. ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً»[١].

قال ابن حجر: «أشارت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إلى الحكمة الإلهية في ترتيب النزول، وأن أول ما نزل من القرآن الدعاء إلى التوحيد، والتبشير للمؤمن والمطيع بالجنة، وللكافر والعاصي بالنار، فلما اطمأنت النفوس على ذلك أنزلت الأحكام،... وذلك لما طبعت عليه النفوس من النفرة عن ترك المألوف»[٢].

والحكمة في ذلك التدرج «أن هذا النوع من التشريع يكون أقرب إلى القبول والامتثال، خصوصاً مع أولئك العرب الذين كانوا في إباحية تجعلهم ينفرون من التكليف بالجملة»[٣].

فقد «جاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والعرب قد استحكمت فيهم عادات، منها ما هو صالح للبقاء ولا ضرر منه على تكوين الأمة ومنها ما هو ضار يريد الشارع إبعادهم عنه فاقتضت حكمته أن يتدرج بهم شيئاً فشيئاً لبيان حكمته وإكمال دينه»[٤].

ولذا فإن المتأمل في كتاب الله الباحث عن الحق، عند بحثه في القرآن في جانب التشريع لا بد وأن يتأثر بهذا المنهج القرآني الرباني في أوامره ونواهيه.

➢ ثانياً: مثال على التدرج (التدرج في تحريم الخمر):

ونأخذ على ذلك مثالاً واحداً وهو التدرج في تحريم الخمر:

فحينما واجه الإسلام الخمر لأول مرة في المجتمع العربي - وقد تأصلت فيه إلى

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن (٤٧٠٧).

(٢) فتح الباري ١٠/ ٤٨.

(٣) المدخل في التعريف بالفقه الإسلامي: مصطفى شلبي، ص ٧٥.

(٤) أضواء على الثقافة الإسلامية د. أحمد فؤاد محمود ص ١٤١.

أبعد الحدود - سلك منهجاً متدرجاً حكيماً في مواجهتها، وذلك على ثلاث مراحل:

الأولى: ففي البداية لفت الأنظار إلى آثارها الضارة التي تفوق ما فيها من منافع محدودة، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩].

الثانية: حرم تعاطيها قبل أوقات الصلاة بحيث لا يأتي وقت الصلاة إلا والواحد منهم في أتم صحوة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣].

الثالثة: وبعد أن تهيأت النفوس لتحريمها، جاء التحريم القاطع، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠- ٩١].

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: لما نزل تحريم الخمر، قال: «اللهم بين لنا في الخمر بياناً شفاء». فنزلت هذه الآية التي في سورة البقرة: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾[البقرة: ٢١٩].

قال: فدعي عمر، فقرئت عليه، فقال: «اللهم بين لنا في الخمر بياناً شفاء. فنزلت الآية التي في سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣]، فكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقام الصلاة نادى: أن لا يقربن الصلاة سكران، فدعي عمر فقرئت عليه، فقال: «اللهم بين لنا في الخمر بياناً

شفاء». فنزلت الآية التي في المائدة، فدعي عمر فقرئت عليه، فلما بلغ: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة ٩١]، قال: فقال عمر: انتهينا، انتهينا»[(١)].

«وبهذا التدرج لم يجدوا أدنى صعوبة في امتثالهم لهذه الآية بل أراقوا الخمر في طرقات المدينة حتى امتلأت منها ومن ثم تأصل الابتعاد عن الخمر في العرف الاجتماعي عند المسلمين، فرغم انحراف هذه المجتمعات وبعدها المتفاوت عن الإسلام إلا أن الإقبال على الخمر ضعيف فيها جدًّاً مقارنة بالمجتمعات الأخرى ومن ثم فالنظر إلى شرب الخمر باشمئزاز متأصل في الوجدان الاجتماعي لهذه المجتمعات. وتلك هي ميزة الإسلام حيث يعالج المشكلات الاجتماعية بالمزاوجة بين عمل الضمير الداخلي المنفعل بالإيمان، والرقابة الخارجية في صورة رأي عام يبسطه في المجتمع وعقوبة يكلف الدولة بتنفيذها. وبذلك يحاصر المشكلة من أن تتحول بمرور الزمن إلى عادة مستقرة ومقبولة اجتماعيّاً، بل تظل في الهامش وفي نطاق غير المسموح به»[(٢)].

➢ ثالثاً: من تطبيقات التدرج المعاصرة:

١- «التدرج في الدعوة والبلاغ:

ومعناه: بيان الأحكام الشرعية للناس شيئاً فشيئاً، لتتم معرفتهم، واستيعابهم لها، وإدراكهم لحقيقتها، والتدرج فيها من الأصول إلى الفروع، ومن الأيسر إلى ما يليه،

---

(١) مسند أحمد ١/ ٤٤٢ (٣٧٦) سنن أبي داوود، كتاب الأشربة، باب في تحريم الخمر (٣٦٧٠)، جامع الترمذي، كتاب التفسير، باب ما جاء في سورة المائدة (٣٠٤٩)، سنن النسائي، كتاب الأشربة، باب تحريم الخمر (٥٥٤٠) والمستدرك على الصحيحين للحاكم ٤/ ١٥٩، وقال: هذا حديث صحيح، ولم يخرجاه. وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (٢٤٤٢).

(٢) الجريمة والعقاب في الإسلام د. عبدالرحمن اللويحق ص٣١.

ومن السهل إلى الأشد، ومن القريب لأذهانهم إلى ما بعد عنهم، وهذا واجب العلماء والدعاة خاصة، وما يجب أن يتوقف هذا العمل ولا تلك السنة.

وهذا هو ما أمر به النبي ﷺ معاذاً عندما أرسله إلى اليمن في حديث الصحيحين عن ابن عباس أن معاذاً قال: بعثني رسول الله ﷺ قال: **(إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم)**[(١)].

٢- تطبيق ما تستطيع الدولة أو الأفراد تطبيقه:

أي: تطبيق ما تستطيع الدولة أو الأفراد تطبيقه مما تعد القدرة شرطاً في القيام به، ويسقط مع العجز، أو يخفف حكمه، أو يترخص فيه على حسب درجة العجز، ومن ثم فما لا يمكن القيام به ولا القدرة عليه يؤجل تطبيقه إلى حين استيفاء شرطه وانتفاء موانعه، وألا يؤدي تطبيقه إلى مفسدة أعظم من المصلحة التي تترتب على تطبيقه، وكل من شرط القدرة على القيام بالتكليف وانتفاء العجز، والموازنة بين المصالح والمفاسد، من الأمور المعتبرة عند تطبيق أحكام الشرع.

ولذلك فإنه يجب بحث هذه المسألة في إطار شرط القدرة على القيام بالتكاليف، أو في باب فقه الموازنات»[(٢)].

---

(١) صحيح البخاري كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى (٧٣٧٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (١٩).

(٢) ينظر بحث بعنوان، مفهوم التدرج في تطبيق الشريعة، د. عطية فياض، منشور على موقع السكينة.

تنبيه: «ولا نعني بالتدرج هنا مجرد التسويف وتأجيل التنفيذ واتخاذ كلمة التدرج «تكأة» للإبطاء بإقامة أحكام الله، وتطبيق شرعه، بل نعني بها: تحديد الأهداف بدقة وبصيرة، وتحديد الوسائل الموصلة إليها بعلم وتخطيط دقيق، وتحديد المراحل اللازمة للوصول إلى الأهداف بوعي وصدق بحيث تسلم كل مرحلة إلى ما بعدها بالتخطيط والتنظيم والتصميم حتى تصل المسيرة إلى المرحلة المنشودة والأخيرة التي فيها قيام الإسلام كل الإسلام»[١].

الخاصية التاسعة

السماحة[٢]

☜ أولاً: مفهوم سماحة الإسلام:

تدلّ مادّة (س م ح): على معنى السّلاسة والسّهولة، والسّماح. والسّماحة: الجود، وسمح به أي جاد به، وسمح لي أعطاني، والمسامحة: المساهلة، وتسامحوا: تساهلوا[٣].

واصطلاحاً: تقال على وجهين:

الأوّل: بذل ما لا يجب تفضّلاً، أو الجود عن كرم وسخاء[٤].

(١) السياسة الشرعية، د. يوسف بن عبدالله ص٣٢٨- ٣٢٩.

(٢) للاستزادة ينظر: سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله والعلاقات الإنسانية منهاجاً وسيرة أ. د عبدالعظيم المطعني، وسماحة الإسلام في التعامل مع غير المسلمين أ. د حكمت بن بشير. وسماحة الإسلام، د. عمر بن عبدالعزيز قريشي.

(٣) ينظر مقاييس اللغة ٣/ ٢٩٨، والمصباح المنير ١/ ٣٧٦، ولسان العرب٢/ ٤٨٩.

(٤) ينظر: التعريفات للجرجاني ص ١٢١، والنهاية لابن الأثير ٢/ ٣٩٨.

والثاني: في معنى التّسامح مع الغير في المعاملات المختلفة ويكون ذلك بتيسير الأمور والملاينة فيها الّتي تتجلّى في التّيسير وعدم القهر، وسماحة المسلمين الّتي تبدو في تعاملاتهم المختلفة سواء مع بعضهم، أو مع غيرهم من أصحاب الدّيانات الأخرى[(١)].

☜ ثانياً: مظاهر السماحة في الإسلام:

حث على مجموعة من الصفات التي هي أسس السماحة في الإسلام فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

ومما يدل على سماحة الإسلام كذلك قول النبي ﷺ: **(إنما يحرم على النار كل هين لين قريب سهل)**[(٢)].

فالإسلام دين عظيم، يقوم على السلام والمسالمة؛ ليعيش الناس آمنين على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم؛ ولهذا شرع وحث على مجموعة من التشريعات التي تؤدي إلى التسامح بين الناس ومن ذلك:

١ – السلام شعار الإسلام:

فالله تعالى شرع السلام للمؤمنين في تحية اللقاء، وفي تحية الانصراف من الصلاة، ليكون شعاراً لهم في غدوهم ورَواحهم، وفي مجتمعهم في مساجدهم ونواديهم، قال ﷺ: **(أولا أدلّكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟. أفشوا السّلام بينكم)**[(٣)].

---

(١) ينظر: نضرة النعيم ٦/ ٢٢٧٨.

(٢) مسند أحمد ١/ ٤١٥(٣٩٣٨)، صحيح ابن حبان ٢/ ٢١٥(٤٦٩)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٧٤٤).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من =

٢- السماحة مع غير المخالفين:

ويدعونا ربنا ﷻ للسلام مع الغير بقوله: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨].

ومن أجلِّ القواعد التي تحدد طبيعة العلاقة بين المسلم وغيره أنه ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ولذا عاش غير المسلمين في كنف دولة الإسلام دون أن يتعرض أحد لعقائدهم ودياناتهم[1]، فالإسلام لم يقم على اضطهاد مخالفيه أو مصادرة حقوقهم أو تحويلهم بالإكراه عن عقائدهم أو المساس الجائر لأموالهم وأعراضهم ودمائهم، وتاريخ الإسلام في هذا المجال أنصع تاريخ على وجه الأرض.

٣- السماحة والرد بالحسنى على المسيء والمعتدي:

وحث المؤمنين على الرد بالسلام على من يجهل عليهم؛ قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [الفرقان: ٦٣].

ويحث كذلك الإسلام على العفو والمسامحة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]. وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧].

قال تعالى: ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ﴾ [النور٢٢]. وقال: ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡ﴾ [البقرة ٢٣٧].

= الإيمان، وأن إفشاء السلام سبب لحصولها (٥٤).

(١) تلبيس مردود في قضايا حية، صالح بن حميد ص٣٠ باختصار.

وقال النبي ﷺ: (وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزّاً)(١)، وقوله: (من أقال عثرة أخيه أقاله اللهُ يوم القيامة)(٢).

٤- السماحة والإحسان بالمخطئين:

وهذه مرتبة عالية جدًّا، فقد حث ربنا سبحانه وتعالى على مقابلة السيئة بالحسنة وهذا قمة التسامح، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤ - ٣٥].

٥- التحذير من عدم السماحة:

فينهى النبي ﷺ عن أذية المسلم: بقوله: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)(٣).

وبين أن الخيرية لمن يبدأ بالسلام عند وقوع هجران أو فساد ذات البين، لقوله ﷺ: (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ، يلتقيان فيعرض هذا، ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام)(٤).

وينهى كذلك عن هجران المسلم لأخيه المسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن

---

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب استحباب العفو والتواضع (٢٥٨٨).

(٢) سنن أبي داوود، كتاب البيوع، باب في فضل الإقالة (٣٤٦٠) ومسند أحمد ١٢/ ٤٠٠ (٧٤٣١)، تعليق شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده برقم (١٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل(٤١).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الهجر (٦٠٧٧)، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي (٢٥٦٠)

رسول الله ﷺ قال: (**تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً، إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا**)[١].

إن في روح الإسلام من السماحة الإنسانية ما لا يملك منصف أن ينكره أو يراوغ فيه، وهي سماحة مبذولة للمجموعة البشرية كلها، لا لجنس فيها ولا لأتباع عقيدة معينة، وإنما هي للإنسان بوصفه إنساناً في حد ذاته خلقه الله وكرمه.

الخاصية العاشرة

العدل

○ أولاً: مفهوم العدل:

العدل لغة: مادّة (ع د ل) الّتي تدلّ على معنيين متقابلين: أحدهما يدلّ على الاستواء، والآخر على اعوجاج، ويرجع لفظ العدل هنا إلى المعنى الأوّل، وإذا كان العدل مصدراً فمعناه: خلاف الجور وهو ما قام في النّفوس أنّه مستقيم. والعدل (أيضاً) الحكم بالحقّ.

وعدل في الحكم: لم يجر فيه، وعدل عليه في القضيّة: أنصفه[٢].

فالعدل: بذل الحقوق الواجبة وتسوية المستحقّين في حقوقهم[٣].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب النهي عن الشحناء والتهاجر (٢٥٦٥)

(٢) ينظر: مقاييس اللغة ٤/ ٢٤٦، والصحاح٥/ ١٧٦٠، ولسان العرب ٥/ ٢٨٣٨، ومفردات الراغب ص٣٢٤.

(٣) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة لعبدالرحمن بن ناصر السعدي (٢٥٣).

وحقيقة العدل في الإسلام، أنه ميزان الله على الأرض، به يُؤْخَذُ للضعيف حَقُّه، ويُنْصَفُ المظلومُ ممن ظلمه، ويُمَكَّن صاحب الحقِّ من الوصول إلى حَقِّه من أقرب الطرق وأيسرها، وهو واحد من القيم التي تنبثق من عقيدة الإسلام في مجتمعه؛ فلجميع الناس في مجتمع الإسلام حَقُّ العدالة وحقُّ الاطمئنان إليها.

○ ثانياً: أهمية العدل:

قال الماورديّ: «إنّ ممّا تصلح به حال الدّنيا قاعدة العدل الشّامل، الّذي يدعو إلى الألفة، ويبعث على الطّاعة، وتعمر به البلاد، وتنمو به الأموال، ويكبر معه النّسل، ويأمن به السّلطان.. وليس شيء أسرع في خراب الأرض، ولا أفسد لضمائر الخلق من الجور؛ لأنّه ليس يقف على حدّ، ولا ينتهي إلى غاية»(١).

ويُعَدُّ العدل خصيصة من أهم الخصائص التي تميز المنهج الإسلامي حيث جعل الإسلام إقامةَ القسط -أي العدل- بين الناس هو هدف الرسالات السماوية كلها، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥] فليس ثمة تنويه بقيمة القسط أو العدل أعظم من أن يكون هو المقصود الأول من إرسال الله تعالى رُسُله، وإنزاله كتبه؛ فبالعدل أُنْزِلَتِ الكتب، وبُعِثَتِ الرسل، وبالعدل قامت السموات والأرض.

○ ثالثاً: تطبيقات العدل في الإسلام:

١- العدل مع المخالفين لنا:

وفي تقرير واضح وصريح لإحقاق العدل وتطبيقه ولو كُنَّا مبغضين لمن نَحْكُم

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي ص١٤١- ١٤٤ بتصرف.

فيهم، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥]. أي: «مواظبين على العدل في جميع الأمور مجتهدين في ذلك كل الاجتهاد لا يصرفكم عنه صارف»[١].

قال ابن القيم: «هذا يمتحن به العبد إيمانه فيعرف منزلة الإيمان من قلبه ومحله منه، وعكس هذا عدل العبد في أعدائه ومن يجفوه، فإنه لا ينبغي أن يحمله بغضه لهم أن يحيف عليهم، كما لا ينبغي أن يحمله حبه لنفسه ووالديه وأقاربه على أن يترك القيام عليهم بالقسط، فلا يدخله ذلك البغض في باطل ولا يقصر به هذا الحب عن الحق»[٢].

ويقول أيضاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]، قال ابن كثير: «أي لا يحملنَّكم بُغْض قوم على ترك العدل فيهم، بل استعملوا العدل في كُلِّ أَحَدٍ؛ صديقاً كان أو عدوّاً»[٣].

فلا ينبغي للمسلم أن يتبع هواه في الحكم على الآخرين، قال تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ﴾ [النساء: ١٣٥]. «الهوى: إما أن يعمي بصيرة صاحبه حتى يرى الحق باطلاً والباطل حقّاً، وإما أن يعرف الحق ويتركه لأجل هواه»[٤].

فالعدل في الإسلام لا يتأثَّر بحُبٍّ أو بُغْضٍ، فلا يُفَرِّقُ بين المسلمين على أساس

---

(١) روح المعاني ٥/ ١٦٧.

(٢) الرسالة التبوكية ص٣٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٤٣.

(٤) تيسير الكريم الرحمن ص٢٠٩.

الحَسَب والنسَب والجاه، كما لا يُفرِّقُ بين مسلم وغير مسلم، بل يتمتَّعُ به جميعُ المقيمين على أرضه من المسلمين وغير المسلمين.

٢- الشريعة الإسلامية عدل كلها:

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث؛ فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل؛ فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله ﷺ أتم دلالة وأصدقها»[١].

ويشمل العدل في المنهج الإسلامي العدل في حصول الإنسان على متطلباته الخاصة من مأكل ومشرب وملبس ومسكن، وحصوله على العمل، وتولي الوظائف المناسبة وكل مقومات الحياة الكريمة والمعاملة الكريمة.

٣- العدل في جميع أمور الحياة:

فقد أَمَرَ الإسلامُ بالعدل في القول، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥]. «أي: ﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ﴾ قولا تحكمون به بين الناس، وتفصلون بينهم الخطاب، وتتكلمون به على المقالات والأحوال ﴿فَٱعۡدِلُواْ﴾ في قولكم، بمراعاة الصدق في من تحبون ومن تكرهون، والإنصاف، وعدم كتمان ما يلزم بيانه، فإن الميل على من تكره بالكلام فيه أو في مقالته من الظلم المحرم.

(١) إعلام الموقعين لابن القيم ٣/ ١١.

بل إذا تكلم العالم على مقالات أهل البدع، فالواجب عليه أن يعطي كل ذي حق حقه، وأن يبين ما فيها من الحق والباطل، ويعتبر قربها من الحق وبُعدها منه»[١].

كما أمر بالعدل في الحكم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ [النساء: ٥٨].

وأمر بالعدل في الصُّلْح، فقال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

○ رابعاً: من روائع الإسلام في تحقيق خاصية العدل:

ومن المواقف التي تدلل على خاصية العدل وأصالتها في الإسلام قصة أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع المرأة المخزومية، فلمَّا حاول أسامة بن زيد أن يشفع لامرأة من قبيلة بني مخزوم ذات نسب؛ كي لا تُقطعَ يَدُها في جريمة سرقة، ما كان من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَّا أن غضب غضباً شديداً، ثم خطب خطبة بليغة أوضح فيها منهج الإسلام وعدله، وكيف أنه سوَّى بين كل أفراد المجتمع رؤساء ومرؤوسين، فكان ممَّا قاله في هذه الخطبة: **(إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللهِ! لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا)**[٢].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٢٨٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب حديث الغار (٢٤٧٥)، ومسلم، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره (١٦٨٨).

خامساً: رفع الظلم ومحاربته من إقامة العدل:

بقدر ما أَمَرَ الإسلامُ بالعدل وحثَّ عليه، حَرَّمَ الظلم أشدَّ التحريم، وقاومه أشدَّ المقاومة، سواء ظُلْم النفس أم ظُلْم الآخرين، وبخاصة ظُلْم الأقوياء للضعفاء، وظُلْم الأغنياء للفقراء، وظُلْم الحُكَّام للمحكومين، وكلَّما اشتدَّ ضعف الإنسان كان ظلمه أشدَّ إثماً.

ففي الحديث القدسي: (يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً فَلَا تَظَالَمُوا)(١).

ويقول الرسول ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: (وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ)(٢). وقال: **(ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَالإِمَامُ الْعَادِلُ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللهُ فَوْقَ الْغَمَامِ، وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ)**(٣).

وعلى سبيل المثال: حرم الإسلام الربا، وحرم أكل أموال الناس بالباطل وحرم كل البيوع الجائزة والتي فيها غبن لأي إنسان وليس للمسلم فقط.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (٢٥٧٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع (٤٣٤٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (٢٧).

(٣) جامع الترمذي، كتاب الدعوات، باب في العفو والعافية (٣٥٩٨) وقال: هذا حديث حسن.

فهذا دليل على أن «أنّ قضاء القاضي لا يحل حراماً، ولا يحقّ لك باطلاً. وإنما يقضي القاضي بنحو ما يرى وتشهد به الشهود، والقاضي بشر يخطئ ويصيب. واعلموا أنّ من قضى له بباطل أنّ خصومته لم تنقض حتى يجمع الله بينهما يوم القيامة. فيقضي على المبطل للمحق بأجود مما قُضِيَ به للمبطل على المحق في الدنيا»[١].

وقال ﷺ: **(من حلف على يمين يقتطع بها مال امرئ مسلم، هو عليها فاجر، لقي الله وهو عليه غضبان)**[٢].

وهكذا يتضح أن العدل ودفع الظلم صفة لازمة من صفات الشريعة الإسلامية الغراء وأنه ما من منهج غير منهج الإسلام ساوى بين الناس بهذه الطريقة السامية، وجعل العدل أساساً من أسس الحكم والتعامل بين الناس في مختلف مناحي الحياة.

---

(١) محاسن التأويل ٢/ ٥٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المساقاة، باب الخصومة في البئر والقضاء فيها (٢٣٥٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار (١٣٧).

الفصل الثالث

عرض مقاصد الإسلام

وفيه تمهيد وخمسة مقاصد:

- **المقصد الأول:** حفظ الدين.
- **المقصد الثاني:** حفظ النفس.
- **المقصد الثالث:** حفظ النسل.
- **المقصد الرابع:** حفظ المال.
- **المقصد الخامس:** حفظ العقل.

تمهيد: مقدمات حول مقاصد الإسلام وأهميتها:

المطلب الأول

مقدمات حول مقاصد الإسلام

مقاصد الإسلام هو ما يعبر عنه العلماء بمقاصد الشريعة، وبيان الأمر في النقاط التالية:

أولاً: مفهوم مقاصد الإسلام:

المقاصد لغة: مادة قصد لها معانٍ كثيرة في اللغة العربية ومنها: الاستقامة، والسهولة، والعَدْل، والإرادة، والوسطية، والاعتماد، وإِتيان الشيء، والتوجه، والنية، والغاية، والتعمد[(١)].

مقاصد الإسلام اصطلاحاً:

عرف المقاصد الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور بقوله: «المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها»[(٢)].

وعرفها الأستاذ علال الفاسي بقوله: «بأنها الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها»[(٣)].

وعرفها الأستاذ يوسف حامد العالم بقوله: «هي المصالح التي تعود إلى

(١) انظر: لسان العرب ٣/ ٣٥٧، والصحاح في اللغة ٢/ ٧٩، والقاموس المحيط ص٣٩٧.

(٢) مقاصد الشريعة الإسلامية، لابن عاشور، ص١٦٥.

(٣) قواعد المقاصد عند الإمام الشاطبي، د. عبدالرحمن إبراهيم الكيلاني، ص٤٦.

العباد في دنياهم وأخراهم، سواء أكان تحصيلها عن طريق جلب المنافع أو عن طريق دفع المضار»[١].

وقيل: «الغايات التي تهدف إليها النصوص من الأوامر والنواهي والإباحات، وتسعى الأحكام الجزئية إلى تحقيقها في حياة المكلفين، أفراداً وأسراً وجماعات وأمة[٢].

➢ ثانياً: كلام الشاطبي عن مقاصد الإسلام الكلية:

قال الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق، وهذه المقاصد لا تعدو ثلاثة أقسام: أحدها: أن تكون ضرورية. والثاني: أن تكون حاجية. والثالث: أن تكون تحسينية.

فأما الضرورية: فمعناها أنها لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين... ومجموع الضروريات خمس وهي: حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل»[٣].

➢ ثالثاً: كيفية حفظ مقاصد الإسلام الكلية:

قال الشاطبي: «والحفظ لها يكون بأمرين:

أحدهما: ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود.

---

(١) المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ص٧٩.

(٢) دراسة في فقه مقاصد الشريعة، د. يوسف بن عبدالله ص٢٠.

(٣) الموافقات للشاطبي ٢/ ١٤

والثاني: ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم.

فأصول العبادات راجعة إلى حفظ الدين من جانب الوجود كالإيمان والنطق بالشهادتين والصلاة والزكاة والصيام والحج وما أشبه ذلك، والعادات راجعة إلى حفظ النسل والمال من جانب الوجود، وإلى حفظ النفس والعقل أيضاً لكن بواسطة العادات.

والجنايات ويجمعها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ترجع إلى حفظ الجميع من جانب العدم»[١].

➢ رابعاً: علاقة مقاصد الإسلام الكلية بالحدود:

بعض العلماء المتقدمين مثل الإمام القرافي أدخلوا العرض زيادة على المقاصد الخمس، لتكرار ذكره في الأحاديث كقول النبي ﷺ: **(كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)**[٢].

ولأنه شرعت في الاعتداء عليه عقوبة معروفة ذكرها القرآن وهي عقوبة القذف.

ويبدو أن مسألة العقوبات كان لها أثر في تحديد الكليات أو الضروريات، فحد الردة أخذ منه حفظ الدين، وحد القصاص أخذ منه حفظ النفس، وحد السرقة أخذ منه حفظ المال، وحد الزنا أخذ منه حفظ النسل، وحد السكر أخذ منه حفظ العقل.

---

(١) الموافقات ٢/ ١٨-٢٠.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره، ودمه، وعرضه، وماله (٢٥٦٤).

➢ خامساً: الترتيب في مقاصد الإسلام الكلية:

مع أهمية جميع الضروريات الخمس إلا أنها ليست على درجة واحدة، فبعضها مقدم على بعض عند التعارض(١).

قال ابن أمير الحاج: «ويقدم حفظ الدين من الضروريات على ما عداه عند المعارضة لأنه المقصود الأعظم، وغيره مقصود من أجله، ولأن ثمرته أكمل الثمرات وهي نيل السعادة الأبدية في جوار ربّ العالمين، ثم يقدم حفظ النفس على حفظ النسب والعقل والمال لتضمنه المصالح الدينية لأنها إنما تحصل بالعبادات، وحصولها موقوف على بقاء النفس، ثم يقدم حفظ النسب لأنه لبقاء نفس الولد إذ بتحريم الزنا لا يحصل اختلاط النسب، فينسب إلى شخص واحد فيهتم بتربيته وحفظ نفسه، وإلا أهمل فتفوت نفسه لعدم قدرته على حفظها، ثم يقدم حفظ العقل على حفظ المال لفوات النفس بفواته حتى إن الإنسان بفواته يلتحق بالحيوانات ويسقط عنه التكليف، ومن ثمة وجب بتفويته ما وجب بتفويت النفس وهي الدية الكاملة، ثم حفظ المال»(٢).

➢ سادساً: الوسطية في عرض ودراسة مقاصد الإسلام:

هناك عدد من المدارس في عرض ودراسة مقاصد الشريعة، منهم المدرسة العقلية التي تقدم المقاصد وتعطل النصوص، وعكسها المدرسة الظاهرية التي تقف على النص حرفيّاً بدون النظر للمقاصد.

---

(١) اختلف العلماء في ترتيب هذه الضروريات ويمكن الرجوع لذلك في كتب المقاصد. مثل: مقاصد الشريعة الإسلامية د. محمد اليوبي، ومقاصد الشريعة عند ابن تيمية.

(٢) التقرير والتحبير ٣/ ٢٣١.

أما المدرسة الوسط فهي التي تربط بين النصوص الجزئية والمقاصد الكلية، ومن سماتها وخصائصها: الإيمان بحكمة الشريعة وتضمنها مصالح الخلق، وربط نصوص الشريعة وأحكامها بعضها ببعض، والنظرة المعتدلة لكل أمور الدين والدنيا، ووصل النصوص بواقع الحياة وروح العصر، وتبني خط التيسير، والانفتاح على العالم والحوار والتسامح دون ذوبان أو استلاب.

وترتكز على البحث عن المقصد بطرقه المعروفة قبل إصدار الحكم، وفهم النص في ضوء أسبابه وملابساته، والتمييز بين المقاصد الثابتة والوسائل المتغيرة، والملاءمة بين الثوابت والمتغيرات، والتمييز في الالتفات إلى المعاني بين العبادات والمعاملات.

ومن النتائج التي أسفر عنها فقه هذه المدرسة أنها كان لها الأثر الواضح في اجتهاداتها ومواقفها المتوازنة في مختلف القضايا الفقهية والفكرية: الشخصية والأسرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدولية، كما وُفِّقتْ إلى وضع حلول لكثير من المشكلات التي يعانيها الأفراد والمجتمعات، وأجابت عن كثير من التساؤلات التي تحير أعداداً كبيرة من المسلمين، فوجدوا في أجوبة هذه المدرسة ما يعينهم على التمسك بالعروة الوثقى والاعتصام بحبل الله[١].

➢ سابعاً: كيف تستنبط مقاصد الإسلام:

تستنبط مقاصد الشريعة من خلال:

١- تتبع النصوص التي جاءت بتعليلات في القرآن والسنة، لنعرف منها

(١) دراسة في فقه مقاصد الشريعة- د. يوسف بن عبدالله، وقد قمت باختصار فكرة الكتاب.

مقاصد الإسلام وأهدافه، مثل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥] فهنا بين أن مقصد كل الرسالات إقامة العدل.

٢- استقراء الأحكام الجزئية وتتبعها والتأمل فيها وضم بعضها إلى بعض، للوصول لمقصد كلي أو مقاصد كلية قصدها الشارع الحكيم[١].

المطلب الثاني

أهمية عرض مقاصد الإسلام دعوياً

خلق الله تعالى عباده وشرع لهم من الأحكام ما يصلح شأنهم في معاشهم وينجيهم في معادهم، ولعل من أعظم الأصول والمقاصد التي اتفقت عليها جميع الأديان والشرائع السماوية – وعلى رأسها الإسلام الذي هو خاتم الأديان والذي ما زال محفوظاً بحفظ الله من التبديل والتحريف - والتي من خلالها تنتظم حياة المجتمع الإنساني دينيّاً ودنيويّاً، وبدونها أو باختلالها ينعدم النظام في المجتمع، ويختل ميزان استقرار الحياة فيها: حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، والتي اتفق علماء الإسلام على تسميتها بالضروريات الخمس، التي هي أهم مقاصد التشريع الإسلامي.

وأهمية المعرفة بمقاصد الإسلام تكمن في أن هذا العلم يبحث ويدرس ويُبرز جوهر الإسلام وغايته ورسالته، ويكشف عن حِكَم الإسلام ومقاصد أحكامه وهذا

(١) ينظر: الفقه السياسي ونظام الحكم في ضوء قواعد الشريعة وأصول الفقه، د. أشرف محمد علي غازي، ص٦٧.

مما يعين على إبراز محاسن الشريعة ومكارمها، ونفي الأفهام والتفسيرات المشوِّهة للإسلام، والتقويم والتسديد والإمداد لسائر العلوم والدراسات الإسلامية.

والغفلة عن استحضار مقاصد الإسلام، يوهم أن للدعوة غاية واحدة هي استجابة الناس واتباعهم للحق، وبناء عليه يُتخذ من ذلك مقياساً وحيداً لصحة الدعوات ونجاحها أو خطئها وفشلها، مما يترتب عليه الانتقاء والغلو والإفراط أو التفريط والنظرة المحدودة عن الإسلام التي في النهاية تؤدي إلى نفرة الناس من الدين ومن أهله حيث إن الإسلام في جملته هو الذي يصلح الناس في دينهم ودنياهم أما النظرة إليه من جانب واحد فقط فيؤدي إلى تشويههم وعدم صلاحيته لكل زمان ومكان.

ومن هنا تتجلى أهمية معرفة مقاصد الشريعة في أمور كثيرة، أذكر منها ما يخص تأهيل الدعاة في النقاط التالية:

١- يعين على التعرف على الإطار العام للإسلام، والتصور الكامل للإسلام، وتوضيح الصورة الشاملة للتعاليم والأحكام، لتتكون النظرة الكلية الإجمالية للفروع، وبذلك يعرف الداعية ما يدخل في الإسلام وما لا يدخل فيها.

٢- إبراز علل التشريع وحكمه وأغراضه ومراميه الجزئية والكلية العامة والخاصة في شتى مجالات الحياة وفي مختلف أبواب الشريعة.

٣- إبراز أهداف الدعوة الإسلامية التي ترمي إلى تحقيق مصالح الناس، ودفع المفاسد عنهم، وذلك يرشد إلى الوسائل والسبل التي تحقق السعادة في الدنيا والفوز برضوان الله في الآخرة.

٤- يؤكد على خاصية الإسلام في صلاحية الشريعة ودوامها وواقعيتها ومرونتها

وقدرتها على التحقق والتفاعل مع مختلف البيئات والظروف والأطوار.

٥- يعين على التوازن في الأعمال الدعوية، فلا يطغى جانب من جوانب الشريعة أو العبادة على جانب آخر، بل يدعو إلى أعمال الإسلام كله من غير إفراط ولا تفريط.

٦- مقاصد الإسلام تجعل الإسلام يتحرك بين الناس بمرحلية، من غير تأخر ولا استعجال، بتدرج مدروس يراعي الواقع والأحوال والأفراد والجماعات.

٧- مقاصد الإسلام تضبط الأفكار والمناهج، وتساعد على إدراك مآلات الأفعال.

٨- مقاصد الإسلام تعين على ردِّ الشبهات التي تثار حول الإسلام؛ ببيان منهجه الأصيل، وإدراك مراميه وأهدافه، فتبين صورة الإسلام واضحة.

٩- مقاصد الإسلام تساعد الدعاة على تحقيق أهدافهم، وترشيد مسيرتهم، بأقصر طريق، وأقل وقت وجهد مبذول، وبتقليل من المواجهات[1].

وهنا سنعرض لمقاصد الإسلام الكلية -الخمس دون التعرض للخلاف في تفصيلاتها أو في ترتيبها- إظهاراً لأهميتها في تكوين تصور وممارسة صحيحة عن الإسلام.

---

(١) انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور، ص٣٦، علم المقاصد الشرعية، د. نور الدين بن مختار الخادمي، ص٥١، الاجتهاد المقاصدي، د. نور الدين بن مختار الخادمي، ج١ ص٨٥، الأسس العامة لفهم النص الشرعي، د. عبدالمجيد السوسوة، ص٤٢، منهج التيسير المعاصر، عبدالله بن إبراهيم الطويل، ص٢٤.

المقصد الأول

حفظ الدين

☜ أولاً: مفهوم حفظ الدين:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «معرفة رب العالمين غاية المعارف وعبادته أشرف المقاصد والوصول إليه غاية المطالب، بل هذا خلاصة الدعوة النبوية وزبدة الرسالة الإلهية»(١).

وحفظ الدين يقوم على أصلين: الأول: حفظ الدين من جانب الوجود، وذلك بالمحافظة على ما يقيم أركانه ويثبت قواعده، **الثاني:** حفظ الدين من جانب العدم وذلك برفع الفساد الواقع أو دفع الفساد المتوقع(٢).

وحفظه من جانب الوجود يكون بخمسة أمور: العلم، والعمل به، والدعوة إليه، والحكم به، والجهاد من أجله.

وأما حفظ الدين من جانب العدم: فكتاب الله الكريم قد بين ضلال أهل الكتاب وكشف زيفهم وأنهم ليسوا على شيء، وحاجهم وأبطل زعمهم في القول بأن الله هو المسيح بن مريم أو القول بأن المسيح ابن الله، وفي دعوى الصلب والفداء(٣).

☜ ثانياً: أهمية حفظ الدين:

الدين ضرورة ملحة في حياة الإنسان، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ

(١) مجموع الفتاوى: ٢/ ١٣، وانظر مقاصد الشريعة عند ابن تيمية ص٤٥٠.

(٢) الموافقات ٢/ ١٨.

(٣) مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، ص١٩٦ وما بعدها باختصار.

﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

فالدين يلبي النزعة الإنسانية والحاجة الفطرية التي تدفع الإنسان دفعاً لعبادة الإله الواحد سبحانه، تلك الحاجة التي يفتقدها كثير من غير المسلمين في العالم اليوم، والتي هي السبب الرئيس في الفراغ الروحي الذي يعترف به القاصي والداني منهم، والذي هو سبب الكثير من الكوارث الإنسانية المعاصرة، لعل أخطرها كارثة فقدان الإنسان لحقيقة وجوهر وسبب وجوده على هذه الأرض عبادة الله: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. حفظ الدين يمد الإنسان بالوجدان والضمير، ويقوي في نفسه نوازع الخير وعناصر الفضيلة، ويضفي على حياته السعادة والطمأنينة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢].

«ويقدم حفظ الدين من الضروريات على ما عداه عند المعارضة لأنه المقصود الأعظم، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]، وغيره مقصود من أجله، ولأن ثمرته أكمل الثمرات وهي نيل السعادة الأبدية في جوار ربّ العالمين»[(١)].

لقد تجلت أولوية حفظ الدين على غيرها من الضروريات في حياة النبي ﷺ قولاً وعملاً، فحين ساومه أهل مكة على الرسالة الإسلامية والدين الحنيف الخاتم، كان رده أبلغ جواب لمن أراد معرفة منزلة الدين وضرورته في حياة المسلم والإنسان:

---

(١) التقرير والتحبير٣/ ٢٣١

(يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته)[١].

كما تجلت هذه الأولوية والضرورة في حياة وسلوك أصحابه من بعده ﷺ، فقدموا في سبيل الله ونشر دين الإسلام الغالي والنفيس من الأنفس والأموال والأولاد، وتحملوا في سبيل عقديتهم كل ألوان العذاب، ولعل في قتال أبي بكر الصديق رضي الله عنه المرتدين عن دين الله الإسلام بعد وفاته ﷺ، خير شاهد على أهمية وضرورة الدين في حياة السلف الصالح[٢].

☜ ثالثاً: وسائل حفظ الدين:

١- إن الشريعة الإسلامية تغرس اليقين بأصول الإيمان وأركانه - الإيمان بالله ورسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

٢- جمعت الشريعة في إقامة الإيمان على البرهان العقلي والحجة العلمية أيضاً، ومن هنا كانت دعوة الإسلام إلى النظر والتفكر والتدبر: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

٣- أمرت الشريعة الإسلامية بالقيام بأصول العبادات وأركان الإسلام، فمن أهم أسرار العبادات وحكمها أنها تصل العبد بربه وتوثق صلته به، مما يرسخ أصل الإيمان في نفسه ويجدده، كما أوجبت الدعوة إلى الله وحمايتها وتوفير أسباب الأمن لحملتها.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ١٦٦، والروض الأنف للسهيلي ٣/ ١١.

(٢) من مقال بعنوان: لماذا كان حفظ الدين أهم ضروريات الإسلام؟ د. محمد لافي، منشور على موقع المسلم.

٤- شرع الله الجهاد تمكيناً للدين وحماية للاعتقاد، ودرءً للعدوان عليه وعلى أتباعه الدين وعلى الناس عموماً، ونصرة للمظلوم، قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

٥- أوجبت الشريعة الإسلامية الالتزام بتعاليم الدين وتطبيقها عن قناعة بها، ولم تقبل مجرد النطق باللسان والتصديق بالقلب دليلاً على الإيمان، بل لا بد من قرن الإيمان بالعمل الصالح ليكتمل ويقبل.

٦- شرع الله عقوبة الردة لكل من تسول له نفسه أن يتخذ الدين ألعوبة أو حيلة للنيل منه أو الطعن فيه، فمن ارتد بعد أن دخل هذا الدين بقناعة تامة، فقد أثبت على نفسه أنه إنما أراد بدخوله الإسلام إحداث بلبلة واضطراب داخل المجتمع المسلم، ومن هنا يمكن فهم محاولة أهل الكتاب الولوج من هذا الباب للنيل من دين الله الإسلام: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢]. وقال ﷺ: (مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ)[١].

وقال أيضاً: (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة)[٢].

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: لا يعذب بعذاب الله (٣٠١٧).

(٢) صحيح مسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب ما يباح به دم المسلم (١٦٧٦).

المقصد الثاني

حفظ النفس[١]

◆ أولاً: أهمية حفظ النفس في الإسلام[٢]:

حق النفس حق مقدس في نظر الشريعة الإسلامية، فلقد خلق الله الإنسان وألبسه ثوب الكرامة وفضله على كثير ممن خلق بالعقل والعلم والبيان والنطق والشكل والصورة الحسنة والهيئة الشريفة والقامة المعتدلة، وشمله بالرعاية والعناية وهو نطفة في داخل الرحم وفي جميع أطواره، إلى أن صار خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين.

اهتم الدين الإسلامي الحنيف بحفظ النفس البشرية كما لم يهتم بذلك قبله ولا بعده، دين، ولا فرقة ولا مذهب ولا قانون وضعي، بل إن الحياة البشرية لم تشهد تشريعاً للأحكام والوسائل التي تحفظ النفس الإنسانية وتعصمها كما في الشريعة الإسلامية.

فالإسلام تميز عن الديانة النصرانية في أنه لا يحتقر الدنيا ولا يهين الجسد، كما يختلف عن اليهودية في أنه لا يهتم بالروح وينسى الحياة الأخرى، فهو دين يدعو إلى تحقيق التوازن بين مطالب الروح وحاجات الجسد والتوفيق بين العمل والسعي في الحياة الدنيا، والعمل والسعي للحياة الآخرة.

فهو يربي النفس على الربط بين ذكر الله وعبادته، مع السعي لمصالحها في هذه الحياة، على أن تكون هذه المصالح عوناً على ذكر الله، وجانب الله فيها مرعي، وعلى

---

(١) للاستزادة حول الموضوع ينظر: مصلحة حفظ النفس في الشريعة الإسلامية د. محمد أحمد المبيض.

(٢) ينظر: وسائل الشريعة الإسلامية لحفظ النفس المعصومة د. محمد لافي، مقال منشور على موقع المسلم. ماهية المقاصد وأقسامها، د. أسماء الموسى، بحث علمي منشور على موقع الملتقى الفقهي.

أن لا تكون مصالح الدنيا سبباً في إغفال ما يربي النفس ويزكيها ويسمو بها ويطهرها.

وحرم الشرع إزهاقها إلا بحق كالقصاص أو الحدود أو التعزير، ولا يقال: هذا مناف لمقصد حفظ النفس؛ لكون مصلحة حفظها -والحالة هذه- عورضت بمصلحة أعظم، فأَخَذ بأعظم المصلحتين.

والمقصود بالأنفس التي عنيت الشريعة بحفظها الأنفس المعصومة بالإسلام أو الجزية أو العهد أو الأمان[١].

والحقيقة أن الوسائل والتشريعات الإسلامية التي حفظ الإسلام من خلالها النفس الإنسانية من الأذى والهلاك، منها ما هو وقائي يهدف إلى منع وقوع الأذى بالنفس المعصومة، ومنها ما هو علاجي يهدف إلى علاج آثار الجناية على هذه النفس، بما يعود على الأنفس الأخرى.

فحفظ النفس هو حفظ الأرواح من التلف أفراداً وعموماً لأن العالم مركب من أفراد الإنسان، وفي كل نفس خصائصها التي بها بعض قوام العالم، وليس المراد حفظها بالقصاص فقط، بل نجد القصاص هو أحد أنواع حفظ النفوس، لأنه تدارك بعد الفوات بل الحفظ عن التلَف قبل وقوعه، مثل مقاومة الأمراض السارية.

◆ ثانياً: وسائل الإسلام في حفظ النفس:

ممّا جاءت به الشريعة لتحقيق هذا المقصد:

١- تحريم الاعتداء على النفس:

وردت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة تَدُلُّ على تحريم الاعتداء عليها، من

(١) انظر: روضة الطالبين ٩/ ١٤٨.

ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، عن الضحاك قال: «لأن أتوب من الشرك أحب إلي من أتوب من قتل المؤمن»[(١)].

وقال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة: ٣٢]. قال مجاهد: «وعد الله قاتل النفس بجهنم، والخلود فيها، والغضب، واللعنة، والعذاب العظيم.. والقصد بالآية: تعظيم قتل النفس، والتشديد فيه؛ لينزجر الناس عنه، وكذلك الثواب في إحيائها كثواب إحياء الجميع؛ لتعظيم الأمر، والترغيب فيه»[(٢)].

ومنها قوله ﷺ: في أكبر اجتماع للناس عند موقف عرفة حيث قال: **(إنَّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا...)**[(٣)].

وجعل النبي ﷺ جريمة قتل النفس بعد جريمة الشرك بالله مباشرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(اجتنبوا السبع الموبقات قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا، وأكل مال اليتيم ... الحديث)**[(٤)].

---

(١) الدر المنثور ٢/ ٦٢٩.

(٢) التسهيل في علوم التنزيل ١/ ٢٤٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى (١٧٣٩)، ومسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ (١٢٨).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا =

٢- تشريع القصاص:

فالقصاص سبب من أسباب حفظ الأرواح، والنفوس من التلف، وذلك أن الله أخبر في كتابه أن في القصاص حياة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٨ - ١٧٩].

وقال تعالى: ﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

٣- استتابة المرتد:

كما أن من مظاهر حرص الشريعة الإسلامية على النفوس، ووسائلها في صيانتها من الإتلاف، منحها من خلال الاستتابة فرصة للمرتد عن الإسلام للحياة، حرصاً منه على حياته التي أحلتها ردته، وذلك بمنحه ثلاثة أيام للتوبة قبل قتله، وهو مذهب جمهور الفقهاء والعلماء، قال ابن بطال: «اختلف العلماء في استتابة المرتد، فروى عن عمر بن الخطاب وعثمان وعلى وابن مسعود أنه يستتاب؛ فإن تاب وإلا قتل، وهو قول أكثر العلماء»(١).

= ﴿يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: ١٠] (٢٧٦٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها (٢٧٢).

(١) شرح البخاري لابن بطال ١٦/ ١١٩، وللتوسع في هذه المسألة ينظر: حاشية ابن عابدين ـ٤/ ٢٢٥، المبسوط ٩/ ٩٨، بدائع الصنائع ٩/ ٤٣٨٤، مواهب الجليل ـ٦/ ٢٨١، المغني ١٠/ ٧٦، ٧٧، أحكام القرآن للقرطبي ٣/ ٤٧. وانظر التشريع الجنائي الإسلامي ٢/ ٧٢٣.

٤ - تحريم الانتحار والوعيد الشديد لمن قتل نفسه:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **(من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجّأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلّداً فيها أبداً، ومن شرب سُمّاً فقتل نفسه فهو يتحسّاه في نار جهنم خالداً مخلّداً فيها أبداً، ومن تردَّى من جبل فقتل نفسه فهو يتردَّى في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً)**[١].

٥- النهي عن القتال في الفتنة:

عن الأحنف بن قيس قال: خرجت وأنا أريد هذا الرجل، فلقيني أبو بكرة فقال: أين تريد يا أحنف؟ قال: قلت: أريد نصر ابنَ عمِّ رسول الله ﷺ - يعني عليّاً - قال: فقال لي: يا أحنف، ارجِع، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار)**، قال: فقلت أو قيل: يا رسول الله، هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: **(إنه قد أراد قتل صاحبه)**[٢].

٦- النهي عن الإشارة بالسلاح ونحوه من حديدة وغيرها:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال أبو القاسم ﷺ: **(من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه، وإن كان أخاه لأبيه وأمه)**[٣].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب: شرب السم والدواء (٥٣٣٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، وأن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار.. (١٥٨) واللفظ له.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣٠)، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إذا تواجه المسلمان بسيفهما (٢٨٨٨) واللفظ له.

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم (٢٦١٦).

قال النووي: «فيه تأكيد حرمة المسلم، والنهي الشديد عن ترويعه وتخويفه والتعرض له بما قد يؤذيه، وقوله ﷺ: **(وإن كان أخاه لأبيه وأمه)** مبالغة في إيضاح عموم النهي في كل أحد، سواء من يتّهم فيه ومن لا يتّهم، وسواء كان هذا هزلاً ولعباً أم لا؛ لأن ترويع المسلم حرام بكل حال؛ ولأنه قد يسبقه السلاح كما صرّح به في الرواية الأخرى، ولعن الملائكة له يدلّ على أنه حرام»(١).

وعن أبي موسى رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: **(إذا مر أحدكم في مسجدنا أو في سوقنا ومعه نبل فليمسك على نصالها بكفه؛ أن يصيب أحداً من المسلمين منها بشيء)**(٢).

٧- النهي عن السبّ والشتم المفضي للعداوة ثم التقاتل:

قال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء٥٣].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ: **(سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)**(٣).

٨- الترخص في المكره ولو قال كلمة الكفر فداءً لنفسه من القتل ونحوه:

ولم يتوقف حرص الإسلام على حفظ النفس المعصومة على ما سبق من الوسائل الوقائية والعلاجية، بل تعداها إلى غير ذلك مما يعتبر رخصة ومنحة إلهية في

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٦/ ١٧٠.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب أمر من مر بسلاح في مسجد أو سوق أو غيرهما من المواضع الجامعة للناس أن يمسك بنصالها (٢٦١٥).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله (٤٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي ﷺ: **(سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)** (٩٧).

بعض الحالات الاستثنائية، فقد أباح الإسلام النطق بكلمة الكفر عند الإكراه بالقتل، مع اشتراط أن يبقى القلب مطمئنًا بالإيمان، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النحل: ١٠٦].

المقصد الثالث

حفظ النسل

ويراد بحفظ النسل: حفظ النوع الإنساني على الأرض، بواسطة التناسل النظيف الصحيح العفيف الطاهر، ويمكن بيان هذا المقصد من خلال النقاط التالية[١]:

أولاً: مفهوم حفظ النسل وأهميته:

وتبرز أهمية حفظ النسل في أمور:

١- حفظ النوع الإنساني:

الإسلام يسعى إلى استمرار المسيرة الإنسانية على الأرض؛ حتى يرث الأرض ومن عليها، وذلك من خلال التناسل العفيفي النظيف الصحي المتمثل في الزواج فهو عامل أساسي في استمرار النسل، ولقد نوه القرآن الكريم عن هذه الحكمة الاجتماعية البالغة حين قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية، د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، بحث منشور على موقع الألوكة.

﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء ١]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل٧٢].

وفي كثرة النسل من المصالح العامة والمنافع الخاصة مما جعل النبي ﷺ يقول: (تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة)[1].

ففي كثرة النسل قوة للأمة الإسلامية ومصدر عزة لها، فالأمة التي تملك أفراداً أكثر أقدر على الغلبة والتقدم والتحضر وأهيب جانباً لدى أعدائها، وإذا كانت هذه الذرية صالحة نفعت أمتها ومجتمعها وكانت وسيلة لنشر الخير للعالمين.

٢- المحافظة على الأنساب:

فبحفظ النسل تحفظ الأنساب ويفتخر الأبناء بانتسابهم إلى آبائهم لأن في هذا النسب اعتبارهم الذاتي وكرامتهم الإنسانية وسعادتهم النفسية، قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب٤-٥].

فالنسب هو رابطة سامية وصلة عظيمة على جانب كبير من الخطورة، لذا لم يدعها الشارع الكريم نهباً للعواطف والأهواء تهبها لمن تشاء وتمنعها ممن تشاء، بل تولاها بتشريعه، وأعطاها المزيد من عنايته، وأحاطها بسياج منيع يحميها من الفساد والاضطراب، فأرسى قواعدها على أسس سليمة[2].

---

(١) سنن أبي داوود، كتاب النكاح، باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء (٢٠٥٠)، مسند أحمد ٣/ ١٥٨ (١٢٦٣٤)، وعلق شعيب الأرناؤوط: صحيح لغيره، وصححه الألباني في صحيح أبي داوود (١٨٠٥).

(٢) ينظر بحث ماجستير بعنوان: أحكام النسب في الفقه الإسلامي - فؤاد مرشد داؤود بدير، نابلس.

وحفظ سلامة الأنساب ووضوحها، هو حفظ لكرامة الإنسان، وبناء أسر وأجيال ومجتمعات مسلمة تنعم بالوحدة والمودة والسعادة والاستقرار.

وقد أمرنا الرسول ﷺ بالاعتناء بالأنساب والاهتمام بها وعدم الخلط في الأنساب شيئاً يسبب لها التشويه والاتهام في الأعراض، فقال: وقال ﷺ: **(من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم، فالجنة عليه حرام)**[١].

حيث إن حفظ الأنساب يترتب عليه أيضاً كثير من الحقوق والأحكام، كإباحة الزواج، والإرث، والدخول على النساء.. وغيرها.

٣- سلامة المجتمع من الأمراض الخبيثة المترتبة على الانحلال الخلقي:

قال تعالى في قصة نبيه لوط عليه السلام: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾[هود ٧٨]، ﴿أَطْهَرُ﴾ بكل معاني الطهر، النفسي والحسي، فهن يلبين الفطرة الطاهرة، ويثرن مشاعر طاهرة، فهي طهارة فطرية وطهارة أخلاقية ودينية.

وحذّر رسول الله ﷺ من وقوع الفاحشة وظهورها في المجتمعات، فقال ﷺ: **(لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا)**[٢].

٤- تنمية عاطفة الأمومة والأبوة:

إن غريزة الأبوة والأمومة تنمو وتتكامل في ظلال بيت يعرف فيه الطفل أبوه وأمه،

(١) صحيح البخاري، كتاب الفرائض، باب من ادعى إلى غير أبيه (٦٧٦٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم (٦٣).

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب العقوبات (٤٠١٩). وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٦).

ويعرف الأبوان أن هذا الطفل هو طفلهما، فتنمو مشاعر العطف والود والحنان، وهي فضائل لا تكمل إنسانية إنسان بدونها.

وبذلك يترابط المجتمع المبني على المحافظ على نسله، بعد ترابط الأسرة، وتقوية أواصر المحبة بين العائلات، وتوكيد الصلات الاجتماعية مما يباركه الإسلام ويعضده ويسانده، فإن المجتمع المترابط المتحاب هو المجتمع القوي السعيد[١].

٥- تقوية ملكات الفرد ومواهبه فيما ينفع أمته ومجتمعه:

فإن الشعور بالنسل والذرية يبعث على النشاط وبذل الوسع في تقوية ملكات الفرد ومواهبه، فينطلق إلى العمل من أجل النهوض بأعبائه، والقيام بواجب الحفاظ على الذرية من الضياع بتعليمهم وتربيتهم وكسب الحلال لهم فتعمر الأرض وتتقدم المجتمعات وتصل الأجيال في النهوض بالتكاليف الإسلامية وبواجب الخلافة في الأرض.

فيكثر الاستغلال وأسباب الاستثمار مما يزيد في تنمية الثروة وكثرة الإنتاج، ويدفع إلى استخراج خيرات الله من الكون وما أودع فيه من أشياء ومنافع للناس.

قال الله تعالى عن دعاء نبيه زكريا عليه السلام: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم ٢-٧].

---

(١) وللاستزادة انظر: فقه السنة ٢/ ١٣٩-١٤١، وعقبات الزواج وطرق معالجتها على ضوء الإسلام، د. عبدالله ناصح علوان ص١١-١٧.

ثانياً: وسائل حفظ النسل في الإسلام:

ولا يكتف الإسلام بوضع الحلول الناجعة لأي مشكلة تقع في حياة الإنسان من أي نوع، بل يسارع إلى وضع التشريعات التي تقي هذا المخلوق المكرم من الوقوع فيها أصلاً.

ولا يمكن مقارنة ما سنَّه الإسلام من تشريعات وقائية وعلاجية لحفظ الأعراض والأنساب بأي تشريع سابق أو لاحق عليه سماويّاً محرفاً كان أم وضعيّاً بشريّاً، فبينما تساهم تشريعات الإسلام في حفظ أهم ضروريات استمرار حياة الإنسان – النسل – تساهم ممارسات الغرب والشرق وتشريعاتهم الوضعية في انتهاكه بشكل فاضح ومشين.

ومن أجل تحقيق هذا المقصد شرع الإسلام المبادئ والتشريعات التالية:

١ – تشريع الزواج:

قال تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾ [النساء: ٣].

كما أن النبي ﷺ رغب الشباب من أمته على الزواج، ففي الحديث الصحيح عَنْ عبدالرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ عَلْقَمَةَ وَالْأَسْوَدِ عَلَى عبداللهِ فَقَالَ عبداللهِ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ شَبَاباً لَا نَجِدُ شَيْئاً فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ)**[١].

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة فليصم (٥٠٦٦)، ومسلم، كتاب النكاح، باب =

فقد شرع الإسلام الزواج ورغب فيه واعتبره الطريق الفطري النظيف الذي يلتقي فيه الرجل بالمرأة لا بدوافع غريزية محضة، ولكن بالإضافة إلى تلك الدوافع، يلتقيان من أجل تحقيق هدف سام نبيل هو حفظ النوع الإنساني، وابتغاء الذرية الصالحة التي تعمر العالم وتبني الحياة الإنسانية وتتسلم أعباء الخلافة في الأرض لتسلمها إلى من يخلف بعدها حتى يستمر العطاء الإنساني، وتزدهر الحضارة الإنسانية في ظل المبادئ النبيلة والقيم الفاضلة.

وهو ما يؤكد أنه ليس في الإسلام حرمان، فما من شهوة أودعها الله تعالى في كيان الإنسان إلا وجعل لها قناة نظيفة تسري خلالها لإشباعها.

٢- سد ذرائع الوقوع في الفاحشة:

قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[النور: ٣٠ – ٣١].

فالإسلام أحاط العلاقة بين الذكر والأنثى بمجموعة من المبادئ والآداب

= استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم (١٤٠٠).

الأخلاقية: التي تضمن تحقيق الأهداف السامية لهذه العلاقة، وتستبعد الممارسات الفوضوية للعلاقات بين الجنسين، فعن طريق إيجاب غض بصر الذكر عن الأنثى والأنثى عن الذكر يقطع الإسلام الطريق على وسائل الإثارة في النفس البشرية، وبإيجاب اللباس الساتر بمواصفات خاصة يحارب التشريع أسباب الفتنة.

ويحرم على الرجل الاختلاء بالمرأة الأجنبية حتى وإن كانت ملتزمة باللباس الساتر، إلا بوجود أحد محارمها، وللبيوت في الإسلام حرمة عظيمة، حيث لا يجوز دخولها دون استئذان أصحابها والسلام عليهم.

وبالإضافة إلى هذه الآداب وغيرها يضع الإسلام الضوابط التي تنظم حالات اجتماع الرجال والنساء عند الحاجة.

٣- تحريم الزنا وتشريع الحد عليه:

ولذا حرم الله الزنا وهو الاعتداء بالفعل، كما حرم القذف وهو الاعتداء بالقول، وحدد لكل منها عقوبة رادعة قال تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةٗ وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النور:٢ - ٣].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «مفسدة الزنا من أعظم المفاسد، وهي منافية لنظام مصلحة العالم في حفظ الأنساب، وحماية الفروج، وصيانة الحرمات، وتوقي ما يوقع أعظم العداوة والبغضاء بين الناس، من إفساد كل منهم امرأة صاحبه وابنته وأخته، وما في ذلك من خراب العالم»[١].

(١) الجواب الكافي ص ٣٥٩.

ويقول: «فإن المرأة إذا زنت أدخلت العار على أهلها وزوجها وأقاربها، ونكست رؤوسهم بين الناس، وإن حملت من الزنا فإن قتلت ولدها جمعت بين الزنا والقتل، وإن حملته على الزوج أدخلت على أهله وأهلها أجنبيًّا ليس منهم، فورثهم وهو ليس منهم ورآهم وخلا بهم وانتسب إليهم وهو ليس منهم، وكذلك زنى الرجل فإنه يوجب اختلاط الأنساب، وإفساد المرأة المصونة، وتعريضها للتلف والفساد، ففي هذه الكبيرة خراب الدنيا والدين»[١].

ولذا كان التشديد في حد الزنا بجلد الزاني أو الزانية البكر مائة جلدة، أما المحصن سواء كان رجلاً أو امرأة فالحد هو الرجم.

والجلد أو الرجم يكون أمام الناس ردعاً لغيرهم، وكذلك من عقوبة الزنا الإبعاد عن البلد عاماً كاملاً، وهذا ثبت بالسنة[٢].

وكذلك حرمة الزواج بالزاني أو الزانية قبل التوبة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الزَّانِيَةَ لا يجوز تزوُّجها إلا بعد التوبة»[٣].

٤- تحريم القذف:

«أصل القذف الرمي بالحجارة، والقذف بالزنا مأخوذ من هذا المعنى»[٤].

---

(١) الجواب الكافي ص ٣٨٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي (٦٦٣٣)، ومسلم، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا (١٦٩٧).

(٣) مجموع الفتاوى ٨/ ٢٧٩، وقد اختلف أهل العلم رحمهم الله في ضابط رفع ذلك التحريم انظر الفتاوى الكبرى ٤/ ١٢٢، وقد رجح شيخ الإسلام أنه يجوز تزوجها بعد التوبة وذكر الأدلة على ذلك من القرآن والسنة والإجماع والاعتبار، ورد على المخالفين.

(٤) الملخص الفقهي ٢/ ٤٢٧.

وفي الشرع: الرمي بوطء يوجب الحد على المقذوف[١]، وعند الفقهاء: الرمي بالزنا أو اللواط[٢].

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [النور: ٤ – ٩].

وقال رسول الله ﷺ: **(اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا وما هن يا رسول الله؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات)**[٣].

إن ترك الألسنة تلقي التهم بدون دليل قاطع، يترك المجال لكل من شاء أن يقذف بريئة أو بريئاً بتلك التهمة النكراء، فيصبح المجتمع المسلم ويمسي أعراضه مجروحة، وسمعته ملوثة، وإذا كل فرد فيه متهم أو مهدد بالاتهام، وإذا كل زوج فيها شاك في زوجته، وكل رجل فيها شاك في أصله، وكل بيت فيها مهدد بالانهيار.

٥- تحريم المثلية والشذوذ الجنسي:

فبالإضافة لاعتبارها في الإسلام من أعظم الجرائم وأقبح الذنوب وأسوأ الأفعال

(١) سبل السلام ١/ ١٩٠.

(٢) المغني ١٢/ ٣٨٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب رمي المحصنات (٦٨٥٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها (٨٩).

المنافية للفطرة والطبع الإنساني السوي فإن الله قد عاقب عليها بعقوبة شديدة تتناسب مع فظاعتها، وهو ما يردع كل من تسول نفسه التفكير في مثل هذه الجريمة البشعة التي تخرق ضرورة حفظ النسل بل وتجاوز ذلك بمراحل.

وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية إجماع الصحابة على قتل اللوطي سواء كان محصناً أو غير محصن فقال بعد أن نقل رأي بعض العلماء فيه: «أما اللواط فمن العلماء من يقول: حده كحد الزنا، وقد قيل: دون ذلك، والصحيح الذي اتفق عليه الصحابة أن يقتل الاثنان الأعلى والأسفل، سواء كانا محصنين أو غير محصنين وذلك لما رواه أهل السنن عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **(من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به)**[(١)].

ولم تختلف الصحابة في قتله ولكن تنوعوا فيه، فرُوي عن الصديق رضي الله عنه أنه أمر بتحريقه، وعن غيره قتله، وعن بعضهم أنه يلقى عليه جدار حتى يموت تحت الهدم، وقيل: يحبسان في أنتن موضع حتى يموتا، وعن بعضهم: أنه يرفع على أعلى جدار في القرية ويرمى منه ويتبع بالحجارة كما فعل الله بقوم لوط، وهذه رواية عن ابن عباس، والرواية الأخرى قال: يرجم، وعلى هذا أكثر السلف، قالوا: لأن الله رجم قوم لوط، وشرع رجم الزاني تشبيهاً بقوم لوط، فيرجم الاثنان، سواء كانا حرين أو مملوكين، أو كانا أحدهما مملوكاً والآخر حرًّا إذا كانا بالغين، فإن كان أحدهما غير بالغ عوقب بما دون القتل، ولا يرجم إلا البالغ»[(٢)].

---

(١) سنن أبي داوود، كتاب الحدود، باب فيمن عمل عمل قوم لوط (٤٤٦٢)، وسنن ابن ماجه، كتاب الحدود، باب من عمل عمل قوم لوط (٢٥٦١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٥٨٩).

(٢) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٣٣٤-٣٣٥ والسياسة الشرعية ص١٣٨.

ويدخل في هذا ما يحصل بين النساء بما يسمى بالسحاق، و «لا خلاف بين الفقهاء في أن السحاق حرام، وقد عده ابن حجر من الكبائر[(١)]»[(٢)].

٦- تحريم الإجهاض وتقرير العقوبة عليه[(٣)]:

وأما تحريم الإجهاض فقد ثبت بعموم الآيات التي تحرم قتل الأولاد بغير حق، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾[الممتحنة: ١٢]، قال ابن كثير: «هذا يشمل قتله بعد وجوده كما كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الإملاق، ويعم قتلَه وهو جنين كما يفعله بعض الجهلة من النساء تطرح نفسها لئلا تحبل إما لغرض فاسد أو ما أشبهه»[(٤)].

ومن الأدلة كذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾[الأنعام: ١٥١]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١].

وقد نقل الإجماع على حرمة الإجهاض بعد نفخ الروح الفقيه المالكي ابن جزي في قوانينه الفقهية حيث قال: «وإذا قبض الرحم المني لم يجز التعرض له، وأشد من ذلك إذا تخلق، وأشد من ذلك إذا نفخ فيه الروح فإنه قتل نفس إجماعاً»[(٥)].

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر ٢/ ١١٩.

(٢) الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٤/ ٢٥١.

(٣) للاستزادة ينظر بحث: الإجهاض دراسة فقهية مقاصدية- د. فريدة صادق، منشور على موقع الملتقى الفقهي.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨/ ١٠٠.

(٥) القوانين الفقهية ١/ ١٤١.

٧- تحريم تحديد النسل:

جاء في فتوى مجمع الفقه الإسلامي:

«**وبعد:** فقد نظر مجلس المجمع الفقهي الإسلامي في موضوع تحديد النسل أو ما يسمى تضليلاً بـ «**تنظيم النسل**». وبعد المناقشة وتبادل الآراء في ذلك قرر المجلس بالإجماع ما يلي: نظراً إلى أن الشريعة الإسلامية تحض على تكثير نسل المسلمين وانتشاره، وتعتبر النسل نعمة كبرى ومنة عظيمة من الله بها على عباده، وقد تضافرت بذلك النصوص الشرعية من كتاب الله ﷻ وسنة رسوله، **ودلت على أن القول بتحديد النسل أو منع الحمل مصادم للفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها، وللشريعة الإسلامية التي ارتضاها الله تعالى لعباده.**

ونظراً إلى أن دعاة القول بتحديد النسل أو منع الحمل فئة تهدف بدعوتها إلى الكيد للمسلمين لتقليل عددهم بصفة عامة، وللأمة العربية المسلمة والشعوب المستضعفة بصفة خاصة، حتى تكون لهم القدرة على استعمار البلاد واستعباد أهلها والتمتع بثروات البلاد الإسلامية، وحيث إن في الأخذ بذلك ضرباً من أعمال الجاهلية وسوء ظن الله تعالى وإضعافاً للكيان الإسلامي المتكون من كثرة اللبنات البشرية وترابطها.

لذلك كله فإن المجمع الفقي الإسلامي يقرر بالإجماع أنه لا يجوز تحديد النسل مطلقاً، ولا يجوز منع الحمل إذا كان القصد من ذلك خشية الإملاق، لأن الله تعالى هو الرزاق ذو القوة المتين، وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها، أو كان ذلك لأسباب أخرى غير معتبرة شرعاً.

أما تعاطي أسباب منع الحمل أو تأخيره في حالات فردية لضرر محقق لكون

المرأة لا تلد ولادة عادية وتضطر معها إلى إجراء عملية جراحية لإخراج الجنين فإنه لا مانع من ذلك شرعاً، وهكذا إذا كان تأخيره لأسباب أخرى شرعية أو صحية يقرها طبيب مسلم ثقة، بل قد يتعين منع الحمل في حالة ثبوت الضرر المحقق على أمه إذا كان يخشى على حياتها منه بتقرير من يوثق به من الأطباء المسلمين.

أما الدعوة إلى تحديد النسل أو منع الحمل بصفة عامة فلا تجوز شرعاً للأسباب المتقدم ذكرها، وأشد من ذلك في الإثم والمنع إلزام الشعوب بذلك وفرضه عليها في الوقت الذي تنفق فيه الأموال الضخمة على سباق التسلح العالمي للسيطرة والتدمير، بدلاً من إنفاقه في التنمية الاقتصادية والتعمير وحاجات الشعوب، والله أعلم»[(١)].

المقصد الرابع

حفظ المال

⌑ أولاً: مفهوم المال وأهميته في الإسلام:

يقال: «مال الرجل يُمَول ويُمال مولاً ومؤولاً إذا صار ذا مال وتمول مثله ومولة غيره. ورجل مال أي: كثير المال»[(٢)]،

و«**المال:** كل ما يملكه الفرد، أو تملكه الجماعة من متاع، أو عروض تجارة، أو عقار، أو نقود، أو حيوان»[(٣)]، «وسمي المال مالاً؛ لأنه يميل القلوب»[(٤)].

(١) ينظر الفتوى في مجلة البحوث الإسلامية ٣٠/ ٢٨٥.

(٢) انظر: الصحاح ٦/ ٩٩- ١٠٠ باختصار.

(٣) انظر: القاموس الفقهي ص٣٤٤.

(٤) هذه مقولة سفيان الثوري رحمه الله، انظر: تاريخ بغداد ٤/ ٤٤.

ومن خلال التعريف اللغوي تبين أن المال ليس مقصوراً على النقود الورقية المعروفة فقط؛ بل كل شيء مادي محسوس له قيمة مالية يستطيع أن يستفيد الإنسان من عينه أو مما ينتجه من مال.

ولقد أولى الإسلام المال اهتماماً واضحاً لا يخفى على عاقل، فاعتبره القرآن قوام الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ [النساء: ٥]، قال ابن كثير: أي: «تقوم بها معايشهم من التجارات وغيرها»[(١)].

والإسلام جعل المال شقيق الروح ومساوياً لها في الحرمة؛ فقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: **(كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه وماله وعرضه)**[(٢)].

وقال أيضاً في خطبته المشهورة: **(إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا)**[(٣)].

فحمى المال من أن تمتد إليه أيدي العابثين وتطلعات الطامعين، فهددهم بالويل والثبور وعظائم الأمور حبساً أو قطعاً أو قتلاً أو صلباً أو تشريداً.

ولا عجب أن يكون للمال في النظام الإسلامي قيمة كبيرة، ومكانة مرموقة، ولأن في المال كل ما تتوقف عليه الحياة في أصلها وكمالها، وسعادتها وعزها من علمٍ وصحةٍ وقوةٍ، واتساع عمران وسلطانٍ؛ ولا سبيل لذلك إلا بالمال.

فالمال في الإسلام يعتبر عصب الحياة ولا يمكن أن تتقدم الحياة بدونه، وقد

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٢١٤.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله (٢٥٦٤).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى (١٧٤٢)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان معنى قول النبي ﷺ: لا ترجعوا بعدي كفاراً (٦٦).

حرصت الشريعة على حفظ المال كأحد مقاصدها الأساسية لأنه من خلال توجيه الثروة بشكل صحيح يستطيع الإنسان أن يحقق الخير لنفسه ولمجتمعه.

ثانياً: تشريعات الإسلام لحفظ المال:

لم يتوقف اهتمام الإسلام بقضية المال عند اعتباره مقصداً من مقاصد الشريعة الإسلامية الضرورية التي لا تقوم الحياة ولا تستقيم إلا بها، بل وضع من التشريعات ما يضبط: أولاً: وسائل إيجاد المال وتحصيله من الانحراف، وثانياً: ما يحفظ بقاء المال واستمراره من التعدي أو الضياع.

وبيان ذلك في النقاط التالية:

١- الأمر بالسعي لتحصيل المعاش:

رفع الإسلام من مكانة العمل وعظّم من شأنه، وجعله المصدر الأساس لكسب المال وتحصيله، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

فالإسلام يأمر بالعمل والكسب ويذم البطالة واستجداء الناس، وطلب المال منه، وعن المقدام رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَاماً قَطُّ خَيْراً مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ عليه السلام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ)[1].

وهذه سنة الله تعالى للأنبياء جميعاً، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ

(١) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل من عمل يده، رقم (٢٠٧٠).

ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾ [سورة الفرقان٢٠]. قال القرطبي: «أي: يتجرون ويحترفون»(١).

وقال ابن كثير: «للتكسب والتجارة، وليس ذلك بمنافٍ لحالهم ومنصبهم؛ فإن الله جعل لهم من السمات الحسنة، والصفات الجميلة، والأقوال الفاضلة، والأعمال الكاملة، والخوارق الباهرة، والأدلة القاهرة، ما يستدل به كل ذي لب سليم، وبصيرة مستقيمة، على صدق ما جاءوا به من الله عز وجل»(٢).

٢- الإباحة للمعاملات التي يحتاج إليها الناس لمعاشهم:

فقد أباح الشرع كل المعاملات التي فيها صلاح حال الناس دون أن يكون فيها ظلم أو اعتداء على حقوق الآخرين، قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾[البقرة: ٢٧٥].

فالأصل في المعاملات المالية الإباحة إلا ما دل الدليل على تحريمه، أو ما يندرج تحت محرم أو يؤول لمحرم.. وما استجد من عقود معاصرة لا بد وأن تعرض على الشرع الحنيف ليقر بحلها أو حرمتها(٣).

٣- الأمر بتحري المال الحلال:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾[البقرة:١٧٢]، «فأباح الله الطيبات للمتّقين التي يستعينون بها

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي١٣/ ١٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ١٠٠.

(٣) يمكن الاستزادة حول هذا الموضوع من كتاب أصول في المعاملات المالية المعاصرة د. خالد المصلح.

على عبادة ربهم التي خلقوا لها. وحرّم عليهم الخبائث التي تضرّهم في المقصود الذي خلقوا له. وأمرهم- مع أكلها- بالشكر، ونهاهم عن تحريمها»[١].

وعن أبي هريرة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **(أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾** [المؤمنون: ٥١] **وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾**[البقرة:١٧٢] **ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟)**[٢].

ومما يسأل عنه المرء يوم القيامة **(وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيما أنفقه؟)**[٣].

٤- التحريم لإضاعة المال بالإسراف والتبذير:

«**الإسراف هو**: مجاوزة الحد، وخص بعضهم استعمال الإسراف بالنفقة والأكل. يقول الجرجاني في التعريفات: الإسراف تجاوز الحد في النفقة.

وقيل: أن يأكل الرجل ما لا يحل له، أو يأكل ما يحل له فوق الاعتدال ومقدار الحاجة، وقيل: الإسراف تجاوز الكمية، فهو جهل بمقادير الحقوق.

والسرف: مجاوزة الحد بفعل الكبائر»[٤].

(١) محاسن التأويل ١/ ٤٧٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الكسوف، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها (١٠١٥).

(٣) جامع الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب في القيامة (٢٤١٧) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) الموسوعة الفقهية الكويتية ٤/ ١٦٧- ١٧٧، وحاشية ابن عابدين ٥/ ٤٨٤.

أما التبذير: هو تفريق المال في غير قصد، ومنه البذر في الزراعة، وقيل: هو إفساد المال وإنفاقه في السرف، وخصه بعضهم بإنفاق المال في المعاصي، وتفريقه في غير حق.

وقيل: عدم إحسان التصرف في المال، وصرفه فيما لا ينبغي، فصرف المال إلى وجوه البر ليس بتبذير، وصرفه في الأطعمة النفيسة التي لا تليق بحاله تبذير(١).

«وعلى هذا فالتبذير أخص من الإسراف، لأن التبذير يستعمل في إنفاق المال في السرف أو المعاصي أو في غير حق، والإسراف أعم من ذلك، لأنه مجاوز الحد، سواء أكان في الأموال أم في غيرها، كما يستعمل الإسراف في الإفراط في الكلام أو القتل وغيرهما»(٢).

وقد فرق ابن عابدين بين الإسراف والتبذير من جهة أخرى، فقال: التبذير يستعمل في المشهور بمعنى الإسراف، والتحقيق أن بينهما فرقاً، وهو أن الإسراف: صرف الشيء فيما ينبغي زائداً على ما ينبغي، والتبذير: صرف الشيء فيما لا ينبغي(٣).

وقال الماوردي، التبذير: الجهل بمواقع الحقوق، والسرف: الجهل بمقادير الحقوق(٤).

قال تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

قال عطاءُ بن أبي رباح: «نُهُوا عن الإسراف في كلِّ شيءٍ»(٥).

---

(١) ينظر: حاشية ابن عابدين ٥/ ٤٨٤، وتفسير الكشاف ٣/ ٦، وتفسير مفاتيح الغيب ٢٠/ ١٩٣.

(٢) الموسوعة الفقهية الكويتية ٤/ ١٧٧.

(٣) حاشية ابن عابدين ٥/ ٤٨٤.

(٤) نهاية المحتاج ٤/ ٣٥٠ - ٣٥١.

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ١٨٢.

قال ابن كثير: «أيْ: ولا تسرفوا في الأكل؛ لِمَا فيه من مضرَّة العقل والبَدَن»[(١)].

ومن خطورة التبذير بين الله تعالى أن المبذرين إخوان الشياطين، قال تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦- ٢٧].

وقد أمر الله تعالى بالتوسط في الإنفاق، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

وقال تعالى مادحاً عبادَه المقتصِدين: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]. «أي: ليسوا بمبذِّرين في إنفاقهم، فيَصْرِفون فوق الحاجة، ولا بُخلاء على أهليهم، فيُقصِّرون في حقِّهم، فلا يكْفُونَهم؛ بل عدلاً خياراً، وخير الأمور أوسطها، لا هذا ولا هذا»[(٢)].

وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **(كُلُوا، وتصدَّقوا، والبسوا، في غير إسرافٍ ولا مَخِيلَةٍ)**[(٣)].

٥- منع المال عن السفهاء لحفظه من التلف:

قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النساء:].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ١٨٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٣٢٥.

(٣) صحيح البخاري تعليقاً مجزوماً به، في كتاب اللباس، باب قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ [الأعراف: ٣٢]، وسنن النسائي، كتاب الزكاة، باب الاختيال في الصدقة (٢٥٥٩) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٥٠٥).

قال ابن سعدي: «السفهاء جمع سفيه، وهو من لا يحسن التصرف في المال، إما لعدم عقله كالمجنون والمعتوه ونحوها، وإما لعدم رشده كالصغير وغير الرشيد، فنهى الله الأولياء أن يؤتوا هؤلاء أموالهم خشية إفسادها وإتلافها، ولأن الله جعل الأموال قياماً لعباده في مصالح دينهم ودنياهم، وهؤلاء لا يحسنون القيام عليها وحفظها، فأمر الولي أن لا يؤتيهم إياها، بل يرزقهم منها ويكسوهم ويبذل منها ما يتعلق بضروراتهم وحاجاتهم الدينية والدنيوية، وأن يقولوا لهم قولاً معروفاً، بأن يعدوهم إذا طلبوها أنهم سيدفعونها لهم بعد رشدهم ونحو ذلك، ويلطفوا لهم في الأقوال جبراً لخواطرهم»[1].

٦- تحريم السرقة وإيجاب الحد على السارق:

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].

«**السارق:** هو من أخذ مال غيره المحترم خفية، بغير رضاه، وهو من كبائر الذنوب الموجبة لترتب العقوبة الشنيعة، وهو قطع اليد، والسنة قيدت عموم هذه الآية من عدة أوجه:

منها: الحرز، فإنه لا بد أن تكون السرقة من حرز، وحرز كل مال: ما يحفظ به عادة. فلو سرق من غير حرز فلا قطع عليه، **ومنها:** أنه لا بد أن يكون المسروق نصاباً، وهو ربع دينار، أو ثلاثة دراهم، أو ما يساوي أحدهما، فلا تقطع اليد في الشيء النزر التافه.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ١٦٤.

والحكمة في قطع اليد في السرقة، أن ذلك حفظ للأموال، واحتياط لها، تنكيلاً وترهيباً للسارق ولغيره، ليرتدع السراق -إذا علموا- أنهم سيقطعون إذا سرقوا»[(١)].

فهذا الحد تنكيل من الله رادع عن ارتكاب الجريمة رحمة بمن تحدثه نفسه بها، لأنه يكفه عنها، ورحمة بالمجتمع كله لأنه يوفر له الطمأنينة.

قال ابن القيم: «فمن تمام حكمة الشارع قطع يد السارق، دون يد المختلس والمنتهب والغاصب؛ لأن السارق لا يمكن الاحتراز منه، فإنه يثقب الدُّور، ويهتك الحرز، ويكسر القفل، فلو لم يشرع قطع يد السارق لسرق الناس بعضهم بعضاً، وعظم الضرر، واشتدت المحنة، فجميع مَن مر ذكرهم لا يعاقبون بقطع أيديهم بل بالضرب، والنكال، والسجن الطويل، والعقوبة باسترجاع المال منهم ورده إلى أصحابه»[(٢)].

٧- تحريم قطع الطريق:

ومن المعلوم أن من أهم أهداف وغايات قطاع الطريق هو الاعتداء على أموال الناس، وقد شرع الإسلام عقوبة شديدة رادعة على هذه الجريمة، لحفظ الأمن والأمان في المجتمع، والذي منه حماية أموال الناس، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣].

قال القرطبي: «قالت طائفة: يقام عليه بقدر فعله؛ فمن أخاف السبيل وأخذ المال

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٢٣٠ باختصار.

(٢) إعلام الموقعين ٢/ ٤٨.

قطعت يده ورجله من خلاف، وإن أخذ المال وقتل قطعت يده ورجله ثم صلب، فإذا قتل ولم يأخذ المال قتل، وإن هو لم يأخذ المال ولم يقتل نفي»[(١)].

ولا شك أن عقوبة بهذه الشدة وذلك الحسم كافية لحفظ أموال الناس من الاعتداء، ناهيك عن حماية المجتمع بأسره من غائلة اختلال أمنهم.

٨- تحريم أكل أموال الناس بالباطل:

سواء كان ذلك بالربا أو أنواع البيوع المحرمة، من غش وغبن وبيع الأخ على بيع أخيه.. وغيرها من البيوع المحرمة قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [النساء: ٢٩].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨]. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «هذا في الرجل يكون عليه مال، وليس عليه فيه بيِّنة، فيجحد المال ويخاصم إلى الحكام، وهو يعرف أن الحق عليه، وهو يعلم أنه آثم آكل حرامٍ»[(٢)].

وقال الرسول ﷺ: **(لا يحل مال امرئٍ مسلمٍ إلا بطيب نفس)**[(٣)] وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(من اقتطع مال امرئٍ مسلمٍ بغير حق لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان)**[(٤)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٦/ ١٥١.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٥٢١.

(٣) مسند أبي يعلى ٣/ ١٤٠ (١٥٧٠)، السنن الكبرى للبيهقي ٦/ ١٦٦(١١٥١٥)، صححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٧٦٥٦).

(٤) مسند أحمد ٧/ ٥٩ (٣٩٤٦)، وقال شعيب الأرناؤوط: صحيح، وهذا اسناد حسن.

ومن ذلك عدم مماطلة الأجير حقه، فقال ﷺ: (أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه)(١)، وقال ﷺ: (مطل الغني ظلم)(٢).

«كما نهى سبحانه وتعالى عن كل ما يجر إلى أكل أموال الناس بالباطل، فَحرَّمَ التعامل بالربا وجعله من أكبر الكبائر؛ لما يجلبه من الأحقاد والضغائن، وحَرَّمَ المقامرة والرشوة ونحوهما، وحَرَّمَ أكل أموال اليتامى والضعفاء وأكل صداق المرأة إلا ما طابت به نفسها.

وجملة القول: إن الاعتداء على أموال الناس بأي وجه من الوجوه حرام، سواء كان عن طريق الكذب أو التحايل أو المماطلة والنصب، أو جحد العارية، والغش في المعاملة، وأكل الأجور ومنعها أصحابها، إلى غير ذلك مما يستحله أصحاب النفوس الضعيفة»(٣).

٩- تحريم إتلاف أموال الناس وإيجاب الضمان على ذلك:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾ [المعارج: ٣٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبيّ ﷺ: (المؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم)(٤)، وقال النَّبيِّ ﷺ: (مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللهُ عَنْهُ وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللهُ)(٥).

---

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الرهون، باب أجرة الأجراء (٢٤٣٣)، والسنن الكبرى للبيهقي ٦/ ١٩٩ (١١٦٥٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٠٥٥).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الحوالات، باب في الحوالة وهل يرجع في الحوالة (٢٢٨٧)، ومسلم، كتاب المساقاة، باب تحريم مطل الغني وصحة الحوالة واستحباب قبولها (٤٠٨٥).

(٣) بحث بعنوان الحكمة من قطع يد السارق- مجلة البحوث الإسلامية ٢٥/ ٣٠٨.

(٤) جامع الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (٢٦٢٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الاستقراض، باب من أخذ أموال الناس يريد أداءها أو إتلافها (٢٣٨٧).

«فالشريعة إنما جاءت بحفظ حقوق أرباب الحقوق بكل طريق، وسد الطرق المفضية إلى إضاعتها»[١].

فمن أتلف مال غيره بأي وسيلة أو طريقة من الطرق، فقد أوجب الإسلام عليه الضمان حفاظاً على حماية أموال الناس، ومن هنا قرر الفقهاء قاعدة فقهية عظيمة في هذا الباب هي: «الأصل في المتلفات ضمان المثل بالمثل والمتقوم بالمتقوم»[٢].

مع التنبيه إلى أنه لا اعتبار لكون الإتلاف حصل خطأً أو عمداً، وهذا أمرٌ متفقٌ عليه بين جماهير الفقهاء[٣]، قال ابن القيم: «فالخطأ والعمد اشتركا في الإتلاف الذي هو علةٌ للضمان وإن افترقا في علة الإثم.. وهذا من الشرائع العامة التي لا تتم مصالح الأمة إلا بها، فلو لم يضمنوا جنايات أيديهم لأتلف بعضهم أموال بعض وادَّعى الخطأ وعدم القصد»[٤].

١٠- وجوب أداء الحقوق لأهلها:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

قال القاسمي: «إذا كان الله تعالى قد أوجب أداء الأمانات التي قبضت بحق، ففيه تنبيه على وجوب أداء الغصب والسرقة والخيانة ونحو ذلك من المظالم. وكذلك أداء العارية.. استدل المالكية، بعموم الآية، على أن الحربيّ إذا دخل دارنا بأمان فأودع وديعة ثم مات أو قتل، إنه يجب رد وديعته إلى أهله. وأن المسلم إذا استدان من

(١) إعلام الموقعين ٤/ ٧.

(٢) الأشباه والنظائر للسيوطي ٢/ ٢، وانظر المسالة في المغني ٧/ ٣٦١.

(٣) الأم ٢/ ٢٠٠، الاستذكار ٧/ ٢٧٩، المغني ٩/ ٢١١، المحلى ٦/ ٩١.

(٤) إعلام الموقعين ٢/ ١٧١.

الحربيّ بدار الحرب ثم خرج، يجب وفاؤه. وأن الأسير إذا ائتمنه الحربيّ على شيء لا يجوز له أن يخونه. وعلى أن من أودع مالاً وكان المودع خانه قبل ذلك، فليس له أن يجحده كما جحده»(١).

ولذا شدد الإسلام على الوفاء بالدين، وعدم المماطلة فيه، وعدم سقوطه حتى أنه لم يسقطه من ذمة الشهيد مع أنه جاد بنفسه وماله كما قال رسول الله ﷺ: (**يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين**)(٢).

وورد أنه ﷺ كان لا يصلى عن الرجل الذي عليه دين حتى يقضى عنه، فعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ، إذ أتي بجنازة، فقال النبي ﷺ: (**فهل عليه دين؟**)، قالوا: ثلاثة دنانير، قال: (**صلوا على صاحبكم**)، قال أبو قتادة صل عليه يا رسول الله وعلي دينه، فصلى عليه(٣).

١١- حفظ الحقوق المالية بالكتابة والإشهاد عند الدين والتجارة:

وأنزل الله تعالى في ذلك آية كاملة في قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾ الآية [البقرة: ٢٨٢].

«هذا إرشاد منه تعالى لعباده المؤمنين، إذا تعاملوا بمعاملات مؤجلة، أن يكتبوها ليكون ذلك أحفظ لمقدارها وميقاتها وأضبط للشاهد فيها»(٤).

---

(١) محاسن التأويل ٣/ ١٨٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين (٢٨٨٦).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الحوالات، باب إن أحال دين الميت على رجل جاز (٢٢٨٩).

(٤) محاسن التأويل ٢/ ٢٣٣.

«الأمر بكتابة جميع عقود المداينات لشدة الحاجة إلى كتابتها؛ لأن بدون الكتابة يدخلها الغلط، والنسيان، والمنازعة، والمشاجرة شر عظيم»[١].

١٢- إقرار نظام الإرث وتنظيمه تنظيماً دقيقاً:

فقد أنزل الله تعالى تفصيلاً لأحكام الإرث في ثلاث آيات من القرآن، لأن الإنسان مفطور على حبه لأبنائه وقلقه عليهم إذا تركهم بدون مال، حتى عندما أراد سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يتصدق بماله عندما أحس بالموت قال له رسول الله ﷺ: **(الثلث، والثلث كثير إنك أن تذر ورثتك أغنياء، خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس)**[٢].

المقصد الخامس

حفظ العقل

◈ أولاً: مفهوم العقل وأهميته في الإسلام:

سمي العقل عقلاً لأنه يمسك ويلجم صاحبه عن ورود المهالك، والعقل هو الحابس عن ذميم القول والفعل[٣].

فبذلك يتضح أن مادة -ع ق ل- في اللغة تدل على اجتناب القبائح وكل ما يسيء إلى الإنسان من أفعال وأقوال.

(١) تيسير الكريم الرحمن ص١١٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب رثاء النبي ﷺ سعد بن خولة (١٢٩٥)، ومسلم، كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث (١٦٨٢).

(٣) ينظر: لسان العرب ١١/ ٤٥٩.

ويقصد بحفظ العقل: حفظ عقول الناس من أن يدخل عليها خللٌ، لأن دخول الخلل على العقل مؤد إلى فساد عظيم من عدم انضباط التصرف[(١)]..

وقد اهتم الإسلام بالعقل اهتماماً بالغاً، فالآيات تدعو الإنسان إلى التأمل والتفكر والتدبر والاعتناء بإعمال العقل في ما خلق الله للوصول من خلال ذلك إلى معرفة الخالق، ومتى تحققت معرفة الخالق، أصبح الإنسان عارفاً بأوامر الله فيتبعها، ومتفهماً لنواهيه فيجتنبها، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ ﴾ [آل عمران: ١٩٠ – ١٩١].

ويشمل كذلك الامتناع عن النواهي الإلهية والإتيان للأوامر الربانية، كما قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٢].

وبذلك يجعل الإسلام العقل بمثابة بوصلة علمية وعملية في حياة الإنسان إذا ما فقدت وجهتها أصابه التيه والضياع.

وحفظ العقل هو أحد الكليات التي أكد عليها كثيراً. فأول أوجه عناية الإسلام بالعقل جعله مناطاً للتكليف، وشرطاً قبل الحساب مقابل الثواب أو العقاب في الدنيا والآخرة، وهو شرط لفهم العقائد والأحكام وتطبيقها.

فلولا العقل لما عرَف الإنسان دينَ الإسلام والنبوة، والخيرَ والشر، والحقَّ والباطل، والمعروفَ والمنكر.

---

(١) مقاصد الشريعة لابن عاشور ص ٨١.

وقد ذمَّ الله تعالى أصحابَ العقول الغافلة عن دينها، فقال: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢].

فإذا فَقَدَ الإنسان العقلَ السليم الذي يقوده إلى الخير، ويُبعده عن الشر، فقد أصبح كالبهيمة التي تأكل وتشرب ولا تعقل شيئاً، بل إنها خيْرٌ منه.

◈ ثانياً: التشريعات الإسلامية التي فيها حفظ للعقل:

١- حرص الإسلام على ما ينمي العقل:

وذلك بتحفيز العقل وتنشيطه بتكثير النصوص الشرعية التي تحث على التفكر والتدبر والتعقل والتذكر في أسماء الله وصفاته وأفعاله، وفي الكون.

«حفظ العقل يتم في الإسلام بوسائل وأمور كثيرة، منها: فرض طلب العلم على كل مسلم ومسلمة، والرحلة في طلب العلم، والاستمرار في طلب العلم من المهد إلى اللحد، وفرض كل علم تحتاج إليه الأمة في دينها أو دنياها فرض كفاية، وإنشاء العقلية العلمية التي تلتمس اليقين وترفض اتباع الظن أو اتباع الهوى، كما ترفض التقليد للآباء وللسادة الكبراء، أو لعوام الناس، شأن الإمعة، والدعوة إلى النظر والتفكر في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء»[(١)].

وحث الإسلام على العلم وذم الجهل، وأمر بمحاربة الأمية، لما في ذلك من تعطيل لأهم وظائف العقل وهو حسن التفكر والنهوض بالإنسانية.

وفي نفس الوقت حد الشارع للعقل حدوداً وسن له ضوابطَ وقيوداً، لكيلا يُرهقَ بمتاهات السؤال والبحث عن المحال[(٢)].

---

(١) دراسة في فقه مقاصد الشريعة د. يوسف بن عبدالله ص٢٩.

(٢) علم مقاصد الشريعة – نور الدين الخادمي ص٨٢.

٢- حفظ العقل من المفسدات الحسية:

فمن المفسدات الحسية: الخمر وما في حكمها. يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠ - ٩١].

فتحريم الخمر حفاظاً على أجلّ ما يملك الإنسان وهو عقله، حتى وإن كان غيابه لفترة مؤقتة والتي قد يرتكب فيها المرء ما يندم عليه طول حياته. فالخمر سبب لانتهاك كل الضروريات الخمس للشريعة من دين، والنفس، والنسل، والعقل، والمال، فهي أصل كل شر.

٣- حفظ العقل من المفسدات المعنوية:

والمفسدات المعنوية فهي كالتصورات المفسدة للدين والمجتمع أو سائر أنشطة الحياة البشرية. ودليله آيات كثيرة جدًّا تذكر بوجوب إعمال العقل، منها قوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

والعقل شرط في معرفة العلوم، وفي الأعمال وصلاحها، وبه يكمل الدين والعمل، لكنه لا يمكن أن يستقل بذلك، حيث لا بد أن يتصل العقل بنور الإيمان والقرآن.

والإصرار على تغييب العقل أو تجاوز دوره يؤدي بالإنسان إلى عواقب وخيمة، قال تعالى حكاية عن الكافرين يؤنبون أنفسهم يوم القيامة: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُولَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

٤- الحث على إعمال الحق للوصول للحق:

وذلك بالنظر في الأمم السابقة، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ١٠٩].

وكذلك بالنظر في الأحكام الشرعية المبنية على تحقيق مصالح العباد واستخلاص حكم التشريع وأسراره، وبعد أن بين الله تعالى أحكام الطلاق قال: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٢]، وفي وصايا سورة الأنعام وبعد ذكر مجموعة من النواهي، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وبعدما ذكر الله تعالى زينة المرأة ومحارمها قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [النور: ٦١].

وكذلك الأمر بالنظر في القرآن للحصول على الهداية، قال جلَّ وعلا: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء:١٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]، وقال سبحانه: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون:٦٨].

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: «فإنَّ الله تعالى ركَّب العقولَ في عبادِه لِيعرِفوا بها صِدْقَهُ، وصدْق رسُله، ويَعرفوه بها، ويَعرفوا كماله، وصفاته وعظمته وجلاله، وربوبيَّته وتوحيده، وأنَّه الإله الحق وما سواه باطل، فهذا هو الَّذي أعطاهم العقْلَ لأجْلِه بالذَّات وبالقصْد الأوَّل، وهداهم به إلى مَصالح معاشهم، التي تكون عوناً لهم على ما خُلِقوا لأجله، وأعطوا العقول له، فأعْظَمُ ثمرةٍ للعقْل: معرفتُه لخالقه

وفاطِره، ومعرفة صفاتِ كمالِه، ونُعُوت جلاله وأفعاله، وصدْق رسله، والخضوع والذُّل والتعبُّد له»[١].

وقال ابن القيِّم كذلك: «واعلَم أنَّه إنْ لم يكُن حُسْنُ التَّوحيد وقُبْحُ الشِّرْك معلوماً بالعقْل، مستقرّاً في الفِطَر، فلا وُثُوق بشيء مِن قضايا العقْل، فإنَّ هذه القضيَّة مِن أَجلِّ القضايا البديهيَّات، وأوضح ما ركَّب اللهُ في العقول والفِطَر؛ ولهذا يقول سبحانه عقيب تقْرير ذلك: أفلا تعقلون، أفلا تذكَّرون، وينفي العقْلَ عن أهل الشرك، ويُخبر عنهم بأنَّهم يعترفون في النَّار أنَّهم لم يكونوا يسمعون ولا يعقلون، وأنَّهم خرجوا عن مُوجب السَّمع والعقل، وأخبر عنهم أنَّهم صُمٌّ بكْمٌ عُمْي فهم لا يَعقلون، وأخبر عنهم أنَّ سمْعَهم وأبصارَهم وأفئدتهم لم تُغْنِ عنْهم شيئاً»[٢].

٥- تحرير العقل من سلطان الخرافة وإطلاقه من إسار الأوهام:

ومن هنا حرم الإسلام السحر والكهانة والشعوذة وغيرها من أساليب الدجل والخرافة، وكذلك تخليص الناس من عقدة الخوف من مفارقة الموروثات التي بان للناس مخالفتها للعقل الصحيح. قال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٧٠].

كما أنه منع على العقل الخوض في الغيبيات من غير سلطان أو علم يأتيه من الوحي المنزل على الأنبياء، واعتبر ذلك مسبباً في هدر طاقته من غير طائل قال تعالى:

(١) الصواعق المرسلة على الجهميَّة والمعطِّلة ٤ / ١٢٣٦.
(٢) مدارج السالكين ٣ / ٤٩١.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [غافر:٥٦].

كانت هذه بعض الأساليب العامة التي استخدمها الإسلام لحفظ العقل، وقد أدى ذلك إلى تفعيل دور العقل في الرسالة، فأقام الإسلام التوحيد والإيمان مع العقل علاقة غاية في الترابط والقرب.

◈ ثالثاً: حدود العقل في الغيبيات والإلهيات[1]:

مع الدَّور العظيم الَّذي مَنَحَهُ الشَّارعُ للعقل، إلَّا أنَّه قطَع مرامَ العقْلِ في الخوض فيما لا يَصلُح له، ولا يمكن أن يكون له فيه دوْر في البحث، في الغيبيَّات الخارجة عن نطاق تصوُّر العقلِ لها، وعلى رأسِها قضيَّة الألوهيَّة بجوانبها الثَّلاثة: الذَّات – الصِّفات – الأفعال.

فوقَفَ دوْرُ العقْلِ فيها على التَّصديق بما جاء عن طريق الخبَر الصَّادق من الكتاب والسنَّة، ومنَع الشارعُ العقلَ مِن الخوضِ فيها لأسباب منها:

١- أنَّه لا طاقة له في الوصول إلى حقائق عينيَّة في هذا الجانب؛ قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾[طه: ١١٠]، وقال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[الشورى: ١١].

٢- أنَّ قضيَّة الألوهيَّة ليست قضيَّةً مِن القضايا المحسوسة الَّتي يُمكن للعقل البحْثُ فيها بناءً على ما يُشاهِدُه منها ومِن أحوالها، فالعقل لم يشاهِد هذه الأمورَ الغيبية فلا يصح له الكلام فيها، فالكلام في الشَّيء فرعٌ عن تصوُّرِه، والتصوُّرُ للشيء إنَّما هو العِلم به؛ ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[البقرة: ٢٥٥].

---

(١) حدود العقل في الإلهيات والغيبيات، ماهر عبدالحفيظ صفصوف، مقال منشور على موقع الألوكة.

وقد شكَّلَت مسألةُ الألوهيَّةِ قديماً وحديثاً أعظَمَ مشكلةٍ واجَهَت العقلَ البشري؛ لأنَّ البشَر أَدخَلوا هذه المسألة تحت نطاق العقْل، وفرضوا أنَّ للعقل قدرةً في إدراكها ومعرفةِ حقائقها مجرَّدة، بالعقل دون مصدر آخَرَ يُبيِّن لها سبيلَ التَّعامُل، وإزالة اللبْس الحاصل للعقْل فيها، فاختلفَت الحلولُ، وتباينَت التَّصوُّرات العقليَّة لهذه القضيَّة، مِن فلسفةٍ إلى أُخرى، ومِن تصوُّرٍ إلى آخَر.

وجاء القرآنُ هُدى الله إلى العالمين، فشكَّل حلقةَ الوَصْل بينَ السماء والأرض، وبيَّن تصويرَ المعاني الغيبيَّة، وتصوُّر المسلمين لها، وبين الإخبار عن الذَّات الإلهيَّة، وما يجب لها مِن صفاتِ الكمال وحكمة الأفعال، وإيمان المسلمين بها وإذعانهم لها.

وقد بيَّن الوَحْيُ قُصُورَ العقْلِ في تصوُّرِ المسائل الغيبيَّة في مناسباتٍ كثيرةٍ في الكتاب والسُّنَّة، وجاء الوَحْيُ مُسَدِّداً للعقْل، مرشداً له فيما لا يدْرِكه ولا يَعرف ماهيَّته، وبيَّن للعقلِ أنَّ نصوص الوَحْيِ قد تأتي بما يَحار العقل فيه، لكنَّها لا تأتي بالمستحيل الَّذي لا يَقبَل الوجود، وأنَّ مقام العقل في هذه المسائل مع النَّقل مقامُ التابع المفتقِر العاجز الَّذي يَسُدُّ عجْزَه الوحيُ المبين مِن رب السَّماوات والأرَضين تبارك وتعالى[1].

ومن هذه الأمثلة التي تتجلَّى فيها هذه الحقيقة قول الله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء ٨٥].

(١) قال ابن أبي العزِّ في شرح الطحاويَّة ص ٢٠١، ٢٠٢،: أنَّ العقل مع النقل كالعامِّيِّ المقلِّد مع العالِم المجتهِد، بل هو دون ذلك بكثير، فإنَّ العامِّيَّ يمكنُه أن يصير عالماً، ولا يمكن العالم أن يَصير نبيَّاً رسولاً.

فحقيقة الروح - أيّاً كان الرَّاجح في تفسيرها مِن أقوال العلماء - مَحجوبةٌ عن العقول، وهذا الَّذي صرَّحَت به الآية الكريمةُ، قال عبدُ الله بن بريدة: «إنَّ الله لم يُطْلِع على الرُّوح ملَكاً مقرَّباً، ولا نبيّاً مرْسلاً»(١).

فوجب على العقل قبول حقيقة الرُّوح وإن لم يدرِكْها بآلاته وحواسّه المادّيَّة، وعلى قول: أنَّ الرّوح هو الخَلْق المركَّب الَّذي يكوِّن مع الجسَدِ مُسَمَّى الإنسانِ - وهو الرَّاجح -(٢) فلا يُعرف أنَّ عاقلاً أَنكَر حقيقةَ الروح(٣) التي يحيا بها الإنسانُ، مع عجزه عن تصوُّرها تصوُّراً محسوساً ومعرفة ماهية هذه الروح، فدلَّ هذا دلالة واضحة لكل لبٍّ صحيح أنَّه ليس كلُّ محجوبٌ فهو غير موجود، وأنَّه ليس كلُّ ما لا يُدركُه العقلُ فليس بموجود، كما يَزعُم كثيرٌ من الفلاسفة وأرباب النظر، ودلَّ دلالةً عُظْمى على وجوب انقِياد العقْل للنَّقل الصَّحيح، وعلى وجوب تبعيَّة العقل للوحْي، وأنَّ النقل يَحكم ولا يُحكم، ويَقضي ولا يُقضى عليه.

وإذا كان هذا في غيبٍ متعلّق بمخلوق، فكيف بغيب متعلِّق بذات الله؟! فأَوْلى بالعقل أن يَقِف خاضعاً طائعاً مصدِّقاً لما جاء مِن خبر الصِّدق كتاباً وسُنَّة، وأن يُعمل العقلُ قدراتِه في إثْبات وجود الباري تعالى، وأحقِّيَّةِ عبادتِه، وإثباتِ حكمتِه في أفعاله، وأن يُقِرَّ إقْراراً جازِماً بقُصُور العقْل عن معرفة ماهيَّة وحقيقة ذاتِ الله تعالى وصفاته.

---

(١) معالم التنزيل للبغوي ٣/ ١٣٥.

(٢) معالم التنزيل للبغوي: ٣/ ١٣٥.

(٣) ولو فُرض وجودُ مَن يقول بإنكار الروح، فأمثالُ هؤلاء كأمثال السوفسطائيِّين الذين سَقَطَ الكلامُ معهم لإبطالهم أساسيَّاتٍ وضروريَّاتٍ لا يُستَغنَى عنها، وقد قيل:

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الأَذْهَانِ شَيْءٌ ... إِذَا احْتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلِ

وفي قصَّة موسى عليه السلام وفرْعونَ خيرُ شاهدٍ وبيانٍ لفهم هذه المسألة، وأنَّها قضيَّةٌ مسلَّمة عند رسل الله صلواتُ الله وسلامه عليهم، فتأمَّل هذه الآيات، تُزِلْ عنك لبْسَ كلِّ ذي زيغ وضلالة، وكل صاحب فكرٍ سقيم، وتجْلو صدْرَك بوحْي القُرآن المبين.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣ - ٢٩].

جاء سؤالُ عدوِّ اللهِ فرعونَ بلفظ: (ما) للسُّؤال عن الماهيَّة والكيفيَّة، ومعلوم أنَّ لفظ (ما) يستخدم لغير العاقل، وإنَّما أراد عدوُّ الله السؤالَ عن المادَّة؛ لأنَّه لو قصد السؤال عن الله سؤالَ معرفةٍ وبيانٍ لهذا الإله العظيم، لكان السؤال بلفظ (مَن) التي تُستَخدم للعاقل.

فجاء الجواب مِن موسى عليه السلام مُغايِراً للسُّؤال الَّذي سأله فرعون، فأجاب موسى عليه السلام بما يدلُّ على وصْف هذا الإله، وليس عن ماهيَّته وكيفيَّته، وأجاب نبيُّ الله بما هو تعريفٌ بالله، بذِكْر صفاته المحسوسة للخَلْق؛ ليستطيع أن يترقَّى العبدُ مِن المحسوس إلى تعقُّل الموْصوف بهذه الصِّفات.

قال رسول الله ﷺ: **(تَفكَّروا في آلاء الله، ولا تفكَّروا في ذاته)**[(١)].

والخلاصة: أن الله خلق الإنسان وفضّله على سائر المخلوقات وجعله مكرَّماً منذ الأزل إذ نفخ فيه من روحه، وأسجد له الملائكة وجعله خليفة في الأرض وسيِّداً عليها

(١) حديث ضعيف، لكن يَرْتَقي بشواهده إلى الحسن، وقد حسَّنه الألباني في «السلْسلة الصحيحة» ١٧٨٨، وحسَّنه في «الجامع الصغير» (٢٩٧٥).

وسخّر له هذا الكون لخدمته، وزاده تشريفاً وتكريماً بالعقل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الاسراء: ٧٠].

فالعقل أداة فهم سرّ الوجود والخلق، وهو ما يملكه الإنسان من قدرة على التمييز بين الأفعال والأقوال من حيث صلاحها وفسادها ونفعها وضرها، وهنا تكمن أهميته في الإسلام فهو جهاز للتدبّر والتفكّر في النّفس والكون وهو طريق الإيمان بالله، وهو أساس التكليف فلا تكليف على مجنون أو فاقد عقل، وهو وسيلة الاجتهاد في أمور الدّين.

فيجب استعمال العقل في الخير لا في الشر، وفي طاعة الله لا معصيته، وفي عالم الشهادة لا في عالم الغيبيات التي لا يعرفها إلا الله، وأن يقف العقل عن البحث في الأمور التي فوق طاقته مثل البحث عن ذات الله وفي الروح و القدر.

ولذا حرص الإسلام على حفظه من كل ما يضر به حسّاً ومعنًى.

الفصل الرابع
بيان تعاليم الإسلام

ويتضمن مبحثان:

- **المبحث الأول:** أركان الإسلام.
- **المبحث الثاني:** أركان الإيمان.

تمهيد: شمولية الإسلام والفرق بين الإسلام والإيمان:

أولاً: التنبيه على شمولية تعاليم الإسلام للعقيدة والعبادة والشريعة:

من خصائص هذا الدين أنه دين شامل للعقيدة والعبادة والمعاملات..

فالإسلام ليس عقيدة قلبية أو حالة روحية يعيشها القلب فحسب..

والإسلام ليس تكاليف مالية وجهد بدني يقوم به المسلم..

والإسلام ليس نظاماً اقتصاديًّا أو اجتماعيًّا أو سياسيًّا فحسب..

بل الإسلام هذا كله (عقيدة وعبادة وشريعة)، وإذا أردنا أن نعرض تعاليم الإسلام التي تُميز الإسلام عن غيره، فلا بد أن نعرض الإسلام وفق هذا الشمول والتكامل..

ولذا فتعاليم الإسلام التي لا بد للمسلم أن يلتزم بها بيّنها الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، وقد جمع حديث جبريل مع النبي ﷺ جانبي العقيدة والعبادة..

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: **(الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً)**، قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله، ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: **(أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)**، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: **(أن تعبد**

الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، قال: فأخبرني عن الساعة، قال: **(ما المسئول عنها بأعلم من السائل)** قال: فأخبرني عن أمارتها، قال: **(أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان)**، قال: ثم انطلق فلبثت ملياً، ثم قال لي: **(يا عمر أتدري من السائل؟)** قلت: الله ورسوله أعلم، قال: **(فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)**[1].

أما جانب التشريع والمعاملات الأخرى فقد ورد في آيات من كتاب الله تعالى، وهي كثيرة تدل على وجوب اتباع الشريعة الإسلامية وتطبيقها في جميع شؤون البشرية، منها قوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ [المائدة: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣].

وغيرها من الأدلة التي تثبت شمولية تعاليم هذا الدين فيما يخص الاعتقاد والعمل فيما بين العبد والله تعالى، والمعاملات والتشريعات فيما يصلح حاله مع نفسه وحاله مع الناس.

وهنا سنعرض لهذه الجوانب كمجال من مجالات الدعوة بل هو المجال الأهم، حيث يمثل التطبيق العملي للإسلام، مقتصرين في هذا الفصل على الحديث عن أركان الإيمان والإسلام، أما ما يتعلق بالشريعة والمعاملات فقد أفرد في الفصلين الخامس والسادس.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة (٨).

ثانياً: الفرق بين الإسلام والإيمان:

مع التنبيه إلى أن الإسلام والإيمان يجتمعان ويفترقان، قال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٤].

ولقد أجاد العلماء رحمهم الله الكلام حول الفرق بين الإيمان والإسلام في مواضع من الدراسات العقدية، وملخصها[١] في نقاط:

- إذا أفرد الإيمان أو الإسلام فلا فرق بينهما، بل كل منهما يشمل الدين كله.
- وإذا اجتمع لفظ الإسلام والإيمان في نص، فلكل منهما معنى، فيدل الإسلام على الأعمال الظاهرة، وهي أركان الإسلام الخمس. ويدل الإيمان على الأعمال القلبية، وهي أركان الإيمان الست وذلك كما في حديث جبريل السابق. وهذه هي القاعدة التي ذكرها العلماء: [الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا].
- يفسر الإسلام بالاستسلام لله بالقلب مع الأعمال الظاهرة[٢].
- كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمن: فعند إطلاق كلمة مسلم ومؤمن فإن المسلم قد يكون مؤمناً في بعض الأحوال ولا يكون مؤمناً في بعضها، والمؤمن مسلم في جميع الأحوال. فالإيمان أعم من الإسلام. فاسم المؤمن المطلق يقع على من قام

(١) المسألة ملخصة من كتاب معارج القبول ص ١٨٧. وللاستزادة ينظر نص كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في المسألة في مجموع الفتاوى ٧/ ١٣-١٥ و٧/ ٢٦٥ و ٧/ ٤٧٢-٤٧٤، وكذلك ينظر مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ٤/ ٩٢.

(٢) مجموع الفتاوى ٧/ ٢٦٥.

بالدين ظاهراً وباطناً، وما يترتب عليه من الرفعة في الدرجات، ورضا الله عنه، والقرب منه سبحانه وتعالى، كما في الآية بشأن الأعراب.

•اسم المسلم يقع على كل من نطق بالشهادتين، ولم يظهر منه ما يناقضهما. فيُحكم له بالإسلام ظاهراً، والله يتولى السرائر، ويترتب علي ذلك: حفظ نفسه وماله، ويعامل معاملة المسلمين في كل شيء، ولعل ذلك ينقذه من الخلود في النار، وهذا هو الفرق العملي الذي نستفيده من تفريق الله تعالى بين اللفظين في الآية.

•الإنسان أول ما يكون مسلماً ثم يرتقى في درجات الإيمان حسب قربه من ربه جلّ وعلا، والقيام بما أوجب عليه، ويزيد أكثر وأكثر بالقيام بالنوافل والسنن بعد الواجبات حتى يصل إلى درجة الإحسان.

•ولا يمنع ذلك أن يكون مؤمناً الإيمان الإجمالي بأركان الإيمان، فهو إن لم يؤمن بذلك فهو بعيد عن الإسلام، فكيف يطيع الله وهو لا يؤمن به أو باليوم الآخر أو برسله أو ملائكته أو القدر، فالمسلم مؤمن إيماناً مجملاً بهذه الأركان ويزداد إيمانه بها أكثر وأكثر كلما قرب من الله جل وعلا.

المبحث الأول

أركان الإسلام

تمهيد: مقدمات حول أركان الإسلام:

أولاً: مفهوم أركان الإسلام لغة:

الركن: مأخوذ من الفعل ركن، والجمع أركان ويفيد الجوانب القوية من كل شيء، ويقوم به ويسند إليه[(١)].

والإسلام لغة: مأخوذ من مادة (سلم)، والسَّلام والسلامة: البراءة، وتسلَّمَ منه: تبرأ، وسلَّمه الله من الأمر: وقاه إياه، والسَّلمَ: الاستسلام، والسَّلمُ: الإسلام، والسَّلْمُ: الانقياد والاستسلام[(٢)].

و«**الإسلام:** الاستسلام لأمر الله والانقياد لطاعته، ويقولون: سلّمنا لله ربنا: أي استسلمنا له، وأسلمنا. والسَّلمُ -أيضاً- الإسلام. والمسلم: المستسلم، ولهذا يقال «المسلم: المخلص لله عبادته»[(٣)].

وخلاصة القول في معنى الإسلام لغة: هو تمام الخضوع والانقياد والاستسلام.

ثانياً: مفهوم الإسلام شرعاً:

والإسلام شرعاً: لإطلاقه حالتان:

«**الحالة الأولى:** أن يطلق على الانفراد غير مقترن بذكر الإيمان فهو حينئذٍ يراد به

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة ٢/ ٤٣٠، ولسان العرب ١/ ١٢١٩.

(٢) ينظر: لسان العرب ٣/ ٢٠٧٧- ٢٠٨١.

(٣) ينظر: المحيط في اللغة ٨/ ٣٣٣.

الدين كله، أصوله وفروعه، من اعتقاداته وأقواله، وأفعاله لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥]. وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ﴾ [المائدة: ٣]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]، أي في كافة شرائعه.

الحالة الثانية: أن يطلق مقترناً بالإيمان فهو حينئذ يراد به الأعمال والأقوال الظاهرة، كقوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]»[(١)].

وكما في تعريف الإسلام في حديث جبريل حيث قال النبي ﷺ لجبريل عندما سأله عن الإسلام قال: (**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتُقيم الصلاة، وتُؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً**)[(٢)].

ومن العلماء من عرف الإسلام بلوازمه ومقتضياته وأهدافه، فقال: «هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك ومعاداة أهله»[(٣)].

✍ ثالثاً: عرض أركان الإسلام ودليلها:

فأركان الإسلام هي الأصول التي بُني عليها شرع محمد ﷺ وتُشكل أعظم الواجبات التي تلزم المسلم، وهي:

١- الشهادتان.

٢- إقامة الصلاة.

(١) مختصر معارج القبول د. هشام آل عقدة ص٩٦.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان (١).

(٣) رسالة: الثلاثة أصول للشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله ص(٣) متن فقط.

٣- إيتاء الزكاة.

٤- صوم رمضان.

٥- حج البيت.

فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال: قال رسول الله ﷺ: **(بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان)**[1].

وعن طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس، يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول، حتى دنا، فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: **(خمس صلوات في اليوم والليلة)**، فقال: هل علي غيرها؟ قال: **(لا، إلا أن تطوع)**. قال رسول الله ﷺ: **(وصيام رمضان)** قال: هل علي غيره؟ قال: **(لا، إلا أن تطوع)** قال: وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة، قال: هل علي غيرها؟ قال: **(لا، إلا أن تطوع)**. قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص، قال رسول الله ﷺ: **(أفلح إن صدق)**[2].

رابعاً: أقسام أركان الإسلام:

وعلى هذا فأركان الإسلام تنقسم إلى قسمين:

الأول: الإيمان، والمتمثل في كلمة التوحيد (الشهادتين) ولوازمها.

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «**بني الإسلام على خمس**» (٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أركان الإسلام ودعائمه العظام (١٦).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: الزكاة من الإسلام (١٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام (١١).

الثاني: العمل الصالح، والمتمثل في:

١- العلاقة بين الخالق والمخلوق، وتتمثل في الصلاة.

٢- العلاقة بين المخلوقين بعضهم مع بعض (الزكاة).

٣- التزكية والتربية على حسن العلاقة بين العبد وخالقة، وبين العبد والمخلوقين (الصيام، والحج)

وتفصيل تلك الأركان في التالي[١]:

الركن الأول

الشهادتان

الشهادتان: «شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله»، هما مفتاح الإسلام ولا يمكن الدخول إلى الإسلام إلا بهما[٢].

◆ الشهادة الأولى: «شهادة أن لا إله إلا اللّه»:

« أولاً: مفهوم شهادة أن لا إله إلا اللّه وأهميتها:

بأن يعترف الإنسان بلسانه وقلبه بأنه لا معبود حقٌّ إلا الله ﷻ لأن إله بمعنى مألوه والتأله التعبد. والمعني أنه لا معبود حق إلا الله وحده.

---

(١) لم أفصل في تفريعات المسائل العقدية والأحكام الفقهية المتعلقة بالأركان الخمس واكتفيت بأصول المسائل، ويمكن الرجوع لكتب العقيدة والفقه المطولة والمختصرة، ويكفي هنا ما يتصور به الركن، وكثير مما ذكرت في الأركان الأربع الفقهية تم تلخيصه من كتاب فقه السنة لسيد سابق، والملخص الفقهي للشيخ الفوزان، ودليل المسلم الجديد للشيخ عبدالله باهمام.

(٢) للاستزادة ينظر: الشهادتان معان وأفاق د. محمد علي ضناوي، وشرح شروط لا إله إلا الله د. خالد بن علي الغامدي، ومتن الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ حكمي، وشرح منظومة سلم الوصول للشيخ حافظ حكمي، وكتاب حقيقة شهادة أن محمد رسول الله للشيخ عبدالعزيز آل الشيخ، ومجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة د. الشيخ ناصر العقل، وعقيدة أهل السنة والجماعة للشيخ العثيمين.

قال تعالى: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾[البقرة: ٢٥٦] فهذه الجملة مشتملة على نفي وإثبات:

أما النفي فهو «لا إله» وأما الإثبات ففي «إلا الله»، أي: التقدير «لا إله حق إلا الله».

فهو إقرار باللسان بعد أن آمن به القلب بأنه لا معبود حق إلا الله ﷻ وهذا يتضمن إخلاص العبادة لله وحده ونفي العبادة عما سواه.

أما المعبودات سواه فإن ألوهيتها التي يزعمها عابدها ليست حقيقية، أي ألوهية باطلة، بل الألوهية الحق هي ألوهية الله ﷻ.

فالله تعالى وحده المستحق لجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة، مثل الدعاء والخوف والتوكل والاستعانة والصلاة والزكاة والصيام، فيعلم العبد يقيناً أن الله هو المعبود لا شريك له، فلا معبود بحق إلا الله تعالى.

وهذه الكلمة هي أول واجب على المسلم، فمن أراد الدخول في الإسلام فعليه أن يعتقدها ويتلفظ بها، ومن قالها معتقداً بها، مخلصاً لله فيها نجا من النار، لقوله ﷺ: (فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله)[(١)].

ثانياً: شروط لا إله إلا الله:

ذكر العلماء أنه لا يمكن أن يُحقّق العبد لا إله إلّا اللّه حتى يستوفي سبعة شروط وهي:

١- **العلم** بلا إله إلا الله وهو إدراك معنى لا إله إلَّا الله بدليله. فالإنسان لا يمكن أن يعمل بشيء ويُطَبّقه في حياته حتى يعلمه. فالعلم لازم للعمل، قال الله تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت (٤٢٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة (٣٣).

﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩]. وقال ﷺ: (من مات وهو يعلم لا إله إلّا الله دخل الجنة)[١].

٢- **اليقين** وهو اعتقاد لا إله إلا الله من غير شك. قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

٣- **الصدق** وهو استقامة الظاهر والباطن على توحيد الله سبحانه وتعالى وطاعته. قال النبي ﷺ: (ما من أحد يشهد أنْ لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله، صدقاً من قلبه، إلّا حرَّمه الله على النار)[٢]. وضد الصدق النفاق، فهو من أشرَّ الكفر بالله ويعني إبطان الكفر وإظهار الإسلام.

٤- **الإخلاص** وهو الابتغاء بلا إله إلا الله والعمل بها وجَه الله تعالى وثوابه دون رياء ولا سمعة. قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، وقال ﷺ: (أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلّا الله خالصاً من قلبه، أو من نفسه)[٣].

٥- **المحبة**، وتعني حبَّ الله تعالى وحبّ ما يحبّ وكراهية ما يكره، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وعلامة حب العبد ربَّهُ تقديم كل ما يُحب الله على ما يحبه هو وتميل إليه نفسه، وبغض جميع ما يُبغِض ربُّه وإن مالت إليه نفسه.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم عليه النار (٤٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم، كراهية أن لا يفهموا (١٢٨).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الحرص على الحديث (٩٩).

٦- **القَبول**، ويعني أن نقبل بـ «لا إله إلّا الله» كما هي دون أدنى تردّد أو تمنُّع. قال تعالى ذامّاً الأمم التي استكبرت ورَدّت كلمة التوحيد: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ﴾ [الصافات: ٣٥-٣٦].

٧- **الانقياد**، وهو الإذعان لأمر الله تعالى بالرضى المستحق. قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤]، وقال أيضاً: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢]، وقوله ﷺ: **(قل آمنت بالله ثم استقم)**[١].

◆ الشهادة الثانية: «أن محمداً رسول الله»:

◄◄ أولاً: معنى شهادة أن محمداً رسول الله:

فهي الإقرار باللسان والإيمان بالقلب بأن محمد بن عبدالله القرشي الهاشمي ﷺ رسول الله ﷻ الخاتم إلى جميع الخلق من الجن والإنس كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]. وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠].

◄◄ ثانياً: مقتضيات شهادة أن محمداً رسول الله:

ومقتضى هذه الشهادة:

١- تصدِّق رسول الله ﷺ فيما أخبر من أمور الغيب واليوم الآخر وأحداث يوم القيامة وعلاماتها، والجنة والنار، أخبار السابقين وقصص الأنبياء.

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام، (٦٢).

٢- امتثال أمره ﷺ فيما أمر لأنه ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣ - ٤]، ولأن الله يقول: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠].

٣- اجتناب ما عنه ﷺ نهى وزجر، مع الإيمان بأن هذه المنهيات لمصلحتنا الدنيوية والأخروية علمنا حكمتها أو لم نعلمها.

٤- المتابعة للرسول ﷺ في سنته والاقتداء به وعدم الابتداع في الدين، لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وقوله ﷺ: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)(١).

٥- أن لا تعتقد أن لرسول الله ﷺ حقًّا في الربوبية وتصريف الكون، أو حقاً في العبادة، بل هو ﷺ عبد لا يعبد، لقوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ۚ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝١٨٨﴾ [الأعراف: ١٨٨].

٦- محبته ﷺ، لقول النبي ﷺ: **(ثلاث من وجدهن وجد حلاوة الإيمان- وذكر أولها- أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله..)**(٢).

---

(١) صحيح البخاري تعليقاً بصيغة الجزم في كتاب البيوع، باب النجش، ومسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة رقم (١٧١٨).

(٢) صحيح البخاري، في كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان (١٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان رقم (٤٣).

الركن الثاني

إقامة الصلاة

أولاً: مقدمات حول الصلاة:

الصلاة في اللغة: الدعاء.

وفي الشرع: أقوال وأفعال مخصوصة مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم.

سميت بذلك: لاشتمالها على الدعاء؛ فالمصلي لا ينفك عن دعاء عبادة أو ثناء أو طلب؛ فلذلك سميت صلاة.

فرضت ليلة الإسراء قبل الهجرة خمس صلوات في اليوم والليلة الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر.

وتجب بدخول أوقاتها على كل مسلم بالغ عاقل؛ إلا حائضاً ونفساء؛ فلا تجب عليهما، ولا يقضيانها إذا طهرتا إجماعاً، ومن كان زائل العقل بنوم أو إغماء ونحوه، وجب عليه القضاء حين يصحو.

أدلة وجوبها: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء: ١٠٣]، أي: مفروضاً في الأوقات التي بينها رسول الله ﷺ بقوله وبفعله، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

وللصلاة أركان وواجبات وسنن وشروط وموانع وصفة معينة فصلها العلماء من

فعله وقوله ﷺ، انطلاقاً من قوله ﷺ: **(صلوا كما رأيتموني أصلي)**[١]، ولا بد للمسلم أن يتعلمها ويلتزم بها حتى يكون مقيماً للصلاة حق القيام[٢].

◈ ثانياً: منزلة الصلاة في الإسلام:

وللصلاة منزلة كبيرة في الإسلام «فالصلاة هي آكد أركان الإسلام بعد الشهادتين، وقد وضعت على أكمل وجوه العبادة وأحسنها، وقد تضمنت هذه الصلاة كثيراً من أنواع العبادة: ذكر الله، وتلاوة لكتابه، وقيام بين يدي الله، وركوع، وسجود، ودعاء، وتسبيح، وتكبير، وهي رأس العبادات البدنية، ولم تخل منها شريعة رسول من رسل الله.

وقد فرضها الله على نبيه محمد ﷺ ليلة المعراج في السماء؛ بخلاف سائر الشرائع ؛ فدل ذلك على عظمتها وتأكد وجوبها ومكانتها عند الله»[٣].

والصلاة من سمات هذه الأمة، حيث جعلها الشارع مدار قبول باقي الأعمال الأخرى، وهي كما قال رسول الله ﷺ: (أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر)[٤].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر، إذا كانوا جماعة، والإقامة، وكذلك بعرفة وجمع، وقول المؤذن: الصلاة في الرحال، في الليلة الباردة أو المطيرة (٦٣١).

(٢) لم أفصل في الأحكام الفقهية المتعلقة بالصلاة فهي كثيرة جدًّا، ويمكن الرجوع لها في كتب الفقه المطولة والمختصرة، ويكفي هنا الإشارة إلى أنها ركن وكذلك منزلتها.

(٣) ينظر: الملخص الفقي باختصار.

(٤) سنن أبي داوود، كتاب الصلاة، باب قول النبي: **(كل صلاة لا يتمها صاحبها تتم من تطوعه)** (٨٦٤)، سنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة، باب أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة (١٤٢٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٢٠).

ثالثاً: وجوب المحافظة على الصلاة:

وترك الصلاة من الأمور العظيمة في مخالفة أمر الله: قال تعالى عن الكفار واعترافهم يوم القيامة: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ [سورة المدثر ٤٢]، وقال ﷺ: (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر)(١).

وأمر الله بالمحافظة عليها مهما كانت الظروف: في الحضر والسفر، والأمن والخوف، والصحة والمرض، وفي كل حال. قال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ۝٢٣٨ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٨- ٢٣٩].

الصلاة دليل على صدق الإيمان: قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون ١-٢]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝٣ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال٣-٤].

رابعاً: فضائل الصلاة:

الصلاة أعظم سبب في تقويم حياة الناس: في سلوكهم ومعاشهم، وتقويم ما يقعون فيه من انحراف كما قال تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت ٤٥].

---

(١) جامع الترمذي، كتاب الإيمان، باب ترك الصلاة (٢٦٢٣)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢١١٣).

وبالصلاة يمحو الله الخطايا: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا)**[(١)].

وفي الصلاة إعانة على مقاومة الجزع والهلع: وذلك عند الضر، والمنع عند الخير، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ [المعارج ١٩-٢٣].

والصلاة من أسباب تكفير الذنوب لقول الرسول ﷺ: (ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب، ما لم يأت كبيرة، وذلك الدهر كله)[(٢)].

والصلاة تجلب الراحة والاطمئنان القلبي، **وهذه المرتبة قال عنها رسول الله:** (وجعلت قرة عيني في الصلاة)[(٣)]، **وقال لبلال:** (أرحنا بالصلاة يا بلال)[(٤)].

◈ خامساً: أهمية وفضل الصلاة في المسجد:

رتب الله **الأجر العظيم على الصلاة في المسجد والتكبير لها والمحافظة على**

---

(١) صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة (٥٢٨)، ومسلم، كتاب المساجد، باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات (٦٦٧).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء والصلاة عقبه (٢٢٨).

(٣) سنن النسائي كتاب عشرة النساء، باب حب النساء (٣٩٤٠).مسند أحمد ٣/ ١٢٨ (١٢٣٥١)، وصححه الحاكم في المستدرك على شرط مسلم ٢/ ١٧٤(٢٦٧٦).

(٤) سنن أبي داوود، كتاب الأدب، باب صلاة العتمة (٤٩٨٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٨٩٢).

الصف الأول أجرها عظيم، قال رسول الله ﷺ: (صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة)[١].

وقال ﷺ: (لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا عليه)[٢].

وجعل الله تعالى الأجر الكبير على بعض الصلوات: وذلك لما فيها من المشقة، يختبر الله بها عباده؛ كصلاتي العصر والفجر، وصلاة العشاء، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من صلى البردين دخل الجنة)[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما؛ ولو حبواً)[٤].

◈ سادساً: أهمية الصلاة في الحياة:

«لو لم تكن الصلاة رأس العبادات لعدت من صالحة العادات، رياضة أبدان وطهارة أردان، وتهذيب وجدان وشتى فضائل يشب عليها الجوارى والولدان.

أصحابها هم الصابرون والمثابرون، وعلى الواجب هم القادرون، عودتهم البكور، وهو مفتاح باب الرزق.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب فضل صلاة الجماعة (٦٤٥)، ومسلم، كتاب المساجد، باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها (٦٥٠).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب فضل التهجير إلى الظهر(٦٥٣)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها، والازدحام على الصف (٤٣٧).

(٣) صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة الفجر (٥٤٧)، ومسلم، كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما (٦٣٥).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجماعة والإمامة، باب فضل العشاء في جماعة (٦٢٦) و ٦١٨ و٦٢٤).

وخير ما يعالج به العبد مناجاة الرازق وأفضل ما يرود به المخلوق التوجه إلى الخالق.

ولهم إليها بعد البكور رواح فإذا هي تصرفهم عن دواعي الليل ومغرياته وتعصمهم فيه من عوادي الفراغ ومغوياته والليل خلوات وشهوات وبيت الغوايات.

وتجزئة الوقت مع الصلاة ملحوظة وقيمته عند الذين يقيمونها محفوظة .عودتهم أن يذكروه ويقدروه وأن يسوسوه في أعمالهم ويدبروه، والوقت ميزان المصالح وملاك الأمور ودولاب الأعمال.

انظر جلال الجمع وتأمل أثرها في المجتمع وكيف ساوت العلية بالزمع مست الأرض الجباه فالناس أكفاء وأشباه الرعية والولاة شرع في عتبةِ الله. خر الجمع للمناخر فالصف الأول كالآخر لم يرفع المتصدر تصدره ولم يضع المتأخر تأخره»[(١)].

الركن الثالث

إيتاء الزكاة

أولاً: مقدمات حول الزكاة:

الزكاة: اسم لما يخرجه الإنسان من حق الله تعالى إلى الفقراء.

وسميت زكاة لما يكون فيها من رجاء البركة، وتزكية النفس وتنميتها بالخيرات. فإنها مأخوذة من الزكاة، وهو النماء والطهارة والبركة، قال الله تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

(١) ينظر: أسواق الذهب- أحمد شوقي.

وهي أحد أركان الإسلام الخمسة، وقرنت بالصلاة في اثنتين وثمانين آية. وقد فرضها الله تعالى بكتابه، وسنة رسوله ﷺ، وإجماع أمته في السنة الثانية من الهجرة.

فمما جاء في وصية النبي ﷺ لما بعث معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن: (**..فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم صدقة في أموالهم، تؤخذ من أغنيائهم وترد إلى فقرائهم**)[1].

وتوعد الله تعالى من امتنع عن أداء الزكاة، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤].

ومن امتنع عن أدائها – مع اعتقاده وجوبها – فإنه يأثم بامتناعه دون أن يخرجه ذلك عن الاسلام، وعلى الحاكم أن يأخذها منه قهراً ويعزره.

☜ ثانياً: مقاصد الزكاة:

فرض الله الزكاة على المسلمين لمقاصد عظيمة نذكر بعضها:

١- في الزكاة إحسان إلى الخلق، وهي طهرة للمال من الدنس، وحصانة له من الآفات، وعبودية للرب سبحانه، وقال الله تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، أي تطهرهم بها من دنس البخل والطمع، والدناءة والقسوة على الفقراء والبائسين، وما يتصل بذلك من الرذائل، وتزكي أنفسهم بها. أي تنميها وترفعها بالخيرات والبركات الخلقية والعملية، حتى تكون بها أهلاً للسعادة الدنيوية والأخروية.

وبالتالي؛ فهي تطهير للنفوس من الشح والبخل، وامتحان للغني حيث يتقرب إلى الله بإخراج شيء من ماله المحبوب إليه.

---

(١) تقدم تخريجه في الركن الأول.

٢- أداء الزكاة يتحقق به مبدأ الترابط والألفة، ذلك لأن النفس البشرية جبلت على حب من أحسن إليها، وبذلك يعيش أفراد المجتمع المسلم متحابين متماسكين كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، وتقل حوادث السرقة والنهب والاختلاس.

٣- يتحقق بها معنى العبودية والخضوع المطلق والاستسلام التام لله رب العالمين، عندما يخرج الغني زكاة ماله فهو مطبق لشرع الله، منفذ لأمره، وفي إخراجها شكر المنعم على تلك النعمة، ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

٤- يتحقق بأدائها مفهوم الضمان الاجتماعي، والتوازن النسبي بين فئات المجتمع، فبإخراجها إلى مستحقيها لا تبقى الثروة المالية مكدسة في فئات محصورة من المجتمع ومحتكرة لديهم. يقول الله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ [الحشر: ٧].

☜ ثالثاً: شروط وجوب الزكاة:

وتجب الزكاة على المسلم إذا توفرت فيه شروط خمسة:

١- الحرية.

٢- الإسلام.

٣- امتلاك نصاب.

٤- استقرار الملكية؛ بأن لا يتعلق بها حق غيره.

٥- مضي الحول على المال، وهذا في غير الخارج من الأرض كالحبوب والثمار، فأما الخارج من الأرض؛ فتجب فيه الزكاة عند وجوده.

ومن له دين على معسر؛ فإنه يخرج زكاته إذا قبضه لعام واحد على الصحيح، وإن كان له دين على مليء باذل؛ فإنه زكيه كل عام.

وما أعد من الأموال للقنية والاستعمال والكراء؛ فلا زكاة فيه؛ كدور السكنى، وثياب البذلة، وأثاث المنزل، والسيارات، والدواب المعدة للركوب والاستعمال.

ومن وجبت عليه الزكاة، ثم مات قبل إخراجها؛ وجب إخراجها من تركته، فلا تسقط بالموت؛ فيخرجهما الوارث أو غيره من تركة الميت؛ لأنها حق واجب.

رابعاً: الأصناف التي تجب فيها الزكاة:

وأوجب الله الزكاة في أنواع من الأموال تتصف بأنها ليست من حاجاته المستخدمة، ومن طبيعتها النماء والزيادة كالتالي:

١- **الذهب والفضة** الذي لا يستخدم في اللباس والتحلي، ولا تجب الزكاة فيه إلا بشرطين: **الأول**: إذا بلغ النصاب وهو من الذهب ٨٥ جراماً تقريباً، ومن الفضة ٥٩٥ جراماً. **والثاني**: ومرت عليه سنة قمرية كاملة ومقدارها ٣٥٤ يوماً. **فيخرج** المسلم زكاتهما ٢,٥٪.

٢- **الأموال** والسيولة من العملات باختلاف أنواعها سواء كانت تحت يده أو أرصدة في البنوك، وتخرج زكاتها بحساب الأموال والعملات بما يقابله من الذهب، فإن كان يساوي نصاب الذهب أو أكثر منه، وهو ٨٥ جراماً تقريباً في وقت وجوب الزكاة، ومر على المال سنة قمرية وهو في ملكه، فيخرج منه ٢,٥٪.

٣- **عروض التجارة**، وهي: كل ما أعد للتجارة من أصول كالعقار والمباني والعمارات، أو عروض كالمواد الغذائية والاستهلاكية.

وتخرج زكاتها: يحسب الشخصُ قيمة جميع ما اتخذه للتجارة إذا مر عليه عام كامل، ويكون التقويم بسعر السوق في ذلك اليوم الذي أراد أن يزكِّي فيه، فإذا بلغ ذلك نصاب المال أخرج عنه ربع العشر ٢,٥٪.

٤- **الخارج من الأرض** من الزروع والثمار والحبوب، فتجب الزكاة في أنواع محددة من المزروعات وليس فيها كلها، بشرط أن تبلغ قدراً محدداً شرعاً، ويفرق بين ما يسقى بالأمطار والأنهار وما يسقى بالمؤونة والعمل في مقدار الواجب من الزكاة مراعاة لأحوال الناس.

٥- **الثروة الحيوانية** من البقر والإبل والغنم، فقط إذ كانت تسوم وترعى ولا يتكلف مالكها العلف والأكل لها، فإن كان يأتي بالأكل لها السنة كلها أو أغلبها فلا تجب فيها الزكاة، ونصاب زكاتها ومقدار الزكاة له تفصيل يُرجع له في كتب الفقه.

☜ خامساً: مصارف الزكاة:

حدد الإسلام المصارف التي تصرف فيها الزكاة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [التوبة: ٦٠]. «أي: إنما الصدقات لهؤلاء المذكورين دون من عداهم، لأنه حصرها فيهم، وهم ثمانية أصناف:

الأول والثاني: الفقراء والمساكين، وهم في هذا الموضع، صنفان متفاوتان، فالفقير أشد حاجة من المسكين، لأن الله بدأ بهم، ولا يبدأ إلا بالأهم فالأهم، ففسر **الفقير** بأنه الذي لا يجد شيئاً، أو يجد بعض كفايته دون نصفها. **والمسكين**: الذي يجد نصفها فأكثر، ولا يجد تمام كفايته، لأنه لو وجدها لكان غنيًّا.

والثالث: العاملون على الزكاة، وهم كل من له عمل وشغل فيها، من حافظ لها، أو جاب لها من أهلها، أو راع، أو حامل لها، أو كاتب، أو نحو ذلك، فيعطون لأجل عمالتهم.

والرابع: المؤلفة قلوبهم، المؤلف قلبه: هو السيد المطاع في قومه، ممن يرجى إسلامه، أو يخشى شره أو يرجى بعطيته قوة إيمانه، أو إسلام نظيره، أو جبايتها ممن لا يعطيها.

الخامس: الرقاب، وهم المكاتبون الذين قد اشتروا أنفسهم من ساداتهم، فهم يسعون في تحصيل ما يفك رقابهم، فيعانون على ذلك من الزكاة.

السادس: الغارمون، أصحاب الديون، وهم قسمان: أحدهما: الغارمون لإصلاح ذات البين، والثاني: من غرم لنفسه ثم أعسر.

والسابع: الغازي في سبيل الله، وهم: الغزاة المتطوعة، الذين لا ديوان لهم، فيعطون من الزكاة ما يعينهم على غزوهم، من ثمن سلاح، أو دابة، أو نفقة له ولعياله، ليتوفر على الجهاد ويطمئن قلبه، وقال كثير من الفقهاء: إن تفرغ القادر على الكسب لطلب العلم، أعطي من الزكاة، لأن العلم داخل في الجهاد في سبيل الله.

والثامن: ابن السبيل، وهو الغريب المنقطع به في غير بلده، فيعطى من الزكاة ما يوصله إلى بلده، فهؤلاء الأصناف الثمانية الذين تدفع إليهم الزكاة وحدهم.

وهذه الأصناف الثمانية، ترجع إلى أمرين:

أحدهما: من يعطى لحاجته ونفعه، كالفقير، والمسكين، ونحوهما.

والثاني: من يعطى للحاجة إليه وانتفاع الإسلام به.

فأوجب الله هذه الحصة في أموال الأغنياء، لسد الحاجات الخاصة والعامة للإسلام والمسلمين، فلو أعطى الأغنياء زكاة أموالهم على الوجه الشرعي، لم يبق فقير من المسلمين، ولحصل من الأموال ما يسد الثغور، ويجاهد به الكفار وتحصل به جميع المصالح الدينية»(١).

الركن الرابع

صيام رمضان

أولاً: مقدمات حول الصيام:

الصيام لغة هو الإمساك.

وشرعاً: التعبد لله تعالى بالإمساك عن الأكل والشرب والجماع وبقية المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

وصوم شهر رمضان ركن من أركان الإسلام، وفرض من فروض الله، معلوم من الدين بالضرورة، ويدل عليه الكتاب والسنة والإجماع: قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

والأحاديث في الدلالة على فرضيته وفضله كثيرة مشهورة، وأجمع المسلمون على وجوب صومه، وأن من أنكره كفر.

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٣٤٠ باختصار.

ويبدأ وجوب صوم شهر رمضان وينتهي إذا علم دخوله وخروجه، لقول النبي ﷺ: (**الشهر تسع وعشرون ليلة، فلا تصوموا حتى تروه، فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين**)[1].

ويلزم صوم رمضان كل مسلم عاقل بالغ قادر، ومن أفطر لعذر ثم زال عذره في أثناء نهار رمضان؛ يلزمه القضاء.

ثانياً: مفسدات الصيام:

ويفسد الصيام بأمور:

١- الأكل والشرب، وما كان في معنى الأكل والشرب، من المحاليل والإبر المغذية، ونقل الدم والتدخين بأنواعه.

٢- الجماع بالإيلاج، سواء أنزل الرجل المني أم لم ينزل.

٣- إنزال المني باختياره بمباشرة، أو استمناء، ونحو ذلك.

٤- التقيؤ عمداً.

٥- خروج دم الحيض والنفاس.

ثالثاً: الرخصة في الصيام:

ورخص الله لأصناف من الناس تيسيراً وتخفيفاً وهم:

١- المريض الذي يتضرر بالصوم، فيجوز له الفطر ويقضي ذلك بعد رمضان.

٢- العاجز عن الصوم لكبر أو مرض لا يرجى شفاؤه، فيجوز له الفطر ويُطعم عن كل يوم مسكيناً يعطيه ما مقداره كيلو ونصف من قوت البلد.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب قول النبي ﷺ: (**إذا رأيتم الهلال فصوموا..**) (١٩٠٧).

٣- المسافر، فيجوز له الفطر ويقضي ذلك بعد رمضان.

٤- الحائض والنفساء، يحرم عليهما الصيام ولا يصح منهما، وعليهما القضاء بعد رمضان.

٥- الحامل والمرضع، إذا خافتا الضرر على النفس أو على الولد أفطرتا وقضيتا ذلك اليوم.

رابعاً: فضل الصيام في الإسلام:

وللصيام قيمة كبيرة في الإسلام، فقد ثبت عن النبي ﷺ قوله: **(من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)**(١)، قال ﷺ: **(للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه)**(٢).

وقال ﷺ: **(إن في الجنة باباً يقال له الرَّيَّان يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟، فيقومون، لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد)**(٣).

ونسب الله تعالى جزاء الصيام والمثوبة عليه إليه سبحانه، ومن كانت مثوبته وجزاؤه من كريم عظيم جواد رحيم فليبشر بما أعده الله له، قال ﷺ: **(كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به)**(٤).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب من صام رمضان إيماناً واحتساباً ونية (١٩٠١)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان (٧٦٠).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصوم، باب فضل الصيام (١١٥١).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب الريان للصائمين (١٨٩٦)، ومسلم، كتاب الصيام، باب فضل الصيام (١١٥٢).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب: هل يقول إني صائم إذا شتم (١٩٠٤)، ومسلم، كتاب الصيام، باب حفظ اللسان للصائم وباب فضل الصيام (١١٥١).

خامساً: حكمة الصيام في الإسلام:

وفرض الله الصيام لحكم كثيرة منها:

١- فيه تحقيق للتقوى تزكية للنفس وتطهيراً وتنقية لها من الأخلاط الردية والأخلاق الرذيلة، لأنه يضيق مجاري الشيطان في بدن الإنسان؛ لأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، فإذا أكل أو شرب؛ انبسطت نفسه للشهوات، وضعفت إرادتها، وقلت رغبتها في العبادات، والصوم على العكس من ذلك.

٢- أَن الصوم وسيلة إِلَى شكْرِ النعْم، فالصيام هُوَ كَف النفسِ عَنْ الأكْل وَالشرب وَالْجِمَاعِ، وهذه مِنْ أَجَلِّ النعَمِ وَأَعلاهَا، وَالامتِنَاع عنْها زَمَاناً مُعْتَبَراً يعرف قَدْرهَا، إذْ النعَم مَجْهولَة، فَإِذَا فقدَت عُرِفتْ، فَيَحْمِله ذَلِكَ عَلَى قضاء حَقها بِالشُّكْرِ.

٣- أَن الصوْمَ وَسِيلَة إِلَى ترك المحرمات، لأَنه إِذَا انْقَادَتِ النَّفْسُ لِلامْتِنَاع عَنْ الْحَلالِ طَمَعاً فِي مرضاةِ اللهِ تَعالَى، وَخوْفاً مِنْ أَلِيم عِقَابِه، فأوْلَى أن تَنقاد لِلامتِنَاع عَنْ الْحرامِ، فَكَانَ الصَّوْمُ سَبَباً لاتقَاءِ مَحارِمِ اللهِ تَعَالَى.

٤- الصوْم موجِب لِلرحمَةِ وَالْعَطْف عَلَى الْمساكِينِ، فَإِن الصائِم إِذَا ذَاق أَلَمَ الْجُوعِ فِي بَعْضِ الأَوْقَات، ذَكَرَ مَنْ هَذَا حَاله فِي جَمِيعِ الأوْقَاتِ، فَتُسَارِعُ إِلَيْهِ الرِّقة عَلَيْهِ، وَالرَّحْمَة بِهِ، بِالإِحْسَانِ إِلَيْهِ، فكان الصوم سبباً للعطف على المساكين.

٥- أن الصائم يدرب نفسه على مراقبة الله تعالى، فيترك ما تهوى نفسه مع قدرته عليه، لعلمه باطلاع الله عليه.

٦- وفي الصيام التزهيد في الدنيا وشهواتها، والترغيب فيما عند الله تعالى.

٧- تعويد المؤمن على الإكثار من الطاعات، وذلك لأن الصائم في الغالب تكثر طاعته فيعتاد ذلك.

٨- الصوم «حرمان مشروع وتأديب بالجوع وخشوع لله وخضوع، لكل فريضة حكمة وهذا الحكم ظاهره العذاب وباطنه الرحمة، يستثير الشفقة ويحض على الصدقة، يكسر الكبر ويعلم الصبر ويسن خلاله البر، حتى إذا جاع من ألف الشبع وحرم المترف أسباب المنع عرف الحرمان كيف يقع وكيف ألمه إذا لذع»[(١)].

الركن الخامس

الحج

أولاً: مقدمات حول الحج:

والحج هو قصد بيت الله الحرام لأداء المناسك، وهي أفعال وأقوال جاءت عن النبي ﷺ، كالإحرام والطواف بالبيت الحرام سبع مرات والسعي سبعاً بين جبلي الصّفا والمروة والوقوف في عرفة ورمي الجمرات بمنى وغير ذلك.

وهو ركن من أركان الإسلام، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

ويشترط لوجوب الحج: الإسلام والعقل والبلوغ والاستطاعة.

وحد الاستطاعة: إمكان الوصول إلى البيت الحرام، وأداء مناسك الحج مع الأمن على النفس والمال، وأن يكون ما يحتاجه لحجه من النفقة زائداً عن حوائجه الأصلية ونفقات من يلزمه نفقتهم.

وللحج أركان وواجبات وسنن بينها الله لنا في كتابه، وبينها رسول الله ﷺ من أقواله وأفعاله وتقريراته.

---

(١) ينظر: أسواق الذهب- الأديب أحمد شوقي ص٨٤.

ثانياً: فضل الحج في الإسلام:

وللحج قيمة كبيرة في الإسلام، حيث إن النبي ﷺ لما سئل: أي الأعمال أفضل؟ قال: (**إيمان بالله ورسوله**). قيل: ثم ماذا؟ قال: (**جهاد في سبيل الله**). قيل: ثم ماذا؟ قال: (**حج مبرور**)[(١)].

وقال ﷺ: (**من حج فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه**)[(٢)]، وقال ﷺ: (**الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**)[(٣)].

وقال الرسول ﷺ: (**ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة**)[(٤)].

ثالثاً: مقاصد الحج:

وللحج غايات ومقاصد جليلة، من أهمها:

١- إظهار توحيد الله ﷻ وإفراده بالعبادة بالقول والفعل، فأعمال وأقوال الحج كلها تربي على التوحيد.

٢- التربية على العبودية والاستجابة المطلقة لله تعالى من غير اعتراض.

٣- التربية على الزهد في الدنيا والافتقار لله، وذلك لأن الحاج يرفض أسباب

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من قال إن الإيمان هو العمل (٢٦)، ومسلم، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال (٨٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور (١٥٢١) واللفظ له، ومسلم، كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة، ويوم عرفة (١٣٥٠).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب وجوب العمرة وفضلها (١٧٧٣)، ومسلم، كتاب الحج، باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة (١٣٤٩).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة، ويوم عرفة (١٣٤٨).

الترف والتزين، ويلبس ثياب الإحرام مظهراً فقره لربه، ويتجرد عن الدنيا وشواغلها التي تصرفه عن الخلوص لمولاه.

٤- التربية على البذل في سبيل الله وشكر على نعمة المال، وشكر على نعمة البدن، وهما أعظم ما يتمتع به الإنسان من نعم الدنيا، حيث يجهد المسلم نفسه وينفق ماله في طاعة ربه والتقرب إليه سبحانه.

٥- التربية على الاجتماع والوحدة، يجتمع المسلمون من أقطار الأرض في الحج، فيتعرف بعضهم على بعض، ويألف بعضهم بعضاً، هناك تذوب الفوارق بين الناس، وتتحد كلمة المسلمين في أعظم مؤتمر بشري اجتمعت كلمة أصحابه على البر والتقوى وعلى التواصي بالحق والتواصي بالصبر، هدفه العظيم ربط أسباب الحياة بأسباب السماء.

٦- الحج يذكّر المسلم بيوم اللقاء وذلك إذا تجرد الحاج من ثيابه ولبى محرماً ووقف بصعيد عرفات ورأى كثرة الناس ولباسهم واحد يشبه الأكفان، فهنا يجول بخاطره مواقف سيتعرض لها المسلم بعد وفاته فيدعوه ذلك للاستعداد لها وأخذ الزاد قبل لقاء الله.

المبحث الثاني

أركان الإيمان[(١)]

تمهيد حول مفهوم الإيمان وأدلته:

الإيمان لغة: مأخوذ من الأمن وهو طمأنينة النفس، وهو التصديق. قال أخوة يوسف لأبيهم: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾[يوسف ١٧]. أي وما أنت بمصدق لنا.

إلَّا أن الإيمان هو التصديق الذي معه أَمْنٌ[(٢)] أي طمأنينة.

وقيل الإيمان هو: الثقة وإظهار الخضوع[(٣)].

اصطلاحاً: قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان[(٤)].

وأركان الإيمان بينها الله تعالى في كتابه بقوله: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ

---

(١) هذا المبحث مختصر من رسالة شرح أصول الإيمان وعقيدة أهل السنة والجماعة للشيخ ابن عثيمين، مع بعض الإضافات من كتب متفرقة في العقيدة، وللاستزادة يمكن الرجوع إلى: مجموعة العقيدة د. عمر الأشقر، ودليل المسلم الجديد لعبدالله باهمام، وكتاب التوحيد للناشئة والمبتدئين د. عبدالعزيز العبداللطيف.

(٢) المفردات في غريب القرآن ص٢١.

(٣) القاموس المحيط ص١٥١٨.

(٤) كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ص٢٤٩.

﴿الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧]. وقوله سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وحديث جبريل عندما سأل عن الإيمان فقال النبي ﷺ: **(أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)**[1].

---

(١) تقدم تخريجه ص١٢٣.

الركن الأول

الإيمان بالله

أولاً: مفهوم الإيمان بالله ومقتضياته:

الإيمان بالله: هو الاعتقاد الجازم بوجوده سبحانه وتعالى، وربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، فمن آمن بها فهو المؤمن حقًّاً.

وتفصيل ذلك على النحو التالي:

الأول: الإيمان بوجود الله تعالى[1]:

إنَّ وجود الله تعالى قد دل عليه العقل والفطرة، فضلاً عن الأدلة الشرعية الكثيرة التي تدل على ذلك.

أما دلالة الفطرة على وجوده: فإن كل مخلوق قد فطر على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها، ولذلك قال النبي ﷺ: **(مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ)**[2].

وأما دلالة العقل على وجود الله تعالى؛ فلأن هذه المخلوقات سابقها ولاحقها لا بد لها من خالق أوجدها، إذ لا يمكن أن توجِدَ نفسها بنفسها، ولا يمكن أن توجد صدفة.

(١) للاستزادة ينظر: الإيمان بالله جل جلاله د. علي الصلابي، الآيات الكونية ودلالتها على وجود الله للشيخ محمد متولي الشعراوي، كتاب: أفي الله شك. د. متولي فرج، الدليل الفطري على وجود الله د. عمر الأشقر.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام (١٣٥٨) ومسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (٢٦٥٨).

فهي لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها لأن الشيء لا يَخلق نفسَه، لأنه قبل وجوده معدوم، فكيف يكون خالقاً؟!

ولا يمكن أن توجد صدفة، لأن كل حادث لا بد له من محدث، ولأن وجودها على هذا النظام البديع المحكم، والتناسق المتآلف، والارتباط الملتحم بين الأسباب ومسبباتها، وبين الكائنات بعضها مع بعض يمنع منعاً باتّاً أن يكون وجودها صدفة، إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده، فكيف يكون منتظماً حال بقائه؟!

وإذا لم يمكن أن تُوجِد هذه المخلوقات نفسَها بنفسها، ولا أن توجَد صدفة، تعين أن يكون لها موجِدٌ وهو الله رب العالمين.

وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل العقلي والبرهان القطعي في آيات كثيرة، ومنها آية سورة الطور، قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ [الطور: ٣٥]. يعني أنهم لم يخلقوا من غير خالق، ولا هم الذين خلقوا أنفسهم، فتعين أن يكون خالقهم هو الله تبارك وتعالى.

فإنه لو حدثك شخص عن قصر مشيد، أحاطت به الحدائق، وجرت بينها الأنهار، وملئ بالفُرُش والأَسِرّة، وزُيِّن بأنواع الزينة من مقوماته ومكملاته، وقال لك: إن هذا القصر وما فيه من كمال قد أوجد نفسه، أو وجد هكذا صدفة بدون موجد، لبادرت إلى إنكار ذلك وتكذيبه، وعددت حديثه سفهاً من القول، أفيجوز بعد ذلك أن يكون هذا الكون الواسع بأرضه، وسمائه، وأفلاكه، البديعُ الباهرُ، المحكَم المتقَنُ قد أوجد نفسه، أو وجد صدفة بدون موجد؟!

وقد فهم هذا الدليل العقلي أعرابي يعيش في البادية، وعَبَّر عنها بأسلوبه، فلما

سُئِل: بم عرفت ربك؟ فقال: البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا تدل على السميع البصير؟!![1].

✧ الثاني: الإيمان بربوبيته تعالى[2]:

أي: بأنه وحده الرب لا شريك له ولا معين.

والرب: هو من له الخلق، والملك، والتدبير، فلا خالق إلا الله، ولا مالك إلا الله، ولا مدبر للأمور إلا الله، قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ﴾[الأعراف: ٥٤].

ولا يتم توحيد العبد حتى يقر بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه، وأنه المحيي المميت النافع الضار المنفرد بإجابة الدعاء، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، القادر على ما يشاء، ويدخل في ذلك الإيمان بالقدر خيره وشره.

قال تعالى: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[يونس: ٣١].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣].

---

(١) لوامع الأنوار البهية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي ١/ ٢٧٢.

(٢) للاستزادة ينظر: توحيد الربوبية للشيخ محمد بن إبراهيم الحمد، وبحث علمي بعنوان: معنى الربوبية وأدلتها وأحكامها وإبطال الإلحاد فيها لفضيلة الشيخ د. محمد بن عبدالرحمن أبوسيف الجهني، وكتب الإعجاز العلمي، وأخص منها ما يتعلق بآيات الله في الكون والإنسان، كتاب الإسلام يتحدى، لوحيد الدين خان، وكتاب: الله يتجلى في عصر العلم، لمجموعة علماء أمريكيين، وكتاب: العلم يدعو للإيمان، أ. كريسي موريسون.

وهذا القسم من التوحيد لم يعارض فيه المشركون الذين بعث فيهم الرسول ﷺ، بل كانوا مقرين به إجمالاً؛ قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾[الزخرف: ٩].

فعلم بهذا أن الإقرار بربوبية الله تعالى لا يكفي العبد في تحقق إسلامه بل لا بد معه من الإتيان بلازمه ومقتضاه وهو توحيد الألوهية وإفراد الله تعالى بالعبادة.

وهذا التوحيد لم ينكره إلا فرعون الذي ادعى الربوبية، وكذلك المجوس أنكروا توحيد الربوبية على سبيل التشريك، حيث قالوا: إن للعالم خالقين هما الظلمة والنور.

✧ الثالث: الإيمان بألوهيته(١):

أي: التصديق الجازم بأن الله تعالى وحده هو المستحق لجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة، من الدعاء والخوف والرجاء والاستعانة والاستغاثة والاستعاذة والصلاة والصوم والزكاة والحج..

و(الإله) بمعنى (المألوه) أي: (المعبود) حبًّا وتعظيماً، وهذا هو معنى (لا إله إلا الله) أي: لا معبودَ حقٌّ إلا الله. قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة ١٦٣]، وقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران ١٨].

وكل ما اتخذ إلهاً مع الله يعبد من دونه فألوهيته باطلة، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج ٦٢].

وتسميتها آلهة لا يعطيها حق الألوهية، قال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾

(١) ينظر: كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب وشروحه، وبلوغ السعادة من أدلة توحيد العبادة د. صلاح البدير، وكتاب توحيد العبادة لمحمد شامي شيبة.

﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ٢٠ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ٢١ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ٢٢ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩ – ٢٣].

وقال تعالى عن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال لصاحبي السجن: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [يوسف٤٠].

فلا يستحق أحد أن يعبد، ويفرد بالعبادة إلا الله عَزَّوَجَلَّ، لا يشاركه في هذا الحق أحدٌ، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، وهذا هو الغاية من خلق الناس قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ولهذا كانت دعوة الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم هي الدعوة توحيد الألوهية، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء٢٥]، وقال: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل٣٦].

وهو أول واجب على الإنسان كما جاء في وصية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما أرسله لليمن: **(إنك تأتي قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله)**[١].

✧ الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته[٢]:

أي: إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو سنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأسماء والصفات

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى(٧٣٧٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (١٩).

(٢) ينظر: الأسماء والصفات للبيهقي، والمنهج الأسمى في أسماء الله الحسنى لمحمد النجدي، وأسماء الله الحسنى وأثرها في سلوك الإنسان لأبو سنينة، شرح أسماء الله الحسنى لسعيد القحطاني، وفقه الأسماء الحسنى د. عبدالرزاق البدر.

على الوجه اللائق به سبحانه من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل.

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف١٨٠]، وقال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. وقال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

فالعلم بأسماء الله وصفاته يهتدي به المسلم إلى التعرّف على الله تعالى، فمن آمن بأسماء الله وصفاته ازداد معرفة بالله تعالى، فيزداد إيمانه بالله يقيناً، ويقوى توحيده لله تعالى، وحق لمن عرف أسماء الله وصفاته أن يمتلئ قلبه تعظيماً ومحبة وخضوعاً له سبحانه وتعالى.

ويقتضي هذا الإيمان، الثناء على الله بأسمائه الحسنى، وهذا من أفضل أنواع الذكر، وسؤال الله ودعاؤه بأسمائه وصفاته، كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤١]، وقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف١٨٠].

ومثال ذلك أن يقول: يا رزاق ارزقني، ويا تواب تب علي، ويا رحيم ارحمني.

ثانياً: ثمرات الإيمان بالله:

وإذا آمن العبد بالله أثمر هذا ثمرات دنيوية وأخروية من أهمها:

١- أن الله يدفع عن المؤمنين جميع المكاره، وينجيهم من الشدائد، ويحفظهم من مكايد الأعداء، كما قال تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨﴾ [الحج: ٣٨].

٢- أن الإيمان سبب الحياة الطيبة والسعادة والسرور، قال تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ

صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

٣- الأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢].

٤- الحصول على مرضاة الله تعالى، ودخول الجنة، والفوز بالنعيم المقيم، والرحمة الكاملة قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾[يونس: ٩].

٥- والإيمان بالله تعالى وأسمائه وصفاته يثمر للعبد محبة الله وتعظيمه الموجبين للقيام بأمره واجتناب نهيه، والقيام بأمر الله تعالى واجتناب نهيه يحصل بهما كمال السعادة في الدنيا والآخرة للفرد والمجتمع.

الركن الثاني

الإيمان بالملائكة(١)

أولاً: معنى الإيمان بالملائكة ومقتضياته:

أي: التصديق الجازم بوجود الملائكة، وأنهم عالم غيبي غير عالم الإنس وعالم الجن، وهم كرام أتقياء، يعبدون الله حق العبادة، ويقومون بتنفيذ ما يأمرهم به، ولا يعصون الله أبداً.

(١) ينظر: الإيمان بالملائكة د. على الصلابي، والإيمان بالملائكة د. عمر الأشقر، وكتاب محاضرات في الإيمان بالملائكة د. محمد أبو سيف.

ويقتضي الإيمان بالملائكة أمور:

○ الأول: الإيمان بصفاتهم المذكورة في القرآن والسنة:

فنؤمن بأن الملائكة خلقت من نور، قال ﷺ: **(خُلقت الملائكة من نور)**[(١)].

وأن لهم أجنحة، فقد أخبر الله تعالى أنه جعل للملائكة أجنحة يتفاوتون في أعدادها، فقال سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١].

○ الثاني: نؤمن بأنهم عباد لله خلقهم الله لعبادته ولا نرفعهم فوق قدرهم:

فنؤمن: بملائكة الله تعالى وأنهم ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٨] فهم لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعاً ولا ضرّاً، و﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾

ونؤمن بأن الله خلقهم فقاموا بعبادته وانقادوا لطاعته، قال تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩ - ٢٠].

○ الثالث: الإيمان بأنهم غيب حجبهم الله عن البشر:

فنؤمن بأن الله حجبهم عنا فلا نراهم، وربما كشفهم لبعض عباده، فقد رأى النبي ﷺ جبريل على صورته له ستمائة جناح قد سدّ الأفق[(٢)]، وتمثل جبريل

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة (٢٩٩٦).

(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: (آمين) والملائكة في السماء فوافقت أحدهما

لمريم بشراً سويّاً فخاطبته وخاطبها[١]، وأتى إلى النبي ﷺ وعنده الصحابة بصورة رجل لا يُعرف ولا يُرى عليه أثر السفر، شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، فجلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبته إلى ركبتي النبي ﷺ ووضع كفيه على فخذيه، وخاطب النبي ﷺ، وخاطبه النبي ﷺ وأخبر النبي ﷺ أصحابه أنه جبريل[٢].

○ الرابع: الإيمان بأن: للملائكة أعمالاً كلفوا بها:

فمنهم: جبريل الموكل بالوحي ينزل به من عند الله على من يشاء من أنبيائه ورسله.

ومنهم ميكائيل الموكل بالمطر والنبات.

ومنهم إسرافيل: الموكل بالنفخ في الصور حين الصعق والنشور.

ومنهم ملك الموت: الموكل بقبض الأرواح عند الموت.

ومنهم ملك الجبال: الموكل بها.

ومنهم مالك: خازن النار، ومنهم ملائكة موكلون بالأجنة في الأرحام، وآخرون موكلون بحفظ بني آدم وآخرون موكلون بكتابة أعمالهم، لكل شخص ملكان.

ومنهم **موكلون** بسؤال الميت بعد الانتهاء من تسليمه إلى مثواه، يأتيه ملكان يسألانه عن ربه ودينه ونبيه.

الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه (٣٢٣٢،٣٢٣٣).

(١) كما في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧﴾ [مريم ١٦- ١٧].

(٢) كما سبق في حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومنهم الملائكة الموكلون بأهل الجنة، وملائكة موكلون بأهل النار.

وقد أخبر النبي ﷺ أن البيت المعمور في السماء يدخله – وفي رواية يصلي فيه- كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم[(١)].

ثانياً: ثمرات الإيمان بالملائكة:

وإذا آمن العبد بالملائكة أثمر هذا ثمرات دنيوية وأخروية من أهمها:

١- العلم بعظمة خالقهم تبارك وتعالى وقوته وسلطانه.

٢- شكره تعالى على عنايته بعباده، حيث وكل بهم من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم وغير ذلك من مصالحهم.

٣- محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى على الوجه الأكمل واستغفارهم للمؤمنين.

٤- الاستقامة على طاعة الله تعالى، فمن آمن بأن الملائكة تكتب أعماله كلها فإن هذا يوجب خوفه من الله تعالى، فلا يعصيه في العلانية ولا في السر.

٥- الصبر على طاعة الله، والشعور بالأنس والطمأنينة، عندما يوقن المؤمن أن معه في هذا الكون الفسيح أُلوفاً من الملائكة تقوم بطاعة الله على أحسن حال وأكمل شأن.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة(٢٣٠٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ (رقم ١٦٤).

الركن الثالث

الإيمان بالكتب(١)

أولاً: مفهوم الإيمان بالكتب ومقتضياته:

ونؤمن بأن: الله تعالى أنزل على رسله كتباً حجّة على العالمين ومحجة للعالمين يعلّمونهم بها الحكمة ويزكونهم.

الأول: أن نؤمن بما سمى الله لنا من الكتب المنزلة على الرسل:

فالله تعالى أنزل مع كل رسول كتاباً، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

ومن تلك الكتب التي سمى الله لنا:

١- **التوراة**: التي أنزلها الله تعالى على موسى ﷺ، وهي أعظم كتب بني إسرائيل ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ﴾ [المائدة: ٤٤].

٢- **الإنجيل**: الذي أنزله الله تعالى على عيسى ﷺ، وهو مصدق للتوراة ومتمم لها، قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٦].

٣- **الزبور**: الذي آتاه الله داود ﷺ، قال تعالى: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

---

(١) ينظر: الإيمان بالكتب د. عمر الأشقر، الإيمان بالقرآن والكتب السماوية د. علي الصلابي، الإيمان بالكتب د. محمد الحمد، وبحث بعنوان الإيمان بالكتب السابقة وآثاره، د. أمين الشقاوي، منشور على شبكة الألوكة.

٤- صحف إبراهيم وموسى: عليهما الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩﴾ [الأعلى: ١٨-١٩].

٥- القرآن العظيم: الذي أنزله الله على نبيه محمد خاتم النبيين، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة١٨٥].

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[المائدة٤٨]، فنسخ الله به جميع الكتب السابقة وتكفل بحفظه عن عبث العابثين وزيغ المحرفين ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[الحجر٩] لأنه سيبقى حجة على الخلق أجمعين إلى يوم القيامة.

✧ الثاني: الكتب السابقة مؤقتة بأمدٍ:

أي أن الكتب السابقة لها وقت محدد ينتهي بنزول ما ينسخها ويبين ما حصل فيها من تحريف وتغيير، ولهذا لم تكن معصومة منه فقد وقع فيها التحريف والزيادة والنقص.

قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦]، وقال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة:٧٩].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾[الأنعام: ٩١].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ

﴿وَمَا هُوَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨،و٧٩].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [المائدة: ١٥].

ولذا لا نصدق من أخبار هذه الكتب إلا ما صدقه القرآن الكريم أو السنة الصحيحة، ونكذب ما كذبه القرآن والسنة الصحيحة، ونسكت عن الباقي فلا نصدقه ولا نكذبه.

ويجب على المسلم أن يحترم تلك الكتب ولا يهينها ولا يدنسها؛ لأنها قد تحتوي في طياتها على شيء من بقايا كلام الله الذي لم يحرف.

✧ الثالث: الإيمان بالقرآن إيمانا جازما:

فالقرآن الكريم هو كلام الله تعالى المنزل على نبينا محمد ﷺ، تميز عن الكتب بعدد من الميزات وهي:

١- أن القرآن الكريم قد تضمّن خلاصة الأحكام الإلهية، وجاء مؤيّداً ومصّدقاً لما جاء في الكتب السابقة من الأمر بعبادة الله وحده. قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ﴾[المائدة: ٤٨].

٢- أنه الكتاب الخاتم المنزل على النبي الخاتم، الناسخ لجميع الكتب السابقة، فيجب على جميع الناس إلى يوم القيامة التمسك به، والعمل بمقتضاه، بخلاف الكتب السابقة فهي لأقوام معينين في زمن محدد، قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[الأنعام: ١٩].

٣- حفظ الله تعالى للقرآن الكريم، فلم ولن يحرف، قال سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

✧ الرابع: التزام المسلم بالواجب تجاه القرآن:

فالمؤمن عليه تجاه القرآن أن:

١- يعظّم القرآن ويحبه ويحترمه إذ هو كلام الخالق جلَّ وعلا.

٢- السعي إلى التمسك بأحكامه والعمل به، والتخلق بأخلاقه.

٣- العمل على تلاوته وتدبّره والتفكر فيه.

ثانياً: ثمرات الإيمان بالكتب:

وإذا آمن العبد بالكتب أثمر هذا ثمرات دنيوية وأخروية من أهمها:

١- العلم بعناية الله تعالى بعباده، وكمال رحمته، حيث أرسل لكل قوم كتاباً يهديهم به، ويحقق لهم السعادة في الدنيا والآخرة.

٢- العلم بحكمة الله تعالى في شرعه، حيث شَرَع لكل قوم ما يناسب أحوالهم ويلائم أشخاصهم، كما قال الله تعالى: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا﴾[المائدة: ٤٨].

٣- شكر نعمة الله في إنزال تلك الكتب، فهذه الكتب نور وهدى في الدنيا والآخرة، ومن ثم فيتعيّن شكر الله على هذه النعم العظيمة.

الركن الرابع

الإيمان بالرسل [(١)]

◈ أولاً: مقدمات حول الإيمان بالرسل:

الإيمان بالرسل هو: هو التصديق الجازم بأن الله بعث في كل أمة رسولاً منهم يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأن الرسل كلهم صادقون مصدّقون، أتقياء أمناء، هداة مهتدون، وأنهم بلّغوا جميع ما أرسلهم الله به، فلم يكتموا ولم يغيّروا، ولم يزيدوا فيه من عند أنفسهم حرفاً ولم ينقصوه، كما قال تعالى: ﴿فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥].

حاجة البشرية إلى الرسل:

الرسالة ضرورية للعباد، لا بدّ لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالة روح العالم ونوره وحياته، فأيّ صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟ والدنيا مظلمةٌ إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة.

ولا سبيل إلى السعادة والفلاح في الدارين إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيِّب والخبيث على التفصيل إلا من طريقهم.

ولقد سمى الله رسالته روحاً، والروح إذا عدم فقدت الحياة، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى: ٥٢].

---

(١) ينظر: الإيمان بالرسل والرسالات د. عمر الأشقر، الإيمان بالرسل د. عطية أحمد عطية، وبحث بعنوان: من أركان العقيدة.. الإيمان بالرسل، د. علي محمد مقبول الأهدل.

وأرسل الله الرسل لتتحقق أمور:

١- تعريف الناس بمعبودهم الحق، ولدعوتهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

٢- وأرسل الله الرسل لإقامة الدين، والنهي عن التفرّق فيه، يقول تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

٣- وأرسل الله الرسل للتبشير والإنذار، فقال سبحانه: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعام: ٤٨].

وتبشير الرسل وإنذارهم دنيوي وأخروي، فهم في الدنيا يبشرون الطائعين بالحياة الطيبة، ويحذرونهم العذاب والهلاك الدنيوي، وفي الآخرة يبشرون الطائعين بالجنة ونعيمها، ويخوّفون المجرمين والعصاة عذاب الله في الآخرة.

٤- وأرسل الله الرسل لإعطاء الأسوة الحسنة للناس في السلوك القويم، والأخلاق الفاضلة والعبادة الصحيحة، كما قال تعالى في شأن نبينا محمد ﷺ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

وإن ما تعانيه الدول - التي يسمونها دولاً متقدمة ومتحضرة - من أنواع الاضطراب والهموم والشقاء والتفكك، إنما هو بسبب الإعراض عن الرسالة.

◈ ثانياً: مقتضيات الإيمان بالرسل:

والإيمان بالرسل يتضمن:

١- **الإيمان بأن**: الله تعالى بعث إلى خلقه رسلاً ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥].

٢- والإيمان بأن: أولهم نوح وآخرهم محمد صلى الله وسلّم عليهم أجمعين ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٣]، وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

٣- والإيمان بأن أفضلهم محمد ثم إبراهيم ثم موسى ثم نوح وعيسى بن مريم وهم المخصوصون في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا﴾ [الأحزاب٧].

٤- والاعتقاد بأن: شريعة محمد ﷺ حاوية لفضائل شرائع الرسل المخصوصين بالفضل لقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

٥- والإيمان بأن: جميع الرسل بشر مخلوقون، ليس لهم من خصائص الربوبية شيء، قال الله تعالى عن نوح وهو أولهم: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ﴾ [هود:٣١]، وأمر الله تعالى محمداً وهو آخرهم أن يقول: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ٥٠]، وأن يقول: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٨].

٦- والإيمان بأنهم: عبيد من عباد الله أكرمهم الله تعالى بالرسالة، ووصفهم بالعبودية في أعلى مقاماتهم وفي سياق الثناء عليهم، فقال في أولهم نوح: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ٣﴾ [الإسراء:٣].

وقال في آخرهم محمد ﷺ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفرقان:١]، وقال في رسل آخرين ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي

﴿وَالْأَبْصَارِ﴾ [ص:٤٥]. وقال: ﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧]. وقال: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ ۚ نِعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص:٣٠]. وقال في عيسى ابن مريم: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الزخرف:٥٩].

٧- **والإيمان** بكل من سمى الله من الأنبياء، وأما من لم نعلم اسمه منهم فنؤمن به إجمالاً، وتصديق ما صح من أخبار الرسل، قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾[البقرة: ٢٨٥].

٨- **الإيمان بأن** الله خص الأنبياء بالوحي دون بقية الناس، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، فليست النبوة والرسالة مكتسبة بالصفاء الروحي ولا الذكاء والمنطق العقلي، وإنما اختيار واصطفاء رباني، فقد اختار الله الرسل واصطفاهم من بين سائر الناس ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ۘ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

٩- **الإيمان بأن** الرسل معصومون فيما يبلِّغون عن الله، فهم لا يخطئون في التبليغ عن الله، ولا يخطئون في تنفيذ ما أوحى الله به إليهم.

١٠- **الإيمان بأن من صفات الرسل**: الصدق، فالرسل عليهم السلام صادقون في أقوالهم وأعمالهم، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢].

١١- **الإيمان** بأن من صفات الرسل **الصبر**، فالرسل كانوا مبشرين ومنذرين، يدعون إلى دين الله تعالى، وقد أصابتهم صنوف الأذى وأنواع المشاق، ومع ذلك

فقد صبروا وتحمّلوا في سبيل إعلاء كلمة الله، قال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

١٢- **والإيمان** بأن الله تعالى قد أيّد رسله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بالمعجزات البينة والبراهين القاطعة الدالة على صدقهم، وصحة نبوَّتهم ورسالتهم، فأجرى الله على أيدي رسله المعجزات وهي أمور خارقة للعادة يظهرها الله تعالى على أيدي أنبيائه ورسله على وجه يعجز البشر عن الإتيان بمثله.

١٣- **والإيمان بأن:** الله تعالى ختم الرسالات برسالة محمد ﷺ وأرسله إلى جميع الناس لقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [الأعراف:١٥٨].

١٤- **ونؤمن بأن:** شريعته ﷺ هي دين الإسلام الذي ارتضاه الله تعالى لعباده، وأن الله تعالى لا يقبل من أحد ديناً سواه لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥].

١٥- **من** كفر برسالة محمد ﷺ إلى الناس جميعاً فقد كفر بجميع الرسل، حتى برسوله الذي يزعم أنه مؤمن به متبع له، لقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٠٥]، فجعلهم مكذبين لجميع الرسل مع أنه لم يسبق نوحاً رسول. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٍ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٥٠، ١٥١].

١٦- **والإيمان بأنه:** لا نبي بعد محمد رسول الله ﷺ، ومن ادعى النبوة بعده أو صدّق من ادّعاها فهو كافر لأنه مكذب لله ورسوله وإجماع المسلمين.

◈ ثالثاً: آثار الإيمان بالرسل آثار عظيمة، نذكر منها:

١- العلم برحمة الله تعالى وعنايته بعباده حيث أرسل الرسل إليهم ليهدوهم إلى

الطريق الصحيح، ويبينوا لهم كيف يعبدون الله؛ لأن العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

٢- شكره تعالى على هذه النعمة الكبرى.

٣- محبة الرسل عليهم الصلاة والسلام وتعظيمهم والثناء عليهم بما يليق بهم؛ لأنهم قاموا بعبادة الله وتبليغ رسالته والنصح لعباده.

٤- اتباع الرسالة التي جاءت بها الرسل من عند الله، والعمل بها، فيتحقق للمؤمنين في حياتهم الخير والهداية والسعادة في الدارين، قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٤].

الركن الخامس

الإيمان باليوم الآخر(١)

أولاً: مفهوم الإيمان باليوم الآخر وأهميته:

الإيمان باليوم الآخر معناه: التصديق الجازم بيوم القيامة وأن الله تعالى يبعث الناس من القبور، ثم يحاسبهم ويجازيهم على أعمالهم، حتى يستقر أهل الجنة في منازلهم، وأهل النار في منازلهم.

ولقد كثر في القرآن الكريم ذكر اليوم الآخر، وبتقريره كل موقع، ونبّه إليه في كل

(١) ينظر: الإيمان باليوم الآخر الجنة والنار، عمر الأشقر، والقيامة الصغرى والقيامة الكبرى، د. عمر الأشقر، والإيمان باليوم الآخر لمحمد الحمد، والإيمان باليوم الآخر للصلابي، والإيمان باليوم الآخر والقدر أحمد البيانوني.

مناسبة، وأكد وقوعه بشتى أساليب العربية، وكثيراً ما ربط الإيمان به بالإيمان بالله ﷻ، كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

والإيمان باليوم الآخر نتيجة لازمة للإيمان بالله وعدله سبحانه وتعالى، فالله لا يقر الظلم ولا يدع الظالم بغير عقاب، ولا المظلوم بغير إنصاف، ولا يترك المحسن بغير ثواب وجزاء، ويعطي كل ذي حق حقه، ونحن نرى في الحياة الدنيا من يعيش ظالماً ويموت ظالماً ولم يعاقب، ومن يعيش مظلوماً ويموت مظلوماً ولم يأخذ حقه، فما معنى هذا والله لا يقبل الظلم؟ معناه أنه لا بد من حياة أخرى غير هذه الحياة التي نعيشها، لا بد من ميعاد آخر يكافأ فيه المحسن ويعاقب فيه المسيء ويأخذ كل ذي حق حقه.

ثانياً: مقتضيات الإيمان باليوم الآخر:

والإيمان باليوم الآخر يتضمن:

١ - الإيمان بالبعث والحشر:

وهو إحياء الموتى من قبورهم، وإعادة الأرواح إلى أجسادهم، فيقوم الناس لرب العالمين، ثم يحشرون ويجمعون في مكان واحد حفاة عراة كما خلقوا أول مرة.

٢ - الإيمان بالحساب والميزان:

فيوم القيامة يحاسب الله الخلائق على أعمالهم التي عملوها في الحياة الدنيا، وتوزن الأعمال في ميزان عظيم، فتوضع الحسنات في كفة، والسيئات في الكفة الأخرى، فمن رجحت حسناته بسيئاته فهو من أهل الجنة، ومن رجحت سيئاته بحسناته فهو من أهل النار، ولا يظلم ربك أحداً.

٣- الإيمان بالجنة والنار:

فالجنة هي دار النعيم المقيم، أعدها الله للمؤمنين المتقين، المطيعين للّه ورسوله، فيها جميع أنواع النعيم الدائم مما تشتهيه النفوس وتقر به العيون من جميع أنواع المحبوبات. والنار هي دار العذاب المقيم، أعدها الله للكافرين الذين كفروا بالله وعَصَوا رُسله، فيها من أنواع العذاب والآلام والنكال ما لا يخطر على البال.

٤- الإيمان بالشفاعة العظمى:

والشفاعة العظمى لرسول الله ﷺ خاصة، يشفع عند الله تعالى بإذنه ليقضي بين عباده، حين يصيبهم من الهمّ والكرب ما لا يُطيقون فيذهبون إلى آدم ثم نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى حتى تنتهي إلى رسول الله ﷺ.

٥- الإيمان بالشفاعة فيمن دخل النار من المؤمنين أن يخرجوا منها:

وهي للنبي ﷺ وغيره من النبيين والمؤمنين والملائكة، وبأن الله تعالى يُخرج من النار أقواماً من المؤمنين بغير شفاعة، بل بفضله ورحمته.

٦- الإيمان بالحوض:

أي حوض رسول الله ﷺ الذي ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وأطيب من رائحة المسك طوله شهر وعرضه شهر وآنيته كنجوم السماء حسناً وكثرة، يرده المؤمنون من أمته، من شرب منه لم يظمأ بعد ذلك.

٧- الإيمان بالصراط المنصوب على جهنم:

أي الإيمان به وأن الناس يمرون عليه على قدر أعمالهم، فيمر أولهم كالبرق ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرجال تجري بهم أعمالهم، حتى تعجز أعمال العباد، فيأتي من يزحف، وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة، تأخذ من أمرت به، فمخدوش ناجٍ ومكردس في النار.

٨- الإيمان برؤية المؤمن لله سبحانه وتعالى.

٩- الإيمان بكل ما جاء في الكتاب والسنة من أخبار ذلك اليوم وأهواله.

١٠- الإيمان بشفاعة النبي ﷺ لأهل الجنة أن يدخلوها: وهي للنبي ﷺ خاصة.

١١- الإيمان بفتنة القبر:

وهي سؤال الميت في قبره عن ربّه ودينه ونبيه، فيقول المؤمن: ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد، وأما الكافر والمنافق فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته.

١٢- الإيمان بعذاب القبر ونعيمه:

الإيمان بعذاب القبر للكفار العصاة، ونعيمه للمؤمنين، وأن من مات فقد قامت قيامته وانتقل إلى الدار الآخرة. ولا نخوض في كيفية ذلك.

ثالثاً: ثمرات الإيمان باليوم الآخر:

١- الإيمان باليوم الآخر له أشد الأثر في توجيه الإنسان وانضباطه والتزامه بالعمل الصالح وتقوى الله ﷻ وبعده عن الأنانية والرياء. ولهذا يتم الربط بين الإيمان باليوم الآخر والعمل الصالح في كثير من الأحيان، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨]، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [الأنعام: ٩٢].

٢- تنبيه الغافلين المنشغلين بأمور الحياة ومتاعها عن التنافس في الطاعات واغتنام الوقت للتقرب إلى الله بالطاعات إلى حقيقة الحياة وقصرها وأن الآخرة هي دار القرار والخلد، فحين يؤمن الإنسان باليوم الآخر، فإنه سيوقن بأن كل نعيم في الدنيا لا يقاس

إلى نعيم الآخرة، ولا يساوي من جهة أخرى غمسة واحدة من أجله في العذاب، وكل عذاب في الدنيا -في سبيل الله- لا يقاس إلى عذاب الآخرة، ولا يوازي من جهة أخرى غمسة واحدة من أجله في النعيم.

٣- الطمأنينة بأن الإنسان ملاق نصيبه، فإذا فاته شيء من متاع الحياة الدنيا فلا ييأس ويقتل نفسه حزناً، بل عليه أن يجتهد ويوقن بأن الله لا يضيع أجر من أحسن العمل، وإن كان قد أُخِذَ منه مثقال ذرة بظلم أو غش حصَّلَها يوم القيامة في أحوج ما يكون إليها، فكيف يغتم من علم أن نصيبه سيأتيه لا محالة في أهم اللحظات وأخطرها؟ وكيف يحزن من يعلم أن من يقضي بينه وبين خصومه هو أحكم الأحكمين سبحانه وتعالى.

الركن السادس

الإيمان بالقدر خيره وشره(١)

أولاً: مفهوم الإيمان بالقدر:

الإيمان بالقدر خيره وشره: هو تقدير الله تعالى للكائنات حسبما سبق به علمه واقتضته حكمته.

فهو التصديق الجازم بأن كل خير وشر فهو بقضاء الله وقدره، وأنه الفعّال لما يريد، لا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس في العالم شيء

---

(١) ينظر: الإيمان بالقدر د. عمر الأشقر، والإيمان باليوم الآخر والقضاء والقدر د. أحمد البيانوني، والإيمان بالقضاء والقدر لمحمد الحمد.

يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره، ومع ذلك فقد أمر العباد ونهاهم، وجعلهم مختارين لأفعالهم، غير مجبورين عليها، بل هي واقعة بحسب قدرتهم وإرادتهم، والله خالقهم وخالق قدرتهم، يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته، لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون.

ثانياً: مقتضيات الإيمان بالقضاء والقدر:

وعلى هذا فمقتضيات الإيمان بالقدر:

١- **الإيمان** بأن الله تعالى بكل شيء عليم، علم ما كان وما يكون وكيف يكون بعلمه الأزلي الأبدي، فلا يتجدد له علم بعد جهل ولا يلحقه نسيان بعد علم.

٢- **الإيمان** بأن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن إلى يوم القيامة ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ﴾ [الحج:٧٠].

٣- **الإيمان** بأن الله تعالى قد شاء كل ما في السماوات والأرض، لا يكون شيء إلا بمشيئته، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

٤- **الإيمان** بأن الله هو الخالق للأشياء، وكل ما سواه مخلوق قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢، ٦٣].

وخلاصة هذه الأربع مراتب أن نؤمن بأن كل ما يقوم به العباد من أقوال أو أفعال أو تروك فهي معلومة لله تعالى مكتوبة عنده والله تعالى قد شاءها وخلقها.

٥- **الإيمان** بأن الله تعالى جعل للعبد اختياراً وقدرة بهما يكون الفعل، قال تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]. وقوله: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً﴾ [التوبة: ٤٦]. فأثبت للعبد إتياناً بمشيئته وإعداداً بإرادته.

وتوجيه الأمر والنهي إلى العبد، إذا لم يكن له اختيار وقدرة كان توجيه ذلك إليه من التكليف بما لا يطاق، وهو أمر تأباه حكمة الله تعالى ورحمته وخبره الصادق.

ولولا أن الفعل يقع بإرادة العبد واختياره لكان مدح المحسن عبثاً وعقوبة المسيء ظلماً، والله تعالى منزه عن العبث والظلم.

والله تعالى أرسل الرسل ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٦٥]، ولولا أن فعل العبد يقع بإرادته واختياره، ما بطلت حجته بإرسال الرسل.

والواقع يشهد أن كل فاعل يحسُّ أنه يفعل الشيء أو يتركه بدون أي شعور بإكراه، فهو يقوم ويقعد ويدخل ويخرج ويسافر ويقيم بمحض إرادته، ولا يشعر بأن أحداً يكرهه على ذلك، بل يفرّق تفريقاً واقعيّاً بين أن يفعل الشيء باختياره وبين أن يكرهه عليه مكره. وكذلك فرّق الشرع بينهما تفريقاً حكيماً، فلم يؤاخذ الفاعل بما فعله مكرهاً عليه فيما يتعلق بحق الله تعالى.

⌑ ثالثاً: الإيمان بأنه لا حجة للعاصي على معصيته بقدر الله تعالى:

الإيمان بأنه لا حجة للعاصي على معصيته بقدر الله تعالى؛ لأن العاصي يقدم على المعصية باختياره، من غير أن يعلم أن الله تعالى قدّرها عليه، إذ لا يعلم أحد قدر الله تعالى إلا بعد وقوع مقدوره ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗا﴾ [لقمان: ٣٤]، فكيف يصح الاحتجاج بحجة لا يعلمها المحتجّ بها حين إقدامه على ما اعتذر بها عنه، وقد أبطل الله تعالى هذه الحجة بقوله: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾ [الأنعام:١٤٨].

ونقول للعاصي المحتج بالقدر: لماذا لم تقدم على الطاعة مقدراً أن الله تعالى قد كتبها لك، فإنه لا فرق بينها وبين المعصية في الجهل بالمقدور قبل صدور الفعل منك؟

ولهذا لما أخبر النبي ﷺ الصحابة بأن كل واحد قد كُتب مقعده من الجنة ومقعده من النار قالوا: أفلا نتكل وندع العمل؟ قال: **(لا، اعملوا فكلُ ميسر لما خُلق له)**[(١)].

ونقول للعاصي المحتج بالقدر: لو كنت تريد السفر لمكة وكان لها طريقان، أخبرك الصادق أن أحدهما مخوف صعب والثاني آمن سهل، فإنك ستسلك الثاني ولا يمكن أن تسلك الأول وتقول: إنه مقدر عليَّ، ولو فعلت لعدّك الناس في قسم المجانين.

ولو عرض عليك وظيفتان إحداهما ذات مرتب أكثر، فإنك سوف تعمل فيها دون الناقصة، فكيف تختار لنفسك في عمل الآخرة ما هو الأدنى ثم تحتجّ بالقدر؟

ونراك إذا أصبت بمرض جسمي طرقت باب كل طبيب لعلاجك، وصبرت على ما ينالك من ألم عملية الجراحة وعلى مرارة الدواء. فلماذا لا تفعل مثل ذلك في مرض قلبك بالمعاصي؟

٦- **الإيمان** بأن الشر لا ينسب إلى الله تعالى لكمال رحمته وحكمته، قال النبي ﷺ: **(والشر ليس إليك)**[(٢)].

فنفس قضاء الله تعالى ليس فيه شر أبداً، لأنه صادر عن رحمة وحكمة، وإنما يكون الشرُّ في مقتضياته، لقول النبي ﷺ في دعاء القنوت الذي علّمه الحسن: **(وقني شر ما قضيت)**[(٣)] فأضاف الشر إلى ما قضاه.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ (٤٩٤٩)، ومسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٢٦٤٧).

(٢) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه (٧٧١).

(٣) مسند أحمد ٣/ ٢٤٥ (١٧١٨) وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات، سنن ابن =

ومع هذا فإن الشر في المقتضيات ليس شرًّاً خالصاً محضاً، بل هو شر في محله من وجه، خير من وجه، أو شر في محله، خير في محل آخر.

فالفساد في الأرض من الجدب والمرض والفقر والخوف شر، لكنه خير في محل آخر، قال الله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم:٤١].

فقطع يد السارق ورجم الزاني شر بالنسبة للسارق والزاني في قطع يد السارق وإزهاق النفس، لكنه خير لهما من وجه آخر، حيث يكون كفارة لهما فلا يجمع لهما بين عقوبتي الدنيا والآخرة، وهو أيضاً خير في محل آخر، حيث إن فيه حماية الأموال والأعراض والأنساب.

رابعاً: ثمرات الإيمان بالقدر:

١- الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب؛ لأن السبب والمسبب كلاهما بقضاء الله وقدره.

٢- راحة النفس.. طمأنينة القلب؛ لأنه متى علم أن ذلك بقضاء الله تعالى، وأن المكروه كائن لا محالة، ارتاحت النفس واطمأن القلب ورضي بقضاء الرب، فلا أحد أطيب عيشاً وأربح نفساً وأقوى طمأنينة ممن آمن بالقدر.

٣- طرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد، لأن حصول ذلك نعمة من الله بما قدّره من أسباب الخير والنجاح، فيشكر الله تعالى على ذلك ويدع الإعجاب.

٤- طرد القلق والضجر عند فوات المراد أو حصول المكروه، لأن ذلك بقضاء

= ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنن فيها، باب ما جاء في القنوت في الوتر (١١٧٨).

الله تعالى الذي له ملك السماوات والأرض وهو كائن لا محالة، فيصبر على ذلك ويحتسب الأجر، وإلى هذا يشير الله تعالى بقوله: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد٢٢، ٢٣].

٥- القدر من أكبر الحوافز للعمل والنشاط والسعي بما يرضي الله في هذه الحياة، فالمؤمنون مأمورون بالأخذ بالأسباب مع التوكل على الله تعالى، والإيمان بأن الأسباب لا تعطي النتائج إلا بإذن الله، لأن الله هو الذي خلق الأسباب، وهو الذي خلق النتائج، قال النبي ﷺ: **(احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان)**[1].

٦- أن يَعْرِف الإنسان قَدْر نفسه، فلا يتكبر ولا يَبْطُر؛ لأنه عاجز عن معرفة المقدورِ، ومستقبل ما هو حادث، ومن ثم يقرّ الإنسان بعجزه وحاجته إلى ربه تعالى دائماً، فالإنسان إذا أصابه الخير بَطَر واغتر به، وإذا أصابه الشر والمصيبة جزع وحزن، ولا يعصم الإنسان من البطر والطغيان إذا أصابه الخير، والحزن إذا أصابه الشر، إلا الإيمان بالقدر، وأن ما وقع فقد جرت به المقادير، وسبق به علم الله.

٧- أنه يقضي على رذيلة الحسد، فالمؤمن لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله؛ لأن الله هو الذي رزقهم وقدّر لهم ذلك، وهو يعلم أنه حين يحسد غيره إنما يعترض على قدر الله وقضائه.

٨- الإيمان بالقدر يبعث في القلوب الشجاعة على مواجهة الشدائد، ويقوي فيها

---

(١) صحيح مسلم كتاب القدر باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله (٢٦٦٤).

العزائم، لأنها توقن أن الآجال والأرزاق مقدرة وأنه لن يصيب الإنسان إلا ما كتب له.

٩- الإيمان بالقدر يغرس في نفس المؤمن حقائق الإيمان المتعددة، فهو دائم الاستعانة بالله، يعتمد على الله ويتوكل عليه مع فعل الأسباب، وهو أيضاً دائم الافتقار إلى ربه تعالى يستمد منه العون على الثبات.

١٠- الإيمان بالقدر يبعث الاطمئنان في النفس، فيعلم المؤمن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

المبحث الثالث

بيان شعب الإيمان

هذا الأمر من المعالم المهمة جدًّا في بيان تعاليم الإسلام، حيث إن من خلاله تتبين شمولية هذا الدين ودخول كل أعمال العباد في الإيمان.

أصل هذا الأمر ما ثبت عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قوله: قال رسول الله ﷺ: **(الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان)**(١).

وفي رواية: **(الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان)**(٢).

قوله: **(بضع)** ما بين اثنين إلى عشرة. **(ستون)** عند مسلم **(سبعون)** ولا تعارض بين الروايتين قال النووي: فإن العرب قد تذكر للشيء عدداً ولا تريد في نفي ما سواه، **(شعبة)** خصلة والشعبة واحدة الشعب وهي أغصان الشجرة وهو تشبيه للإيمان وخصاله بشجرة ذات أغصان لا تتكامل ثمرتها إلا بتوفر كامل أغصانها. **(الحياء)** صفة في النفس تحمل على فعل ما يحمد وترك ما يذم عليه ويعاب(٣).

وقد اعتنى الأئمة بهذا الحديث واعتبروه أصلاً لإدخال الطاعات في الإيمان وعدوها من شعبه وألفوا في ذلك بعض المصنفات(٤).

---

(١) صحيح مسلم، في كتاب الإيمان، الحديث (٣٥).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان (٩).

(٣) ينظر: تعليق مصطفى البغا على الحديث في صحيح البخاري، وينظر: شرح النووي على مسلم ٢/ ٤.

(٤) من تلك المؤلفات وأغزرها المنهاج في شعب الإيمان للإمام أبي عبد الله الحليمي، واختصره الإمام البيهقي في كتاب لجامع لشعب الإيمان مع عنايته بالأسانيد خلافاً للحليمي، واختصر كتاب البيهقي الإمام القزويني.=

ونبرز ذلك في المطالب التالية:

المطلب الأول

أقوال العلماء في تعداد شعب الإيمان

قال أبو حاتم بن حبان: «تتبعت معنى هذا الحديث مدة وعددت الطاعات فإذا هي تزيد على العدد شيئاً كثيراً، فرجعت إلى السنن فعددت كل طاعة عدها رسول الله ﷺ من الإيمان فإذا هي تنقص عن البضع والسبعين، فرجعت إلى كتاب الله فقرأته بالتدبر وعددت كل طاعة عدها الله تعالى من الإيمان فإذا هي تنقص عن البضع والسبعين، فضممت الكتاب إلى السنن وأسقطت المعاد فإذا هي كل شيء عده الله تعالى ونبيه ﷺ من الإيمان تسع وسبعين شعبة لا يزيد عليها ولا تنقص فعلمت أن مراد النبي ﷺ في الكتاب والسنن»(١).

وعدها الحافظ ابن حجر فقال: «هذه الشعب تتفرع عن أعمال القلب، وأعمال اللسان، وأعمال البدن:

فأعمال القلب فيه المعتقدات والنيات وتشتمل على أربع وعشرين خصلة ثم ذكرها.

وأعمال اللسان وتشتمل على سبع خصال ثم ذكرها.

= وممن اعتنى بحصر شعب الإيمان الإمام اللالكائي فقد ذكر في كتابه (شرح أصول اعتقاد أهل السنة) اثنتين وسبعين خصلة من خصال الإيمان وذكر تحت كل خصلة ما يناسبها من الأحاديث، وعد الإمام ابن بطة في الإيمان سبعين شعبة سرداً دون ذكر أدلتها.

(١) شرح النووي على مسلم ٢/ ٥.

وأعمال البدن وتشتمل على ثمان وثلاثين خصلة ثم ذكرها.

إلى أن قال: فهذه تسع وستون خصلة ويمكن عدها تسعاً وسبعين خصلة باعتبار أفراد ما ضم بعضه إلى بعض مما ذكر»[١].

ويقول القاضي عياض: «وبقي بين هذين الطرفين - أي الشهادتان وإماطة الأذى - أعداد لو تكلف المجتهد تحصيلها بغلبة الظن وشدة التتبع لأمكنه وقد فعل ذلك بعض من تقدم، وفي الحكم بأن ذلك مراد النبي ﷺ صعوبة، ثم إنه لا يلزم معرفة أعيانها، ولا يقدح جهل ذلك في الإيمان، إذ أصول الإيمان وفروعه معلومة محققة والإيمان بأنها هذا العدد واجب في الجملة»[٢].

ويقول ابن القيم: «الإيمان أصل له شعب متعددة، وكل شعبة تسمى إيماناً، فالصلاة من الإيمان، وكذلك الزكاة والحج والصوم، والأعمال الباطنة كالحياء والتوكل.. وهذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزوالها كشعبة الشهادة، ومنها ما لا يزول بزوالها كترك إماطة الأذى عن الطريق، وبينهما شعب متفاوتة تفاوتاً عظيماً، منها ما يلحق بشعبة الشهادة، ويكون إليها أقرب، ومنها ما يلحق بشعبة إماطة الأذى، ويكون إليها أقرب، وكذلك الكفر ذو أصل وشعب، فكما أن شعب الإيمان إيمان، فشعب الكفر كفر، والحياء شعبة من الإيمان، وقلة الحياء شعبة من شعب الكفر، والصدق شعبة من شعب الإيمان، والكذب شعبة من شعب الكفر... والمعاصي كلها من شعب الكفر، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان.

---

(١) فتح الباري ١/ ٥٢.

(٢) شرح النووي على مسلم ٢/ ٤.

وشعب الإيمان قسمان: قولية وفعلية، وكذلك شعب الكفر نوعان: قولية وفعلية.

ومن شعب الإيمان القولية شعب يوجب زوالها زوال الإيمان، فكذلك من شعبه الفعلية ما يوجب زوالها زوال الإيمان، وكذلك شعب الكفر القولية والفعلية.

فكما يكفر بالإتيان بكلمة الكفر اختياراً – وهي شعبة من شعب الكفر – فكذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه كالسجود للصنم، والاستهانة بالمصحف، فهذا أصل»[١].

المطلب الثاني

نماذج لشعب الإيمان

من نماذج شعب الإيمان ما ذكره الإمام البخاري في صحيحه بقوله: باب أمور الإيمان وقول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وهذه الآية من أجمع الآيات في ذكر شعب الإيمان فقد ذكر الله تعالى فيها من شعب الإيمان:

١- الإيمان بالله. ٢- الإيمان باليوم الآخر.

---

(١) الصلاة وأحكام تاركها ص٥٥ – ٥٦.

٣- الإيمان بالملائكة.　　٤- الإيمان بالكتب.

٥- الإيمان بالنبيين.

٦- صرف المال في الصدقات بطيب النفس وحبًّا في حصول الأجر والثواب على الأصناف الستة المذكورة في الآية.

٧- إقامة الصلاة.　　٨- إيتاء الزكاة.

٩- الوفاء بالعهد.

١٠- الصبر في البأساء والضراء وحين البأس.

وكذلك ما جاء في قول الله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١ - ١١].

وفي هذه الآية ذكر الله تعالى مجموعة من شعب الإيمان القولية والفعلية وهي:

١- الخشوع في الصلاة.　　٢- الإعراض عن اللغو.

٣- إيتاء الزكاة.　　٣- حفظ الفروج.

٤- رعاية الأمانة وحفظها.　　٥- الوفاء بالعهد. المحافظة على الصلوات.

وكذلك ما جاء في سورة المعارج: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ [المعارج: ١٩ - ٣٥].

والشعب المذكورة في هذه الآية هي:

١- المواظبة على أداء الصلاة. ٢- إخراج الصدقة.

٣- الإيمان بيوم القيامة. ٤- الخوف من عذاب الله.

٥- حفظ الفروج عما حرمه الله. ٦- حفظ الأمانة.

٦- الصدق في الشهادة. ٧- المحافظة على إقامة الصلاة.

وكذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢].

والشعب المذكورة في هذه الآية هي:

١- التوبة. ٢- العبودية. ٣- الحمد.

٤- السياحة. ٥- الركوع والسجود.

٦- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٦- حفظ حدود الله.

وكذلك ما ورد في صفات عباد الرحمن في سورة الفرقان، ووصايا سورة الأنعام، ووصايا سورة الإسراء، ووصايا لقمان لابنه.. والآيات في ذلك كثيرة.

الفصل الخامس

إظهار محاسن الإسلام

ويتضمن أحد عشر مبحثاً:

- **المبحث الأول**: محاسن التشريع الاعتقادي في الإسلام.
- **المبحث الثاني**: محاسن التشريع التعبدي في الإسلام.
- **المبحث الثالث**: محاسن التشريع الأخلاقي في الإسلام.
- **المبحث الرابع**: محاسن التشريع الاقتصادي في الإسلام.
- **المبحث الخامس**: محاسن التشريع القضائي في الإسلام.
- **المبحث السادس**: محاسن التشريع الاجتماعي في الإسلام.
- **المبحث السابع**: محاسن تشريع العلاقات الزوجية في الإسلام.
- **المبحث الثامن**: محاسن التشريع السياسي في الإسلام.
- **المبحث التاسع**: محاسن تشريع العناية بالعلوم الإنسانية والدنيوية في الإسلام.
- **المبحث العاشر**: محاسن تشريع الجهاد في الإسلام.
- **المبحث الحادي عشر**: محاسن تشريع الحدود في الإسلام.

مدخل:

إن الحديث عن محاسن الدين الإسلامي هو حديث عن مظاهر رحمة الله بعباده، إذ شرع لهم من الدين أحكاماً وآداباً يسيرة وسمحة وكلها حُسن وحِكمةٌ بالغةٌ.

وهذا باب مهم لإبراز الوجه الناصع لديننا الحنيف، فهو باب كبير عظيم النفع في إيصال رسالة الإسلام.

وليس من السهل على أي أحد أن يبين محاسن الإسلام، ولا أن يعدد جوانب الإحسان فيه، لأن الإسلام شريعة الإحسان كما قال ﷺ: **(إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ..)**[(١)].

فليس المقصد هنا الاستيعاب، بل إظهار الفكرة بمجموعة من الأمثلة فقط[(٢)]، فسنحاول عرض أصول محاسن الإسلام التي يلزم الداعية أن يلم بها، حيث إن محاسن هذا الدين لا يكفيها كتاب واحد ولا حتى عدة مجلدات، ولكنها تحتاج إلى كثير من الكتب والرسائل المتخصصة.

(١) صحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح..، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل، وتحديد الشفرة (١٩٥٥).

(٢) عقد القرطبي في كتابه: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام فصلاً في بيان جمل من هذه المحاسن ومقارنتها بالنصرانية، وقد كتبت فيه مجموعة من الأبحاث الموسعة والمختصرة التي يمكن أن تكون مرجعاً للتوسع في هذا الجانب، ومن ذلك: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية، وهداية الحيارى لابن القيم، ونماذج مختارة في محاسن الإسلام من هدي خير الأنام للشيخ محمد بن علي العرفج، لمحات من محاسن الإسلام للشيخ محمد بن علي العرفج، ومحاسن الشريعة ومساوئ القوانين الوضعية، للشيخ عطية بن محمد سالم، والدرة المختصرة في محاسن الدين الإسلامي ورتبها تاريخيًّا، الشيخ عبدالرحمن السعدي، وموسوعةُ محاسِنِ الإسلام ورَدِّ شُبُهاتِ اللِّئام د. أحمد بن سليمان أيوب ونخبة من الباحثين إشراف: د. سليمان الدريع وغيرها.

«ولكن ينبغي التأكيد على:

١- أن بيان محاسن الدين يعتبر وسيلة لتبليغ المقصد الرئيس والرسالة الأولى للرسل عليهم السلام وهي توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة ولذا فينبغي ألا يستغرق فيها المعَرِّف بالإسلام فتشغله عن تقرير الإيمان بالله تعالى أولاً.

٢- المبالغة الشديدة في بعض القضايا والمفاهيم الصحيحة قد يحدث اضطراباً في فهم الإسلام لدى المتلقي، فينظر إليه من زاوية واحدة برؤية منقوصة تؤثر في قبوله للإسلام أو في امتثاله شرع الله فيما بعد»[(١)].

٣- على كل داعية التخصص في مجال من مجالات العلم الشرعي، أو العلوم الإنسانية والاجتماعية، وأن يلم بمحاسن الإسلام في التخصص الذي سيقوم عليه.

◈ تمهيد: أهمية إبراز محاسن الإسلام:

من معالم الدعوة الأساسية عرض محاسن الإسلام، التي تلاقي قبولاً واهتماماً لدى المخاطبين؛ لأهميتها في حياتهم، أو لمعاناةٍ من فقدها، مثل: التركيز على عناية الإسلام بالأسرة؛ في المجتمعات المتفككة أسريًّا، والتأكيد على مكانة المرأة في الإسلام مقابل المجتمعات التي جعلتها سلعة رخيصة، أو التأكيد على عدل الإسلام أو عنايته بالبيئة أو نظامه الاقتصادي، فلا بد من مراعاة المداخل الأعظم تأثيراً في قلوب الناس واهتماماتهم وثقافاتهم[(٢)].

إن الحديث عن محاسن الدين الإسلامي هو حديث عن مظاهر رحمة الله

(١) ينظر: دليل الداعية الفقهي، د. عبدالله باهمام ص٧٣- ٧٤ باختصار وتصرف يسير.

(٢) ينظر: دليل الداعية الفقهي، د. عبدالله باهمام ص٧٣.

بعباده، وعرض إجمالي للدين بصورته الواضحة، إذ شرع لهم من الدين أحكاماً وآداباً يسيرة وسمحة وكلها حُسنٌ وحكمة بالغة، ولذلك امتنّ الله على المؤمنين بهذه المنة العظيمة إذ يقول: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وإن إبراز هذه المحاسن للمسلمين: يثبتهم ويزيد في إيمانهم، ولغير المسلمين: من أعظم الوسائل في دعوتهم للإسلام، وأهمية ذلك في الأمور التالية:

❍ أولاً: يظهر كمال الدين:

فيظهر من خلال عرض محاسن الإسلام أن دين الإسلام الذي جاء به محمّد ﷺ هو أكمل الأديان وأفضلها، وقد حوى من المحاسن والكمال والرحمة ما يشهد لله ﷻ بالكمال المطلق، وسعة العلم والحكمة، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤] ويشهد كذلك لرسوله ﷺ أنه رسول الله حقّاً، وأنه ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ - ٤].

❍ ثانياً: تحبيب الخلق في الإسلام:

فعرض محاسن الإسلام يجذب الخلق ويحببهم إلى هذا الدين، ذي المحاسن الجمة، والتي لم ترق إليها البشرية إلا في ظلّ دين الإسلام، وذلك لما يرون من موافقته للمصالح الدينية والدنيوية، ولما فيه من الواقعية والوسطية واليسر، الذي جعله ديناً يوافق الفطرة السليمة ويسعى للرقي بها وإبعادها عن الانتكاسة، حيث إن الوعي والإدراك لمحاسن هذا الدين من الوسائل المثبتة والمؤنسة في طريق الهداية.

❍ ثالثاً: يغني عن التعرض للرد على الشبهات:

البيان والإبراز لهذه المحاسن يغني عن التعرض لدفع شبه المعارضين ابتداءً، والطعن في أديان المخالفين، فعند ظهور الحق يضمحل الباطل، وإذا أحييت سنة ماتت بدعة، وإذا علم وعمل الناس بالمعروف وساد بينهم اختفى المنكر، قال تعالى: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١].

❍ رابعاً: يزيل الحواجز النفسية بين الناس والإسلام:

فإظهار محاسن الدين الإسلامي يزيل الحواجز النفسية والثقافية التي تكتنف نظرة الغرب وغيرهم إلى الإسلام والمسلمين، هذه الحواجز التي تعود أسبابها بالدرجة الأولى إلى عدم فهم الطرف الآخر فهماً صحيحاً؛ ومثقفو الغرب والشرق وعوامّهم لم تسنح لهم الفرصة الكاملة لفهم الدين الإسلامي عقيدةً وشريعةً بسبب تقصير المسلمين في البيان، وبسبب تقصيرهم في البحث والاستقصاء، ولهذا يأتي دائماً حكمهم على الإسلام حكماً جائراً لا يقوم على العلم والعقل والمنطق؛ مما يستدعي المعرفة الصحيحة والفهم الدقيق؛ إذ الحكم على الشيء فرع عن تصوره، ولو بنيت أحكام المخالفين للإسلام على الإسلام والمسلمين وفق هذا المنهج العلمي لما صدرت منهم تلك الاتهامات الشنيعة للإسلام بأنه دين لا يعرف حقوق الإنسان ومنها حقوق المرأة، وأنه دين إرهاب وترويع للآمنين؛ وأن المسلمين أمة من الهمج التي تعشق الدماء وتتنكر للمدنية والحضارة!

❍ خامساً: خطورة الإخلال في عرض محاسن الدين:

الإخلال في بيان محاسن الإسلام ينتج عنه خسارة كبيرة، ويتسبب في حرمان

العالم من خير عظيم، هم في أمسّ الحاجة إليه، وهم يتلمسون المخرج من مشاكلهم العويصة التي يرزحون تحت نيرانها وقسوتها من الخواء: الروحي، والتفكك الأسري، وانعدام الأمن، وشيوع الفواحش والمنكرات التي حيّرت العقلاء منهم[١]!

○ سادساً: كل من كان أعرف بالدين كان له أقرب:

«أن الناس يتفاوتون في الإيمان وكماله تفاوتاً عظيماً، وكلما كان العبد أعرف بهذا الدين وأشد تعظيماً له وسروراً به وابتهاجاً، كان أكمل إيماناً وأصح يقيناً، فإنه برهان على جميع أصول الإيمان وقواعده.

فمن أكبر وسائل الدعوة إلى دين الإسلام شرح ما احتوى عليه من المحاسن التي يقبلها ويتقبلها كل صاحب عقل وفطرة سليمة، فلو تصدى للدعوة إلى هذا الدين رجال يشرحون حقائقه ويبينون للخلق مصالحه لكان ذلك كافياً كفاية تامة في جذب الخلق إليه لما يرون من موافقته للمصالح الدينية والدنيوية، ولصلاح الظاهر والباطن من غير حاجة إلى التعرض لدفع شبه المعارضين والطعن في أديان المخالفين، فإنه في نفسه يدفع كل شبهة تعارضه؛ لأنه حق مقرون بالبيان الواضح، والبراهين الموصلة إلى اليقين، فإذا كشف عن بعض حقائق هذا الدين صار أكبر داع إلى قبوله ورجحانه على غيره»[٢].

وأخيراً: قال الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فعلى جميع الأمة حكماء وعلماء وتجار وغيرهم أن يبلغوا عن الله وعن رسوله ﷺ هذا الدين، وأن يشرحوه للناس

---

(١) ينظر: بحث بعنوان بيان محاسن الإسلام ودوره في بناء الجسور الثقافية بين العالم الإسلامي والغرب بحث مقدّم للمؤتمر العالمي عن العالم الإسلامي والغرب: الحواجز والجسور، إعداد: د. أحمد بن عثمان المزيد، أستاذ مساعد بقسم الثقافة الإسلامية كلية التربية، جامعة الملك سعود.

(٢) محاسن الدين الإسلامي- د. أمين بن عبدالله الشقاوي- مقال منشور على شبكة الألوكة.

بشتى اللغات الحية المستعملة بأساليب واضحة، وأن يشرحوا محاسن الإسلام وحكمه وفوائده وحقيقته حتى يعرفه أعداؤه، وحتى يعرفه الجاهلون فيه، وحتى يعرفه الراغبون فيه»[١]... «والله لو عرفه الناس اليوم، ولو عرفه العالم على حقيقته لدخلوا فيه أفواجاً اليوم، كما دخلوا فيه أفواجاً بعدما فتح الله على نبيه ﷺ مكة»[٢].

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل للشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله (٢/ ٤٥٣).

(٢) كلمة في المؤتمر الأول للدعوة والدعاة المنعقد في المدينة النبوية عام ١٣٩٧هـ

المبحث الأول

محاسن التشريع الاعتقادي في الإسلام

لا شك أن أهم ما يميز الإسلام عن المناهج الأخرى هو تلك العقيدة الصافية التي أظلت الإنسانية، واحتضنت النفس البشرية وأفاضت على من يلتحم بها ما يستريح به الضمير وتسكن به النفس، حيث يجد ذلك التفسير المتفرد الحكيم لحقيقة الكون والحياة مما يجعله يمارس نشاطه في الحياة بانسيابية وتوازن وانسجام بين الروح والمادة.

ويمكن إجمال محاسن الإسلام في الجانب العقدي في النقاط التالية[1]:

◈ أولاً: العقيدة في الإسلام توقيفية غيبية:

فعقيدة الإسلام موقوفة على كتاب الله، وما صح من سنة رسوله محمد ﷺ فليست محلاً للاجتهاد؛ لأن مصادرها توقيفية، وذلك أن العقيدة الصحيحة لابد فيها من اليقين الجازم، فلابد أن تكون مصادرها مجزوماً بصحتها، وهذا لا يوجد إلا في كتاب الله وما صح من سنة رسوله ﷺ.

وعليه فإن جميع المصادر الظنية، كالقياس والعقل البشري لا يصح أن تكون مصدراً للعقيدة، فمن جعل شيئاً منها مصدراً للعقيدة فقد جانب الصواب، وجعل العقيدة محلاً للاجتهاد الذي يخطئ ويصيب.

(١) ينظر: ملخص من دروس العقيدة في الأكاديمية الإسلامية المفتوحة للمستوى الثالث، تأليف: أ.د. ناصر بن عبدالكريم العقل، بتصرف. والعقيدة وأثرها في بناء الجيل، لعبدالله عزام ١/ ٤٤-٥٢. ومقال بعنوان: خصائص العقيدة الإسلامية، أ. د. عبدالله بن عبدالعزيز الجبرين. وبحث علمي بعنوان: محاسن العقيد الإسلامية، لأحمد بن عثمان المزيد، منشور في مجلة الدراسات الإسلامية، في جامعة الملك سعود.

وغيبية بمعنى أنها في أصولها ومنطلقاتها غيبية، قد يكون فيها بعض الجوانب التي يدركها الإنسان بعقله السليم وفطرته لكنه إدراك إجمالي، وتبقى بعض أصولها وتفاصيلها غيبية.

◈ ثانياً: السهولة والوضوح:

فهي عقيدة سهلة واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، فلا لبس فيها، ولا غموض، ولا تعقيد ليس فيها ألغاز، ولا فلسفات؛ فألفاظها واضحة، ومعانيها بينة، يفهمها العالم والعامي، والصغير والكبير، لاستمدادها من الكتاب والسنة.

فهي موافقة للفطرة القويمة، والعقل السليم، وسليمة من الاضطراب والتناقض واللبس، فالحق لا يضطرب، ولا يتناقض، ولا يلتبس، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وقد تأتي بما تحار العقول فيه وتحتاج للنظر فيه أكثر من مرة، ولكن لا تأتي بالمحال: ففي العقيدة الإسلامية ما يبهر العقول، وما قد تحار فيه الأفهام، كسائر أمور الغيب؛ من عذاب القبر ونعيمه، والصراط، والحوض، والجنة والنار، وكيفية صفات الله ﷻ، فالعقول تحار في فهم حقيقة هذه الأمور، وكيفياتها، ولكنها لا تحيلها بل تسلِّم لذلك، وتنقاد، وتذعن؛ لأن ذلك صدر عن الوحي المنزل، الذي لا ينطق عن الهوى.

◈ ثالثاً: لا إكراه في الدين:

ذكر العلماء في سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦] أنه كان لرجل من الأنصار من بني سالم بن عوف ابنان، فتنصرا قبل أن يبعث النبي ﷺ، ثم قدما المدينة في نفر من النصارى يحملون الطعام، فأتاهما أبوهما، فلزمهما وقال: والله لا أدعكما حتى تسلما، فأبيا أن يسلما، فاختصموا إلى رسول الله ﷺ، فقال:

يا رسول الله، أيدخل بعضي النار وأنا أنظر؟ فأنزل الله ﷻ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ فخلى سبيلهما[١].

قال ابن كثير: «لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام فإنه بيِّنٌ واضحٌ جليٌّ دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يُكْرَهَ أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرهاً مقسوراً»[٢].

ويشهد لهذه الآية كذلك قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ [الكهف: ٢٩]. فالإسلام لا يكره أحداً على الدخول فيه، ودعوة الإسلام تكمن في بيان منهجه والاقتناع به وإفساح الطريق للناس أن يتعرفوا عليه ثم يترك القرار بعدها للناس ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ ويحاسبهم على ما قرروا.

يقول جوستاف ليبون[٣]: «إن القوة لم تكن عاملاً في انتشار القرآن، فقد ترك العرب المغلوبين أحراراً في أديانهم.. فإذا حدث أن انتحل بعض الشعوب النصرانية الإسلام واتخذ العربية لغة له؛ فذلك لما كان يتصف به العرب الغالبون من ضروب العدل الذي لم يكن للناس عهد بمثله، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم تعرفها الأديان الأخرى»[٤].

---

(١) أسباب النزول للواحدي ص٤٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٣١٠.

(٣) جوستاف لوبون: (توفي١٩٣١م) طبيب ومؤرخ فرنسي، عمل في أوروبا وآسيا وشمال أفريقيا، كتب في علم الآثار، وعني بالحضارة الشرقية، وألف عام ١٨٨٤ كتاب حضارة العرب الذي جمع فيه عناصر عديدة ممَّا أثرت به الحضارة العربية على العالم، وبحث في قيام دولتهم وأسباب عظمتها وانحطاطها. ينظر: ترجمته على موقع وكيبيديا.

(٤) حضارة العرب، جوستاف ليبون، ص١٢٧.

رابعاً: لا واسطة بين الإنسان وربه:

«أعطت كثير من الديانات لبعض الأفراد مزية دينية على غيرهم، وربطت عبادات الناس وإيمانهم برضى أولئك الأفراد وموافقتهم، فهم -بحسب تلك الديانات- الوسطاء بينهم وبين الإله، وهم من يمنح المغفرة، وربما يعلم الغيب -كما هي دعواهم الباطلة- ومخالفتهم سبب الخسران المبين. فجاء الإسلام وكرم الإنسان وأعلى قدره، وأبطل أن تكون سعادة البشرية أو توبتها أو عبادتها مربوطة بأشخاص معينين مهما بلغوا من الفضل والصلاح»[(١)].

أما العقيدة في الإسلام فإنها تقوم على العلاقة المباشرة بين العبد وربه من غير واسطة، فيسأل العبد ربه ما يريد في أي وقت وفي أي مكان وعلى أي حال، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]

وعندما يذنب فهو ليس بحاجة إلى أن يعترف لراهب أو قسيس أو غيرهما بذنوبه التي ارتكبها، أو يطلب منه صك الغفران، وإنما يطلب المغفرة من الله الغفور الرحيم من غير واسطة.

خامساً: تحقيق الكرامة الإنسانية وتحرره من الظلم:

العقيدة الإسلامية تحرير الإنسان من عبودية الإنسان والهوى فيخلص في عبادته لله رب العالمين. قال ربعي بن عامر رضي الله عنه بين يدي رستم قائد جيوش الفرس: «إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله»[(٢)].

«إن الدينونة لله بالتوحيد تحرر البشر من الدينونة لغيره، وتخرج الناس من عبادة

---

(١) دليل المسلم الجديد، فهد باهمام، ص٢٠.

(٢) تقدم تخريجها ص ٢٠.

العباد إلى عبادة الله وحده، وبذلك تحقق للإنسان كرامته وحريته الحقيقية، هذه الحرية وتلك اللتان يستحيل ضمانهما في ظل أي منهج آخر غير المنهج الإسلامي يدين فيه الناس بعضهم لبعض بالعبودية، في صورة من صورها الكثيرة.. ولأجل هذا قام الإسلام بمحاربة كل أصناف العبودية لغير الله، وسعى إلى التضييق على منابعها، وسد ذرائعها؛ حتى يمكن للإنسان أن يحقق الاستقلال والتحرر الكامل من كل صنوف الاستعباد التي أضرت بعقله وروحه وأفسدت عليه علاقته بربه»[١].

◈ سادساً: إقرار أخوة أنبياء الله ورسله جميعاً:

العقيدة الإسلامية توجب احترام وتوقير المسلمين لسائر الأنبياء والرسل والكتب، بل تجعل ذلك من أركان الإيمان، وهي: **(أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره)**[٢].

وخاصة مكانة موسى وعيسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عند المسلمين، فقد ورد ذكر موسى صريحا في القرآن ١٣٦ مرة، واسم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ثماني عشرة مرة.

فالمسلمون يؤمنون بجميع الأنبياء والرسل الذين جاء ذكرهم في القرآن الكريم وفي سنة النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فقد كانت دعوة جميع الأنبياء بما فيهم إبراهيم وموسى وداود وعيسى ومحمد -عليهم الصلاة والسلام- واحدة، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]. والذي أرسل محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الذي أرسل سائر الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ فالإيمان بهم واجب، وحبهم دين، والإيمان بما أنزل إليهم من كتب عقيدة ثابتة في الإسلام.

والقرآن أنزل مصدقاً لجميع الكتب السماوية، ومهيمناً عليها ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ

---

(١) فضاءات الحرية لسلطان العميري ص ١١٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان (١).

﴿ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ ﴾ [المائدة: ٤٨] «فما شهد له القرآن بالصدق فهو المقبول، وما شهد له بالرد فهو مردود، قد دخله التحريف والتبديل»[١].

◈ سابعاً: وسط لا إفراط فيها ولا تفريط:

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، فهي مثلاً:

وسط في عقيدتها في عيسى ابن مريم عليه السلام بين تقصير اليهود وطعنهم وغلو النصارى وإطرائهم، فاليهود يقولون: هو ولد زنا، ويقولون عن مريم: إنها بغي. قال تعالى: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾ [مريم: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿ وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا ﴾ [النساء: ١٥٦].

والنصارى يقولون: هو الله، كما قال تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ﴾[المائدة: ١٧]، ويقولون أيضاً: هو ابن الله، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ﴾[التوبة: ٣٠].

وأما المسلمون فيقولون: هو عبدالله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، وروح منه، وهو وجيه في الدنيا والآخرة، ومن المقربين، ويصفونه بما وصفه الله به في كتابه، لا يغلون فيه غلو النصارى، ولا يقصرون في حقه تقصير اليهود، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ ﴾[النساء: ١٧١].

فهذا بعض ما تيسر ذكره من محاسن العقيدة الإسلامية العظيمة.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٢٣٤.

المبحث الثاني

محاسن التشريع التعبدي في الإسلام

للتشريع التعبدي في الإسلامي محاسن كثيرة، يمكن إبرازها في النقاط التالية[(١)]:

◈ أولاً: شمولية معنى العبادة في الإسلام:

للعبادة في الإسلام مفهوم شامل لكل حياة المسلم، والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢] ويوضح هذا المفهوم الشامل ما ثبت من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قالوا: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم. قال: فقال رسول الله ﷺ: **(أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون، إن بكل تسبيحة صدقة، وبكل تحميدة صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة)** قال: قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته يكون له فيها أجر؟ قال: **(أرأيتم لو وضعها في الحرام، أكان عليه فيها وزر؟ وكذلك إذا وضعها في الحلال، كان له فيها أجر)**[(٢)].

يقول شيخ الإسلام: «العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة. فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن

---

(١) للاستزادة حول هذا الموضوع ينظر: رسالة ماجستير بعنوان مقاصد العبادة في القرآن د. يوسف خليفة، ورسالة ماجستير بعنوان مقاصد المعاملات في الإسلام د. أبو بكر فوزي، و حكمة العبادات – الشيخ عبدالله جوادي آملي، والحكمة في التشريع الإسلامي –العبادات نموذج– د. يونس حسن عبدالرزاق.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (١٠٠٦).

المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة.

وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف من عذابه وأمثال ذلك هي من العبادة لله»[١].

فمفهوم العبادة في الإسلام أوسع مما يتصوره بعض من لم يتعرّف على حقيقة الأوامر التعبدية التي جاء بها الإسلام.

◈ ثانياً: من محاسن الإسلام في تشريع الصلاة:

الصلاة في الإسلام علاقة بين العبد وبين الخالق العظيم في علوّه، فلا وساطة من بشر وغيره، أثرها يعود على الخُلق، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وهي مذهبة للهمّ والغمّ، وأنها ملجأ وملاذ للمؤمنين عند الفزع فقد كان، ﷺ، يقول: (يا بلال أقم الصلاة، أرحنا بها)[٢].

وهي من أكبر ما يعين العبد على أمور دينه ودنياه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣].

وفي تأديتها جماعة يحصل التعارف والتواصل بين المؤمنين، وفي فرضها مراعاة

(١) مجموع الفتاوى ٢/ ٣٦١.

(٢) سنن أبي داوود، كتاب الأدب، باب صلاة العتمة (٤٩٨٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٨٩٢).

لظروف الناس الطارئة كالسفر والمرض والمطر الشديد، حيث تنقص ركعاتها أو بعض هيئاتها.

وأثبتت بعض الدراسات الطبية دور الصلاة في علاج بعض الأمراض كدوالي الساقين، وتآكل المفاصل والصداع(١).

◈ ثالثاً: من محاسن الإسلام في تشريع الزكاة:

الزكاة من أعظم أنظمة التكافل والتضامن الاجتماعي في الإسلام، حيث مواساة الغني للفقير ومن في حكمه من المستحقين للزكاة الذين جاء تحديدهم في القرآن الكريم حتى لا يأتي أحد ويمنع صنفاً منهم من حقه الذي أوجبه الله تعالى له؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ﴾ [التوبة:٦٠].

وفي الزكاة تزكية للنفس من الشح والبخل، وتطهر القلب من حب الدنيا، وفيها التخلق بأخلاق الكرام من الجود والسخاء، قال الله تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣].

وفيها إذهاب لما قد يكون في نفوس الفقراء والمحرومين للأغنياء من حقد أو حسد. وهي وسط بين الاشتراكية المجحفة والرأسمالية المتطرفة.

◈ رابعاً: من محاسن الإسلام في تشريع الصيام:

الصيام في الإسلام نظام يربي المسلم على الصبر على شهوتي البطن والفرج بالامتناع عن الأكل والشرب، والعلاقات الجنسية بين الزوج وزوجته، ففيه تمرين

(١) ينظر: كتاب الاستشفاء بالصلاة. د. زهير رابح ص (٩٨) و(١٢٥) وغيرها.

للنفس على قوة العزيمة والصبر، وتقوية لدواعي الإخلاص لأنه ما من أحد يطلع عليه إلا الله.

كما يتأكد في الصوم التربية على الامتناع عن الأخلاق السيئة من إيذاء الناس بالكلام أو بالبطش أو غيره؛ ويقوّي في النفس صفة الحِلم والصفح، قال ﷺ: **(إذا أصبح أحدكم يوماً صائماً، فلا يرفث ولا يجهل، فإن امرؤ شاتمه أو قاتله، فليقل: إني صائم، إني صائم)**[١].

والصيام يبعث في الإنسان فضيلة الرحمة بالفقراء والإحساس بهم وبحاجتهم، وهو مدعاة للوحدة بين المسلمين، حيث يصومه كل المسلمين في وقت واحد هو شهر رمضان من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

وأثبتت بعض الدراسات أن للصيام دوراً في علاج كثير من الأمراض، وخصوصاً ما يتعلق بالسمنة والجهاز الهضمي والكبد[٢].

◈ خامساً: من محاسن الإسلام في تشريع الحجّ:

في الحج إبراز لمعنى العبودية والاستسلام المطلق لله تعالى، وتصفية النفس وتعويدها على البذل والإنفاق، وترك الزينة والخيلاء، وشعور المرء بمساواته لغيره فلا ملك ولا مملوك ولا غني ولا فقير بل الكل هناك سواء.

وفي الحج التعرّف على أحوال المسلمين وحاجاتهم الخاصة والعامة، وفي الحج توطين النفس على فراق الأهل والولد، والتذكير بالموت والحشر.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب حفظ اللسان للصائم (١١٥١).

(٢) ينظر كتاب: الصيام معجزة علمية، د. عبدالجواد الصاوي ص ١٤٢- ١٤٥، وكتاب الإعجاز الطبي في الصيام د. عبدالباسط محمد سيد.

وفي الحج تربية للمسلم على التوازن في حياته، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ﴾ [البقرة: ١٩٨] وكذلك التربية على الالتزام والانضباط والنظام، فمواقيت العبادة في الحج منضبطة فلا يمكن أن يؤخر بعضها ولا يقدمها[١].

فهذه بعض محاسن التشريع الإسلامي في الجوانب التعبدية.

---

(١) للاستزادة ينظر كتاب: وقفات تربوية في آيات الحج أ.د محمد بن عبدالعزيز العواجي.

المبحث الثالث

محاسن التشريع الأخلاقي في الإسلام

اعتنى الإسلام بالجانب السلوكي والأخلاقي، ورسم كيفية تعامل الناس مع بعضهم البعض في المجتمع الواحد، وحرص على إرساء دعائمه وأسسه التي تكفل الأمن والأمان لكل أعضاء المجتمع الواحد.

ولقد تجاوز الإسلام الدعوة النظرية في الأخلاق إلى التطبيق؛ فبوأ الأخلاق مكانة سامية وربطها بالإيمان به تعالى وجعلها شاملة لكل نواحي الحياة[١].

ومن أجمع الآيات في جانب السلوك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِ﴾[النحل: ٩٠] فهذه الآية جمعت أصول محاسن الإسلام في جانب السلوك فعن ابن مسعود: «إن هذه الآية أجمع آية في القرآن»[٢].

وتظهر محاسن الإسلام العملية في جانب السلوك في أمور أجملها في جانبين نعرضهما من خلال مطلبين[٣]:

(١) أهمية الأخلاق والأدلة عليها ذكرناها عند الحديث عن أخلاق الداعية في أهمية الأخلاق في الإسلام في الكتاب الثاني (الداعية).

(٢) جامع البيان ١٤/ ٣٣٧.

(٣) للاستزادة ينظر: الأخلاق الدينية والحكم الشرعية د. عبدالرحمن الجزائري، والأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام د. مصطفى حلمي، الأخلاق في الإسلام د. محمد علي يوسف، الأخلاق والآداب الإسلامية د. عبدالله الهاشمي، الأخلاق الإسلامية ودورها في بناء المجتمع، د. جمال نصر، الأخلاق الإسلامية وأسسها د. عبدالرحمن حبنكة، موسوعة نضرة النعيم في أخلاق سيد المرسلين، د. صالح ابن حميد.

المطلب الأول

الحث على السلوكيات الفاضلة

حث الإسلام على السلوكيات الفاضلة ويظهر ذلك من خلال مجموعة من التوجيهات في القرآن والسنة، ومن ذلك:

أمر الإسلام بالتعاون على البر والتقوى، فقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة٢].

وأمر بالأخوة والاتحاد وعدم التفرق والتنازع، فقال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾[آل عمران: ١٠٣].

وبين لهم عاقبة التنازع، فقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وحث على التعارف والتواضع بقوله: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [الفرقان: ٦٣] وقوله: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣]، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴾ [الحجرات١٣]. وقال ﷺ: (**يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى**)[1].

---

(١) مسند أحمد ٣٨/ ٤٧٤ (٢٣٤٨٩)، شعب الإيمان للبيهقي (٤٩٢١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والرهيب (٢٩٦٣).

وأمر بالعدل والإحسان في جميع الأحوال حتى مع غير المسلمين، فقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[المائدة: ٨].

وأمر بالأمانة والوفاء بالعهد، فقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل: ٩١]، وأوجب الوفاء بالعقود مهما كانت، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]. وقوله:وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

وقال بين ﷺ مغبة عدم الوفاء بالعقود، فقال: **(لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له)**[(١)].

وحث على سلامة الصدر بقوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر: ١٠].

وحث على الأدب في المشي والكلام ومن ذلك، قوله تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان١٩].

وحث كذلك على الحياء، فقال ﷺ: **(الحياء لا يأتي إلا بخير)**[(٢)]، وقال: **(الحياء خير كله)**[(٣)]، وقال: **(إن لكل ديناً خلقاً وخلق الإسلام الحياء)**[(٤)].

---

(١) مسند أحمد ١٩/ ٣٧٥ (١٢٣٨٣)، صحيح ابن حبان ١/ ٤٢٢ (١٩٤) وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن. وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٣٥).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحياء (٦١١٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان (١٦٥).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان (١٦٥).

(٤) موطأ مالك، كتاب حسن الخلق، باب ما جاء في الحياء (١٦٤٤) وسنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب =

وحث على الصدق ومدحه، وحذر من الكذب وذمه، فقال ﷺ: **(عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً)**(١).

ومن السلوكيات الفاضلة الجامعة التي حث عليها الإسلام كذلك، ترك الإنسان ما لا يعنيه، فقد قال ﷺ: **(من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)**(٢).

وحث على القوة والعزيمة، فقال ﷺ: **(المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان)**(٣).

= الحياء (٤١٨١)، قال شعيب الأرناؤوط: قد وصله ابن ماجه بسندين ضعيفين يرتقي الحديث بهما إلى درجة الحسن، ينظر: جامع الأصول ٣/ ٦٢٢ (١٩٥٨)، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة ٢/ ٦١٦-٦١٨ (٩٤٠): وبالجملة فهذا الإسناد حسن، ولا يعكر عليه أن مالكاً أخرجه في «الموطأ» لأنه إسناد آخر وهو مرسل، بل هو شاهد للموصول لا بأس به.

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله (٦٨٠٥).

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة (٣٩٧٦)، جامع الترمذي، كتاب الزهد، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس (٢٣١٧) وقال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح ٣/ ١٣٦١ (٤٨٣٩).

(٣) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله (٦٩٤٥).

المطلب الثاني

التحذير من السلوكيات السيئة

فصلت تعاليم الإسلام كثيراً في النهي عن كل السلوكيات التي من شأنها أن تشين الإنسان وتورث العداوات بين الناس، وتعيق المجتمع من القيام بواجباته ومن ذلك :

١ - نهي الإسلام عن الإسراف والتبذير والبخل والتقتير في قوله تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾[الإسراء: ٢٦]. ووصف ذلك بأبشع وصف، ومثل له بحالة السوء، بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٩].

٢- ونهى عن التناجي، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [المجادلة ٩-١٠]. وقد فصلها النبي ﷺ بقوله: **(إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس، من أجل أن ذلك يحزنه)**[(١)].

٣- ونهى عن التكبر على الخلق في قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٠]، وبين أنه لا يحب من اتصف بهذا الوصف، فقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ [النحل: ٢٣].

٤- ونهى عن مشية التبختر والتمايل كما يفعل المتكبرون، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾[الإسراء:٣٧]، وجعلها

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارة والمناجاة (٦٢٩٠)، ومسلم، كتاب السلام، باب تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه (٢١٨٤).

وصية الصالحين لذرياتهم في قوله: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[لقمان: ١٨].

٥- نهى عن البغي بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٣٣]، وقول النبي ﷺ: **(إن الله تعالى أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يبغي أحدٌ على أحد، ولا يفخرُ أحدٌ على أحد)**[١].

«**والبغي**: الاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم»[٢].

٦- وحرم السخرية والاستهزاء والهمز واللمز، والتنابز بالألقاب، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]. وقال ﷺ: **(ليس المؤمن بالطعّان ولا اللعّان ولا الفاحش ولا البذيء)**[٣].

٧- ونهى عن سوء الظن، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾[الحجرات١٢].

وقول ﷺ: **(إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث)**[٤]. وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المسلم إلا خيراً وأنت تجد لها في الخير محملاً»[٥].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (٢٨٦٥)

(٢) روح المعاني ١٠/ ٢٨٠.

(٣) جامع الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الفحش والتفحش (١٩٧٧) وقال: حديث حسن، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٢٠).

(٤) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع (٥١٤٣)، ومسلم، كتاب البر الصلة، باب الظن والتجسس والتنافس والتناجش (٢٥٦٣).

(٥) الدر المنثور ١٣/ ٥٦٦، كنز العمال ١٦/ ٢٥٢، شعب الإيمان للبيهقي ٦/ ٣٢٣(٨٣٤٥).

٨- نهى عن التجسس والتحسس[١]، بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢]، وقال ﷺ: **(ولا تجسسوا ولا تحسسوا)**[٢].

وقد ورد أن النبي ﷺ خطب فقال: **(يا معشر من قد أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله)**[٣].

٩- نهى عن الغيبة والبهتان، قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات١٢].

ونبهنا رسول الله ﷺ على معنى الغيبة وحقيقتها فقال يوماً لأصحابه: **(أتدورن ما الغيبة؟)** قالوا الله ورسوله أعلم، قال: **(ذكرك أخاك بما يكره)** قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ فقال ﷺ: **(إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته)**[٤].

١٠- نهى عن النميمة: قال تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم ١١]، قال العلماء: «النميمة: نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد بينهم»[٥].

---

(١) قيل في الفرق بين التجسس والتحسس: أن التجسس «تتبع فيه العورات من أجل الغير، ومنه جاء الجاسوس، أما التحسس: فتتبع فيه العورات من أجل النفس، وقيل معناهما واحد في تطلب معرفة الأخبار». ينظر: النهاية في غريب الحديث ١/ ٧٥٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع(٥١٤٣)، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها(٢٥٦٣).

(٣) جامع الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في تعظيم المؤمن (٢٠٣٢) وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢/ ١٣٢٣ (٧٩٨٥).

(٤) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الغيبة (٢٥٨٩).

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم ٢/ ١١٢.

وقال رسول الله ﷺ: **(لا يدخل الجنة قتات)**[١] وفي رواية **(لا يدخل الجنة نمام)**[٢]، وخرج النبي ﷺ، من بعض حيطان المدينة، فسمع صوت رجلين يعذبان في قبريهما، فقال: **(أما إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة...)**[٣].

١١- نهى عن إثارة النعرات القومية والعصبيات القبلية والدعوات الجاهلية التي تفرق بين الناس، فقال ﷺ: **(ليس منا من ضرب الخدود، ودعا بدعوى الجاهلية)**[٤].

ولما تنادى الصحابة رضي الله عنهم بقوميتهم قال ﷺ: **(دعوها فإنها منتنة)**[٥]، وفي رواية: **(أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم)**[٦].

نهى عن مجموعة من الأخلاق التي تعكر صفو الأخوة فقال ﷺ: **(لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره.. بحسب امرئ من**

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما يكره من النميمة (٦٠٥٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم النميمة (١٠٥).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم النميمة (١٠٥).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب النميمة من الكبائر (٦٠٥٥)، ومسلم، كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه (٢٩٢) مع وجود اختلاف في اللفظ.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما ينهى من الويل ودعوى الجاهلية عند المصيبة (١٢٩٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية (١٠٣).

(٥) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ ﴾ (٤٩٠٥)، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً.

(٦) القصة مبسوطة في كتب السيرة وغيرها، انظر: السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٥٥٥-٥٥٦، وتفسير جامع البيان ٥/ ٦٢٩، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٣/ ٧١٦-٧١٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٩٠، والدر المنثور ٢/ ٥٧-٥٨.

الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)[١].

١٢- وكذلك ما ورد في قوله ﷺ: **(المؤمن أخو المؤمن، فلا يحل له أن يبتاع على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر)**[٢]، وكقوله: **(من غش فليس منا)**[٣].

١٣- نهى عن التهاجر والخصومة، فقال ﷺ: **(تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين والخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً، إلا رجل كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال أنظروا هذين حتى يصطلحا)**[٤]. وقال: **(لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار)**[٥].

١٤- نهى عن المزاح غير اللائق كما قال النبي ﷺ يقول: **(لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لاعباً ولا جاداً)**[٦]، فقد يروع أخ أخاه في الله فيغضب ذلك الأخ ويصدر منه رد فعل قد يكون سبب خصام بينهما[٧].

١٥- نهى عن مجموعة من المعاملات التي تورث العداوة، كحرمة الربا في قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾[البقرة: ٢٧٥].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره.. (٦٧٠٦).

(٢) صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب تحريم الخطبة على خطبة أخيه حتى يأذن أو يترك (١٤١٢).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب من غشنا فليس منا (١٠٢).

(٤) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب النهي عن الشحناء والتهاجر (٢٥٦٥).

(٥) سنن أبي داوود، كتاب الأدب، باب فيمن يهجر أخاه المسلم (٤٩١٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٦٥٣).

(٦) سنن أبي داوود، كتاب الأدب، باب من يأخذ الشيء على المزاح (٥٠٠٣)، وجامع الترمذي كتاب الفتن، باب ما جاء لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً (٢١٦١)، وصححه الألباني في صحيح أبي داوود(٤١٨٣).

(٧) موسوعة الآداب الإسلامية، عبدالعزيز فتحي السيد ندا ٢/ ٥٦٦ بتصرف.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾[البقرة: ٢٧٨ – ٢٧٩].

و(**لعن رسول الله ﷺ آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه**)[١].

١٦- حرم الله الميسر بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ﴾ [المائدة: ٩٠ – ٩١].

فكل هذه النواهي والتحذيرات من أجل النهي عن السلوكيات الخاطئة التي تهدد أمن المجتمع النفسي والاقتصادي والاجتماعي.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب لعن آكل الربا ومؤكله (١٥٩٨).

المبحث الرابع

محاسن التشريع الاقتصادي في الإسلام

من المشكلات الظاهرة في كل المجتمعات المشكلة الاقتصادية، حيث إنها تمثل جانباً من أهم جوانب الحياة الاجتماعية بل هي أخطرها في التأثير المباشر على سلوك الإنسان وتصرفاته، ولذا فقد وضع الإسلام نظاماً دقيقاً في أصول التعاملات المالية يضمن به حقوق الفرد والجماعة، وأجمل تلك المحاسن في النقاط التالية(١):

١- المال في الإسلام مال الله، والعباد مستخلفون فيه، قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾[الحديد:٧].

٢- الإسلام يقوم على تمجيد العمل والنهي عن البطالة، حتى فضّل العامل الكادح على العابد الذي لا يعمل. قال ﷺ: (ما أكل أحدٌ طعاماً قطّ خيراً من أن يأكل من عمل يده)(٢).

٣- التركيز على مصدر المال، وأوجه إنفاقه بأن يكون المال حلالاً طيباً من مصدر العمل المشروع والتجارة النظيفة، ولا يصرف إلا فيما فيه منفعة، ففي الحديث في تعداد ما يسأل عنه المرء يوم القيامة: (وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيما أنفقه؟)(٣).

---

(١) للاستزادة ينظر: الاقتصاد الإسلامي، أسس ومبادئ وأهداف، أ. د. عبدالله بن عبدالمحسن الطريقي، ومبادئ الاقتصاد الإسلامي، د. أحمد نصار، والوسطية في الاقتصاد الإسلامي د. محمد الفنجري، علم الاقتصاد في النظم الوضعية والشريعة الإسلامية، والنظام المالي في الإسلام د. قطب إبراهيم محمد.

(٢) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده (٢٠٧٢).

(٣) جامع الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقاق والورع، باب في القيامة(٢٤١٧) وقال الترمذي: حسن صحيح.

٤- مراعاة الفطرة الإنسانية، بإقرار حق الملكية الفردية وحق العباد، لأن الإنسان مفطور على حب المال، كما قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ٢٤-٢٥].

٥- إقرار نظام الإرث وتنظيمه تنظيماً دقيقاً لأن الإنسان مفطور على حبه لأبنائه وقلقه عليهم إذا تركهم بدون مال، حتى عندما أراد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن يتصدق بماله عندما أحس بالموت قال له رسول الله ﷺ: **(الثلث، والثلث كثير إنك أن تذر ورثتك أغنياء، خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس)**[1].

٦- النهي عن المعاملات المحرمة التي تأخذ أموال الناس بالباطل، ولهذا حرم الربا والرشوة والغصب والغش، والبيع على بيع أخيه والعينة والنجش وما إلى ذلك..

٧- الترغيب في القرض الحسن. قال ﷺ: **(من أقرض الله مرتين كان له مثل أجر أحدهما لو تصدق به)**[2]. وقال: **(كل قرض صدقة)**[3].

٨- وأمر بإنظار المعسر، قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

وأمر بكتابة الدين والإشهاد عليه، والإشهاد على المعاملات التجارية، كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب رثاء النبي ﷺ سعد بن خولة (١٢٩٥)، ومسلم، كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث (١٦٨٢).

(٢) صحيح ابن حبان ١١/ ٤١٨(٥٠٤٠) شعب الإيمان للبيهقي٥/ ١٨٧(٣٢٨٤)، وقال شعيب الأرناؤوط: حسن.

(٣) المعجم الأوسط للطبراني ٤/ ١٧ (٣٤٩٨) شعب الإيمان للبيهقي ٥/ ١٨٨ (٣٢٨٥). وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٥٤٢).

﴿بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ... وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ... وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

٩- الأمر بإعطاء الأجير أجره قبل أن يجف عرقه وعدم المماطلة، فقال ﷺ (أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه)[(١)]، وقال: (مطل الغني ظلم)[(٢)].

١٠- إباحة أنواع المعاملات التي تتبادل فيها المعاوضات، ما لم يكن فيها محرماً، لعموم قول الله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾[البقرة: ٢٧٥]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[المائدة: ١].

وهذا يبيّن ارتباط هذه الشريعة السمحة بصلاح الدين والدنيا، وقبل ذلك سعة رحمة ربّ العالمين وحكمته، حيث أباح سبحانه جميع الطيبات من مكاسب ومطاعم ومشارب، وطرق المنافع المنظمة المحكمة.

ومن تلك المعاملات الإجارة[(٣)]، والوكالة[(٤)]، الكفالة[(٥)]، والحوالة[(٦)]، والشفعة[(٧)] والوديعة، والرهن.. وغيرها.

---

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الرهون، باب أجرة الأجراء (٢٤٣٣)، والسنن الكبرى للبيهقي ٦/ ١٩٩ (١١٦٥٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٠٥٥).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الحوالات، باب في الحوالة وهل يرجع في الحوالة (٢٢٨٧)، ومسلم، كتاب المساقاة، باب تحريم مطل الغني وصحة الحوالة واستحباب قبولها (٤٠٨٥).

(٣) الإجارة: تمليك منفعة رقبة بعوض. ينظر: القاموس الفقهي ص١٣.

(٤) الوكالة: إقامة الشخص غيره مقامه مطلقاً أو مقيداً. ينظر: القاموس الفقهي ص٣٨٧.

(٥) الكفالة: ضم ذمة الكفيل إلى ذمة الأصيل في المطالبة مطلقاً، وذلك بنفس أو بدين أو بعين. ينظر: القاموس الفقهي ص٣٢٢.

(٦) الحوالة: عقد يقتضي نقل دين من ذمّة إلى ذمّة بعوض. ينظر: القاموس الفقهي ص١٠٥.

(٧) الشفعة: حق تملّك قهري يثبت للشريك القديم على الشريك الحادث فيما ملك بعوض. ينظر: القاموس الفقهي ص١٩٩.

فهذه بعض النماذج التي تظهر محاسن الإسلام خلاصتها أن «النظام الإسلامي نظام فريد لا مثيل له، لأن أصوله وفروعه تتحرك داخل نظام أعم منه، وهو النظام الإسلامي العام الذي ينظم شؤون الحياة كلها على أسس الفطرة والواقعية والعبودية الكاملة لله رب العالمين، ولقد وضع الإسلام من الأصول والقواعد العامة ما يكفل تحرك هذا النظام في كل عصر بما يناسب طبيعته ويحقق مصلحته»[(١)].

(١) النظام الاقتصادي في الإسلام ودوره في التنمية، مقال د. محسن بن عبدالحميد، وعلى موقع الألوكة.

المبحث الخامس

محاسن التشريع القضائي في الإسلام

ويمكن بيان محاسن التشريعات القضائية في الإسلام من خلال المطالب التالية[1]:

المطلب الأول: أهمية القضاء في الإسلام.

المطلب الثاني: الإسلام حدد مصدر القضاء العادل.

المطلب الثالث: دستور القضاء الإسلامي.

المطلب الرابع: واجب القاضي في الإسلام.

المطلب الخامس: نماذج من القضاء في صدر الإسلام.

---

(١) تم تلخيصه من كتاب فقه السنة لسيد سابق - كتاب القضاء، وللاستزادة ينظر: النظام القضائي في الإسلام د. أحمد علي جرادات، والنظام القضائي في الفقه الإسلامي د. محمد رأفت عثمان، مآثر النظام القضائي في الإسلام د. نجدة غماش، التنظيم القضائي في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة د. محمد الزحيلي، السلطة القضائية ونظام القضاء في الإسلام أ. د نصر فريد واصل، القضاء في الإسلام الشيخ علي الطنطاوي.

المطلب الأول

أهمية القضاء في الإسلام

غاية القضاء في الإسلام إقامة العدل الذي هو رسالة هذا الدين، ومهمة رسل الله القيام بهذا الأمر وانفاذه. ووظيفة أتباع الرسل السير على هذا النهج كي تبقى النبوة تمد الناس بظلها الظليل، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النحل ٩٠]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

فالعدل هو الغاية من رسالات الله، والعدل قيمة من القيم الإسلامية العليا، لأن إقامة الحق والعدل هي التي تشيع الطمأنينة، وتنشر الأمن، وتشد علاقات الأفراد بعضهم ببعض، وتقوي الثقة بين الحاكم والمحكوم، وتنمي الثروة، وتزيد في الرخاء، وتدعم الأوضاع، فلا تتعرض لخلخلة أو اضطراب، ويمضي كل من الحاكم والمحكوم إلى غايته في العمل، والإنتاج، وخدمة البلاد، دون أن يقف في طريقه ما يعطل نشاطه، أو يعوقه عن النهوض.

وإنما يتحقق العدل بإيصال كل حق إلى مستحقه والحكم بمقتضى ما شرع الله من أحكام وبتجنب الهوى في القسمة بين الناس بالسوية.

فمن أهم الوسائل التي يتحقق بها القسط، وتحفظ الحقوق، وتصان الدماء

والأعراض والأموال؛ هي: إقامة النظام القضائي الذي فرضه الاسلام، وجعله جزءاً من تعاليمه، وركيزة من ركائزه التي لابد منها ولا غنى عنها.

ولذا فالقضاء في الإسلام شامل لجميع الحقوق سواء أكانت حقوقاً لله أم حقوقاً للآدميين.

وهو فرض كفاية لدفع التظالم وفصل التخاصم ويجب على الحاكم أن ينصب للناس قاضياً ومن أبى أجبره عليه، وإذا كان الإنسان في جهة لا يصلح للقضاء غيره تعين عليه ووجب عليه الدخول فيه.

وبين النبي ﷺ أن القضاء مسؤولية عظيمة، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن الرسول ﷺ قال: **(لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس)**[1].

وحذر رسول الله ﷺ من الدخول في القضاء لمن لا علم لهم بالحق ولا قدرة لهم على الصدع به ولا يتمكنون من ضبط أنفسهم ولا كبح جماحها ومنعها من الميل إلى الهوى، فقال النبي ﷺ: **(القُضَاةُ ثَلاثَةٌ: قَاضِيَانِ فِي النَّارِ وَقَاضٍ فِي الجَنَّةِ: رَجُلٌ قَضَى بِغَيْرِ الحَقِّ فَعَلِمَ ذَاكَ فَذَاكَ فِي النَّارِ، وَقَاضٍ لا يَعْلَمُ فَأَهْلَكَ حُقُوقَ النَّاسِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَقَاضٍ قَضَى بِالحَقِّ فَذَلِكَ فِي الجَنَّةِ)**[2].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة (٧١)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب من يقوم بالقرآن ويعلمه (٨١٦).

(٢) جامع الترمذي، كتاب الأحكام، باب ما جاء عن رسول الله ﷺ في القاضي (١٣٢٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٤٢٩٨).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الرسول ﷺ قال: (من جعل قاضياً فقد ذُبح بغير سكين)[(١)]

أي فقد تعرض لذبح نفسه وإهلاكها بتوليه القضاء.

ولذا كان الخوف من العجز عن القيام بالقضاء على الوجه الأكمل هو السبب في امتناع بعض الأئمة عن الدخول في القضاء.

المطلب الثاني

الإسلام حدد مصدر القضاء العادل

القرآن والسنة هما مصدر الحكم في الإسلام، قال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا﴾ [النساء: ١٠٥].

ولا شكَّ أن الاعتماد في أحكام القضاء على الكتاب والسنة، مما يضمن دقة الأحكام، وعدم اتباعها للهوى، وفي ذات الوقت يضمن وحدة الحُكْم في كل أطراف

---

(١) مسند أحمد ١٢/ ٥٢ (٧١٤٥)، وقال شعيب الأرناؤوط: حسن، وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الصحيح، وابن ماجه كتاب الأحكام، باب ذكر القضاة (٢٣٠٨)، وسنن أبي داوود بلفظ (**من ولي القضاء**) في كتاب الأقضية، باب في طلب القضاء (٣٥٧٣)، وجامع الترمذي، كتاب الأحكام، باب ما جاء عن رسول الله ﷺ في القاضي (١٣٢٥) قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

الدولة الإسلامية، وكذلك استمراريته طَوَال العصور المتعاقبة.

ولذا فإن أول من تولى القضاء هو رسول الله ﷺ في المدينة، كما جاء في الصحيفة التي قررها رسول الله عندما وصل المدينة: **(إنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو شجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله ﷻ، وإلى محمد رسول الله)**[(١)].

وإذا اجتهد القاضي في معرفة الحق وإصابة الصواب فهو مأجور ولو لم يصب الحق، فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: **(إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر)**[(٢)].

قال الخطابي: «إنما يؤجر المخطئ على اجتهاده في طلب الحق لأن اجتهاده عبادة. ولا يؤجر على الخطأ بل يوضع عنه الإثم فقط. وهذا فيمن كان من المجتهدين جامعاً لآلة الاجتهاد عارفاً بالأصول وبوجوه القياس، وأما من لم يكن محلاً للاجتهاد فهو متكلف ولا يعذر بالخطأ في الحكم بل يخاف عليه أعظم الوزر»[(٣)].

وعلى ذلك حدد علماء الإسلام من يصلح للقضاء:

قال الفقهاء: ولا يقضي بين الناس إلا من كان عالماً بالكتاب والسنة، فقيهاً في دين الله، قادراً على التفرقة بين الصواب والخطأ، بريئاً من الجور، بعيداً عن الهوى.

وقد اشترط الفقهاء في القاضي أن يبلغ درجة الاجتهاد، فيكون عالماً بآيات الأحكام وأحاديثها، عالماً بأقوال السلف ما أجمعوا عليه وما اختلفوا فيه، عالماً باللغة، وعالماً بالقياس، وأن يكون مكلفاً ذكراً عدلاً سميعاً بصيراً ناطقاً.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ـ ١/ ٥٠٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (٧٣٥٢)، ومسلم، كتاب الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (١٧١٦).

(٣) معالم السنن ٤/ ١٦٠.

وهذه الشروط تعتبر حسب الإمكان ويجب تولية الأمثل فالأمثل.

فلا يصح قضاء الكافر ولا الصغير ولا المجنون ولا الفاسق ولا المرأة ولا المقلد.

وعلى ذلك قال العلماء: كل من ليس بأهل للحكم فلا يحل له الحكم، فإن حكم فهو آثم ولا ينفذ حكمه وسواء وافق الحق أم لا، لأن إصابة الحق اتفاقية ليست صادرة عن أصل شرعي فهو عاص في جميع أحكامه سواء وافق الصواب أم لا. وأحكامه مردودة كلها. ولا يعذر في شيء من ذلك.

المطلب الثالث

دستور القضاء الإسلامي

بين رسول الله ﷺ، مجموعة من قواعد القضاء العامة التي هي أساس للقضاء والعدل في الإسلام، ونكتفي هنا بذكر أربعة نماذج لها:

◈ أولاً: نماذج لأحاديث نبوية:

القاعدة الأولى: عن علي رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: **(يا علي إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر، كما سمعت من الأول فإنك إذا فعلت ذلك تبين لك القضاء)** قال: فما اختلف علي قضاء بعد، أو ما أشكل علي قضاء بعد[١].

(١) مسند أحمد ٢/ ٢٢٥ (٨٨٢)، وأبي داوود كتاب الأقضية، باب كيف القضاء (٣٥٨٤) وقال شعيب الأرناؤوط محقق مسند أحمد: حسن لغيره.

القاعدة الثانية: عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله ﷺ، قال: **(لو يعطى الناس بدعواهم، لادَّعى ناس دماء رجال وأموالهم، ولكن اليمين على المدعى عليه)**[(١)].

القاعدة الثالثة: عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ قال: **(إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إليَّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي بنحو مما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار)**[(٢)].

القاعدة الرابعة: للقاضي أن يشفع الشفاعة الحسنة فيطلب من الخصوم أن يصطلحوا أو يتنازل أحدهم عن بعض حقه، فعن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه تقاضى ابن أبي حدرد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ديناً له عليه في عهد رسول الله ﷺ في المسجد، فارتفعت أصواتهما، حتى سمعها رسول الله ﷺ وهو في بيته، فخرج إليهما رسول الله ﷺ حتى كشف سجف حجرته، ونادى كعب بن مالك، فقال: **(يا كعب)**، فقال،: لبيك يا رسول الله، **(فأشار له بيده، أن ضع الشطر من دينك)**، قال كعب: قد فعلت يا رسول الله، قال النبي ﷺ: **(قم فاقضه)**[(٣)].

ووضع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أسس أحكام القضاء في الرسالة التي أرسلها إلى أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيها.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب اليمين على المدعى عليه (١٧١١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الحيل، باب إذا غصب جارية فزعم أنها ماتت.. (٦٩٦٧) واللفظ له، ومسلم، كتاب الحدود، باب الحكم بالظاهر، واللحن بالحجة (١٧١٣).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب رفع الصوت في المساجد (٤٧١)، ومسلم، كتاب المساقاة، باب استحباب الوضع من الدين (١٥٥٨).

بسم الله الرحمن الرحيم.

من عبدالله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبدالله بن قيس. سلام عليك.

أما بعد:

- فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة، فافهم إذا أدلي إليك فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له.
- آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك.
- البينة على من ادعى واليمين على من أنكر.
- والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً.
- لا يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق، فإن الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل.
- الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة، ثم اعرف الأشباه والأمثال فقس الأمور عند ذلك، واعمد إلى أقربها إلى الله وأشبهها بالحق.
- واجعل لمن ادعى حقّاً غائباً أو بينة أمداً ينتهي إليه، فإن أحضر بينته أخذت له بحقه، وإلا استحللت عليه القضية، فإنه أنفى للشك وأجلى للعمى.
- المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً في حد أو مجرباً عليه شهادة زور، أو ظنيناً في ولاء أو نسب، فإن الله تولى منكم السرائر ودرأ بالبينات والايمان.

- وإياك والقلق والضجر والتأذي بالخصوم والتنكر عند الخصومات، فإن الحق في مواطن الحق يعظم الله به الأجر ويحسن به الذخر، فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه الله، فما ظنك بثواب غير الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته، والسلام[١].

المطلب الرابع
واجب القاضي في الإسلام

على القاضي أن يتحرى الحق فيبتعد عن كل ما من شأنه أن يشوش فكره، فلا يقضي أثناء الغضب الشديد، أو الجوع المفرط، أو الهم المقلق، أو الخوف المزعج أو النعاس الغالب، أو الحر الشديد، أو البرد الشديد أو شغل القلب شغلاً يصرف عن المعرفة الصحيحة والفهم الدقيق، لحديث أبي بكرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(لا يقضين حاكم بين اثنين وهو غضبان)**[٢].

وعلى القاضي أن يسوي بين الخصمين في:

١- في الدخول عليه.

٢- والجلوس بين يديه.

---

(١) تاريخ المدينة لابن شبة ١/ ٤١٢، سنن الدارقطني ٤/ ٢٠٦-٢٠٧، سنن البيهقي ٦/ ٦٥ و١٠/ ١١٥ و١١٩ و١٣٥ و١٥٠، وصححه الألباني في إرواء الغليل ٨/ ٢٤١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب: هل يقضي القاضي أو يفتي وهو غضبان (٧١٥٨)، ومسلم، كتاب الأقضية، باب كراهة قضاء القاضي وهو غضبان (١٧١٧).

٣- والاقبال عليهما.

٤- والاستماع لهما.

٥- والحكم عليهما. والمطلوب منه التسوية بينهما في الأفعال دون القلب، فإن كان يميل قلبه إلى أحدهما ويحب أن يغلب بحجته على الآخر فلا شيء عليه، لأنه لا يمكنه التحرز عنه.

٦- ولا ينبغي أن يلقن واحداً منهما حجته، ولا شاهداً شهادته، لأن ذلك يضر بأحد الخصمين، ولا يلقن المدعي الدعوى والاستحلاف، ولا يلقن المدعى عليه الإنكار والإقرار، ولا يلقن الشهود أن يشهدوا أو لا يشهدوا.

٧- ولا أن يضيف أحد الخصمين دون الآخر، لأن ذلك يكسر قلب الآخر، ولا يجيب ضيافة أحدهما، ولا إلى ضيافتهما ما داما متخاصمين.

ولا بد أن يكون عفيف النفس، ولا يقبل ولا يطلب حراماً، قال في سبل السلام:

«وحاصل ما يأخذه القضاة من الأموال على أربعة أقسام: رشوة، وهدية، وأجرة، ورزق.

فالأول الرشوة: إن كانت ليحكم له الحاكم بغير حق فهي حرام على الآخذ والمعطي، وإن كانت ليحكم له بالحق على غريمه فهي حرام على الحاكم دون المعطي. لأنها لاستيفاء حقه، فهي كجُعل الآبق وأجرة الوكالة على الخصومة.

وقيل: تحرم لأنها توقع الحاكم في الإثم.

وأما الهدية: فإن كان ممن يهاديه قبل الولاية فلا يحرم استدامتها، وإن كان لا يهدي إليه إلا بعد الولاية: فان كانت ممن لا خصومة بينه وبين أحد عنده؛ جازت وكُرهت، وإن كانت ممن بينه وبين غريمه خصومة عنده فهي حرام على الحاكم والمهدي.

وأما الأجرة: فإن كان للحاكم جراية من بيت المال ورزق منه حرمت بالاتفاق، لأنه إنما أجري له الرزق لأجل الاشتغال بالحكم فلا وجه للأجرة، وإن كان لا جراية له من بيت المال جاز له أخذ الأجرة على قدر عمله غير حاكم، فإن أخذ أكثر مما يستحقه حرم عليه.

لأنه إنما يعطى الأُجرة لكونه عمل عملاً، لا لأجل كونه حاكماً، فأخذه لما زاد على أجر مثله غير حاكم إنما أخذها لافي مقابلة شئ بل في مقابلة كونه حاكماً، ولا يستحق لأجل كونه حاكماً شيئاً من أموال الناس اتفاقاً.

فأجرة العمل أجرة مثله، فأخذ الزيادة على أجرة مثله حرام، ولذا قيل: إن تولية القضاء من كان غنيَّاً أولى من توليته من كان فقيراً. وذلك لأنه لفقره يصير متعرضاً لتناول ما لا يجوز له تناوله إذا لم يكن له رزق من بيت المال»[(١)].

المطلب الخامس

نماذج من القضاء في صدر الإسلام

◈ النموذج الأول: قضاء رسول الله ﷺ في المرأة التي سرقت وهي شريفة النسب:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله ﷺ فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: **(أتشفع في حد من حدود الله، ثم قام**

---

(١) سبل السلام ٤/ ١٢٤.

فاختطب، ثم قال: إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)[١].

◈ النموذج الثاني: قضاء شريح بين علي بن أبي طالب واليهودي:

أخرج أبو نعيم في الحلية قال: وجد علي بن أبي طالب درعاً له عند يهودي التقطها فعرفها فقال: درعي سقطت عن جمل له أورق. فقال اليهودي: درعي وفي يدي. ثم قال اليهودي: بيني وبينك قاضي المسلمين. فأتوا شريحاً. فلما رأى عليًّا قد أقبل تحرف عن موضعه. وجلس علي فيه.

ثم قال علي: لو كان خصمي من المسلمين لساويته في المجلس لكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تساووهم في المجلس، وساق الحديث. قال شريح: ما تشاء يا أمير المؤمنين. قال درعي سقطت عن جمل لي أورق فالتقطها هذا اليهودي.

قال شريح: ما تقول يا يهوي. قال: درعي وفي يدي.

قال شريح: صدقت والله يا أمير المؤمنين إنها لدرعك ولكن لا بد من شاهدين، فدعا قنبر والحسن بن علي وشهدا أنها درعه.

فقال شريح: أما شهادة مولاك فقد أجزناها، وأما شهادة ابنك لك فلا نجيزها.

فقال علي: ثكلتك أمك، أما سمعت عمر بن الخطاب يقول: قال رسول الله ﷺ: **(الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)**.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء (٣٤٧٥) ومسلم، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره (١٦٨٨).

قال: اللهم نعم.

قال: أفلا تجيز شهادة سيد شباب أهل الجنة؟ ثم قال لليهودي: خذ الدرع.

فقال اليهودي: أمير المؤمنين جاء معي إلى قاضي المسلمين فقضى لي ورضي، صدقت والله يا أمير المؤمنين إنها لدرعك سقطت عن جمل لك التقطتها. أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فوهبها له علي رضي الله عنه، وأجازه بتسعمائة، وقُتل معه يوم صفين»[١].

ولا تزال أقضية المسلمين على نزاهتها وشرفها؛ ومن خالف ذلك باسم الإسلام فإنما هو مخطئ أو محتال نسأل الله السلامة والعافية.

---

(١) حلية الأولياء ٤/ ١٣٩.

المبحث السادس

محاسن التشريع الاجتماعي في الإسلام

يمكن إبراز محاسن الإسلام في التشريعات الاجتماعية من خلال ذكر ثلاثة أنواع[1]:

المطلب الأول: محاسن الإسلام في الوصية ببر الوالدين.

المطلب الثاني: محاسن الإسلام في الوصية بصلة الأرحام.

المطلب الثالث: محاسن الإسلام في التشريعات الخاصة بالمجتمع.

---

(١) للاستزادة انظر: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، الشيخ: محمد الطاهر بن عاشور، النظام الاجتماعي في الإسلام لتقي الدين النبهاني، والنظام الاجتماعي في الإسلام د. بسام العطاوي.

المطلب الأول

محاسن الإسلام في الوصية ببر الوالدين

فقد تكرر الأمر ببر الوالدين وتقديمهما على كل الحقوق، بل جعلت بعد حق الله تعالى، وذلك في مواضع كثيرة من القرآن والسنة، كما في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ [الإسراء ٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النساء: ٣٦].

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي قال: (أمك) قال: ثم من؟ قال: (أمك) قال: ثم من؟ قال: (أمك) قال: ثم من؟ قال: (أبوك)[(١)].

وقال النبي ﷺ: (رضى الرب في رضى الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد)[(٢)]، وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل قال: (إيمان بالله ورسوله)، قيل: ثم ماذا؟ قال: (بر الوالدين)[(٣)].

ونهى عن عصيانهما، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (ثلاثة لا يدخلون الجنة أبداً ولا ينظر الله عز وجل إليهم يوم القيامة العاق لوالديه والمرأة المترجلة،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة (٥٩٧١). صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب بر الوالدين وأنهما أحق به (٢٥٤٨).

(٢) الأدب المفرد ١/ ٤ (٢)، جامع الترمذي، في كتاب البر والصلة، باب ما جاء من الفضل في رضى الوالدين (١٨٩٩). وصحيح ابن حبان ٢/ ١٧٢ (٤٢٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع ١/ ٦٥٨ (٣٤٩٩).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من قال إن الإيمان هو العمل (٢٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال (٨٣).

والديوث، وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والمدمن على الخمر، والمنان بما أعطى)[(١)].

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟) ثلاثاً، فقلنا: بلى يا رسول الله، قال: (الإشراك بالله وعقوق الوالدين - وجلس وكان متكئاً فقال - ألا وقول الزور)[(٢)].

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن الله عز وجل حرم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنعاً وهات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال)**[(٣)].

ونهى عن مضايقتهما، قال تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وأمر بمصاحبتها بالإحسان ولو كانا كافرين، بل لو كانا يدعوانه إلى الشرك، كما قال تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥].

(١) سنن النسائي، كتاب الزكاة، باب المنان بما أعطى (٢٥٦٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٧١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور (٢٦٥٤)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها (٨٧).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الاستقراض، باب ما ينهى عن إضاعة المال (٢٤٠٨)، ومسلم، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة (٥٩٣).

المطلب الثاني

محاسن الإسلام في الوصية بصلة الأرحام

أمر الله تعالى بصلة الأرحام وهي: الإحسان إلى الأقربين، وإيصال ما أمكن من الخير إليهم، ودفع ما أمكن من الشرِّ عنهم؛ فتشمل زيارتهم والسؤال عنهم، وتَفَقُّدِ أحوالهم، والإهداء إليهم، والتصدُّق على فقيرهم، وعيادة مرضاهم، وإجابة دعوتهم، واستضافتهم، وإعزازهم وإعلاء شأنهم، وتكون أيضاً بمشاركتهم في أفراحهم، ومواساتهم في أتراحهم، وغير ذلك ممَّا من شأنه أن يزيد ويُقَوِّيَ من أواصر العَلاقات بين أفراد هذا المجتمع الصغير.

فبين الله تعالى أن حق الرحم في المرتبة الثالثة بعد حق الله وحق الوالدين، قال: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النساء: ٣٦].

وأمر تعالى بإعطاء الأرحام حقوقهم، قال تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ [الإسراء: ٢٦].

وبين تعالى أن الرحم سيسأل الله عنها يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١].

وجعل تعالى صِلَةَ الرحم توجب صِلَتَه سبحانه للواصل، وتتابع إحسانه وخيره وعطائه عليه، فقد ثبت قول رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ: **(أَنَا الرَّحْمَنُ وَهِيَ الرَّحِمُ، شَقَقْتُ لَهَا اسْماً مِنَ اسْمِي، مَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ[١])**[٢].

---

(١) بتته: الباء والتاء له وجهان وأصلان: أحدهما القطع، والآخر ضرب من اللباس. فأما الأول فقالوا: البت القطع المستأصل، ينظر: مقاييس اللغة ١/ ١٧٠.

(٢) سنن أبي داوود، كتاب الزكاة، باب في صلة الرحم (١٦٩٤)، وأحمد ٣/ ٢١٣ (١٦٨٠) وقال شعيب الأرناؤوط: صحيح لغيره، وصحيح ابن حبان ٢/ ١٨٦ (٤٤٣).

وبَشَّرَ الرسولُ ﷺ الذي يَصِلُ رحمه بسعة الرزق والبركة في العمر، فقال: **(مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ)**[(١)].

وصلة الرحم امتداد لبر الوالدين بعد موتهما، لقول النبي ﷺ: **(إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه)**[(٢)].

فبالقيام بحق الوالدين وصلة الرحم يحصل خير عميم؛ فبها تتأكَّد وَحْدَة المجتمع الإسلامي وتماسكه، وتمتلئ نفوس أفراده بالشعور بالراحة والاطمئنان؛ إذ يبقى المرء دوماً بمنأى عن الوَحْدَة والعُزْلَة، ويتأكَّد أن بنيه وذريته وأقاربه يُحِيطُونَه بالمودَّة والرعاية، ويمدُّونه بالعون عند الحاجة.

المطلب الثالث

محاسن الإسلام في التشريعات الخاصة بالمجتمع

شرع الله سبحانه وتعالى مجموعة من التوجيهات التي تصلح بها أحوال الناس في المجتمع الواحد ومنها ما مرّ عند الحديث عن محاسن الإسلام في الجانب السلوكي، وهنا سنتعرض لست نقاط تبرز هذا الجانب:

☜ أولاً: الحثّ على الإحسان إلى الجار:

بين النبي ﷺ أن من تمام الإيمان الإحسان للجار، قال رسول الله ﷺ: **(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره)**[(٣)].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب من أحب البسط في الرزق (١٩٦١)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها (٢٥٥٧).

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب صلة أصدقاء الأب والأم، ونحوهما (٢٥٥٢).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت (١٨٢).

وحق الجار في الإسلام على مراتب، قال تعالى: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ [النساء: ٣٦]. فقوله: «﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أي: الجار القريب الذي له حقان حق الجوار وحق القرابة، فله على جاره حق وإحسان راجع إلى العرف. وكذلك ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ أي: الذي ليس له قرابة. وكلما كان الجار أقرب باباً كان آكد حقّاً، فينبغي للجار أن يتعاهد جاره بالهدية والصدقة والدعوة واللطافة بالأقوال والأفعال وعدم أذيته بقول أو فعل»[(١)].

وإذا كان الجار كافراً كان له حق الجوار، وإذا كان قريباً وهو كافر له حقان: حق الجوار، حق القرابة، وإن كان فقيراً يتصدق عليه، لقوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

☜ ثانياً: إكرام الضيف:

إكرام الضيف مَكْرُمَة من مكارم التشريعات الاجتماعية التي تبرهن على سماحة الدين ولها انعكاسات على النَّفس من كرم في الطبع، وإيثار للغير، وشهامة ومروءة.

وبين النبيُّ ﷺ أن إكرام الضيف، من تمام الإيمان بالله تعالى واليومِ الآخر، فقال ﷺ: (مَن كان يُؤْمن بالله واليوم الآخر فلْيُكرم ضَيْفه)[(٢)].

حتى إن الإسلام جعل من الواجب على الـمُضِيف أن يُكرم ضيفَه مدَّةَ الضيافة التي حدَّدها رسولُ الله ﷺ بثلاثة أيام؛ فإذا زاد بقاء الضيف وإقامتُه على ثلاثة أيام، فإنْ أكرمه الـمُضِيف كان ذلك منه بمنزلة الصَّدَقة على الضَّيف، يُؤجر ويُثاب عليها، ولكن

(١) تيسير الكريم الرحمن ص١٧٧.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت (١٨٢).

لا ينبغي للضيف أن يثقل على مضيفه حتى يحرِجَه ويضيق عليه، فقد قال النبي ﷺ: (مَن كان يؤمنُ بالله واليومِ الآخر فليُكرم ضيفه، جائزته يومٌ وليلة، والضِّيافةُ ثلاثةُ أيامٍ، فما بعد ذلك فهو صدَقة، ولا يحلُّ له أن يثوي[١] عنده حتى يُحرجه)[٢].

ثالثاً: الحث على الإحسان للضعفاء:

فقد حث الإسلام على رعاية الضعفاء من المساكين واليتامى والخدم، قال رسول الله ﷺ: (فكوا العاني -يعني الأسير- وأطعموا الجائع وعودوا المريض)[٣]، وقال ﷺ: (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئاً)[٤].

وقال ﷺ: (الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار)[٥].

وكان ﷺ يقول: (أفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمن، كسوتَ عورته، أو أشبعتَ جوعته، أو قضيت حاجته)[٦].

فقال ﷺ: (إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ[٧]، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ

---

(١) الثواء: بالتخفيف والمد، الإقامة بمكان معين، انظر: فتح الباري ١٠/ ٥٣٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إكرام الضيف، وخدمته إياه بنفسه (٦١٣٥)

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب فكاك الأسير (٣٠٤٦).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب اللعان (٥٣٠٤).

(٥) صحيح البخاري، كتاب النفقات، باب النفقة على الأهل (٥٣٥٣)، ومسلم، كتاب الزهد والرقاق، باب الإحسان على الأرملة والمسكين واليتيم (٢٩٨٢).

(٦) شعب الإيمان للبيهقي ٦/ ١٢٣، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٥/ ٣٦٥(٢٢٩١).

(٧) خولكم: خدمكم. ينظر: فتح الباري ١/ ١١٥.

يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ)[١].

وقال ﷺ: (من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)[٢].

☜ رابعاً: أمر الإسلام بالإصلاح بين المتخاصمين:

قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الحجرات ٩-١٠]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠]. ومن الرحمة: «أن لا يتصدع بنيانكم، ولا تتشتت أمتكم وتصبح جماعات وطوائف متعادية يقتل بعضها بعضاً، ولما لم يتق المؤمنون الله في الإصلاح الفوري بين الطوائف الإسلامية المتنازعة حصل من الفساد والشر ما الله به عليم في الغرب الإسلامي والشرق»[٣].

وقال رسول الله ﷺ: (ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى، قال: صلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة)[٤]، وقال: (كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة)[٥].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك (٣٠)، ومسلم، كتاب الأيمان والنذور، باب إطعام المملوك مما يأكل (١٦٦١).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر (٤٨٦٧).

(٣) أيسر التفاسير للجزائري ٤/ ٢٩٤.

(٤) سنن أبي داوود، كتاب الأدب، باب في إصلاح ذات البين برقم (٤٩١٩)، وجامع الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب ٥٦ (٢٥٠٩) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب فضل الصلح بين الناس والعدل بينهم (٢٧٠٧)، ومسلم، كتاب =

وقال ﷺ: (أفضل الصدقة صلاح ذات البين)[١].

وقال النبي ﷺ قال لأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه: (يا أبا أيوب ألا أدلك على صدقة يرضى الله تعالى ورسوله موضعها؟ قال: بلى. قال: تصلح بين الناس إذا تفاسدوا وتقرب بينهم إذا تباعدوا)[٢].

خامساً: النهي عن إشاعة الأراجيف، والأمر بالتثبت في الأخبار:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]..

ففي الآية «تنبيه على أنه إذا كان الخبر شيئاً عظيماً وله قدر، فحقه أن يتوقف فيه وإن علم أو غلب صحته على الظن حتى يعاد النظر فيه ويتبين»[٣].

إن الطريقة الشرعية التي ينبغي على المسلم أن يلتزمها عند سماعه للشائعات تقوم على: التثبت وحب الخير للمسلمين ورعاية حقوقهم وأعراضهم، والتماس الأعذار لهم.

فالتثبت من كل خبر، وكل حدث، والتبين قبل الحكم؛ هو أمر الله الصريح في القرآن، ومنهج رسوله القويم، بحيث لا يبقى مجال للوهم والخرافة في العقيدة والمعاملات، ولا يبقى مجال للظن والشبهة في القضاء والعلاقات.

= الزكاة، باب بيان اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (١٠٠٩).

(١) شعب الإيمان للبيهقي ٧/ ٤٨٩(١١٠٩٢)، قال الألباني: صحيح لغيره، في صحيح الترغيب والترهيب(٢٨١٧).

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٨/ ٢٥٧(٧٩٩٩)، شعب الإيمان للبيهقي ٧/ ٤٩٠(١١٠٩٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٦٤٤).

(٣) روح المعاني ٩/ ١٤٥..

سادساً: الأمر بالتناصح بين أفراد المجتمع:

قوله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ① إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ② إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١ – ٣].

عن أبي مدينة الدارمي، قال: «كان الرجلان من أصحاب محمد ﷺ إذا التقيا، ثم أرادا أن يفترقا، قرأ أحدهما: والعصر إن الإنسان لفي خسر حتى يختمها، ثم يسلم كل واحد منهما على صاحبه»[(١)].

عن تميم الدّاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(الدّين النّصيحة)**. قلنا: لمن؟. قال: **(لله ولكتابه ولرسوله ولأئمّة المسلمين وعامّتهم)**[(٢)].

وعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: **(بايعت النّبيّ ﷺ على إقام الصّلاة، وإيتاء الزّكاة، والنّصح لكلّ مسلم)**[(٣)].

ومن التناصح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي يحفظ الله به المجتمعات، كما قال تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[آل عمران: ١١٠].

وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحصل النجاة من عذاب الدنيا، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٍ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ﴾ [هود ١١٧].

ولم يقل وأهلها صالحون!! لأن الذي يعمل على إصلاح الناس هو الذي يحي

---

(١) الزهد لأبي داوود ص٣٤.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة (٥٥).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: **(الدين النصيحة: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)** (٥٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة (٥٦).

الأمة ويعمل على نجاتها، أما الصالح فلنفسه فقط، فهو لا يعمل لنجاة نفسه ولا لنجاة أمته ومجتمعه.

سابعاً: الأمر بالتعاون على البر والتقوى:

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة٢]

«فالله سبحانه يوجب على الناس إيجاباً دينيًّا أن يعين بعضهم بعضاً في كل عمل من أعمال البر التي تنفع الناس أفراداً وأقواماً في دينهم ودنياهم وكل عمل من أعمال التقوى التي يدفعون بها المفاسد والمضار عن أنفسهم»(١).

وقد جاء التمثيل النبوي لأهل الإيمان أنهم كالجسد الواحد وكالبنيان كذلك عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: (**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ثم شبك بين أصابعه**)(٢).

وكذلك في عموم قوله ﷺ: (**والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**)(٣).

ثامناً: النهي عن كل ما يفسد المجتمع:

فقد نهى الإسلام عن كل ما يفسد المجتمع فأمر بالحجاب وعدم إظهار المرأة لزينتها قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا

---

(١) تفسير المنار ٦/ ١٣١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره (٤٨١)، ومسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (٢٥٨٥).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (٢٦٩٩).

يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ...﴾ الآية [النور: ٣٠-٣١].

ونهى عن القذف حفاظاً على الأعراض، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤].

ونهى عن إشاعة الفاحشة في المجتمع كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

فهذه بعض التشريعات والتوجهات الاجتماعية الدقيقة التي تبين عظمة هذا الدين ومحاسنه وموافقته لاحتياجات البشر ودقائقها وخصوصاً ما يجعلهم يحيون حياة طيبة.

المبحث السابع

محاسن تشريع العلاقات الزوجية في الإسلام(١)

«الأسرة في الإسلام نظام إلهي وهدي نبوي وسلوك إنساني، والحياة في بيوت المسلمين عبادة شاملة وسنة متبعة وتربية مستمرة.. فبيت الأسرة هو وحده الذي يجمع بين الذكر والأنثى وكل وطر يقضى بعيداً عنه فهو عصيان لله واعتداء على حدوده، ومن ثم فإن تكوينها دين، والحفاظ عليها إيمان، ومكافحة الأوبئة التي تهددها جهاد، ورعاية ثمرتها من بنين وبنات جزء من شعائر الله»(٢).

ولذا فقد شرع الله تعالى مجموعة من العوامل التي تحافظ على كيان الأسرة والعلاقة بين الزوجين، وبيان ذلك في النقاط التالية(٣):

أولا: «أمر الله تعالى الأزواج بمعاشرة الزوجات بالمعروف:

فقال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء ١٩] فالإسلام ينظر إلى البيت بوصفه سكناً وأمناً وسلاماً، وينظر إلى العلاقة الزوجية بوصفها مودة ورحمة وأنساً، ولذا قال ﷺ: (**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**)(٤).

---

(١) هذا الأمر داخل في التشريعات الاجتماعية ولكن فصلناه لأهميته.

(٢) البيت المسلم القدوة أمل يحتاج إلى عمل، أبو الحمد ربيع ص٤.

(٣) للاستزادة ينظر: كتاب الإصلاح بين الزوجين، أ.د محمد بن عبدالعزيز العواجي- تحت الطباعة، وحقوق الزوج والزوجة وأصول المعاشرة الزوجية، العشرة الطيبة، أ. محمد حسين، الحقوق الزوجية في الكتاب والسنة د. هشام الرفاعي، فقه التعامل بين الزوجين الشيخ مصطفى العدوي، الخلافات الزوجية في ضوء الكتاب والسنة د. رعد الحيالي، فقه الأسرة للشيخ فاضل السقار، آداب الأسرة المسلمة أ. سعيد العذاري، قانون الأسرة أ. أيمن صالح.

(٤) جامع الترمذي، كتاب المناقب، باب فضل أزواج النبي ﷺ (٣٨٩٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح، =

ولا أدل على تلك العشرة بالمعروف من مسابقته ﷺ زوجته في سفر، فقد حدثت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها كانت مع النبي ﷺ في سفر قالت: فسابقته فسبقته، فلما حملت اللحم سابقته فسبقني، فقال: **(هذه بتلك)**(١).

ومن المعاشرة بالمعروف الكلام الطيب والتزين والتسلية وقضاء الحاجات والمشاورة، كما كان يفعل رسول الله ﷺ مع زوجاته(٢).

ثانياً: القوامة في يد الرجل:

والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ [النساء ٣٤].

فهذه الآية تنص على تنظيم الحياة الزوجية وتوضيح الاختصاصات فيها لمنع الاحتكاك بين أفرادها، بردهم جميعاً إلى حكم الله لا لحكم الهوى، فيبين الله تعالى أن القوامة في البيت المسلم للرجل، لتفضيل الرجل بمقومات القوامة، وما تتطلبه من خصائص ودربة، وتكليف الرجل الإنفاق على الأسرة.

فلا يطلب من المرأة أن تعمل لكي تنفق على نفسها، ولكن على الزوج أن ينفق عليها ولو كانت الزوجة غنية، وعلى الزوج أن يوفر لزوجته كل ما تحتاجه: في حدود طاقته، وفي غير معصية الله تعالى، وهذا من مستلزمات القوامة، فعن حكيم بن معاوية

= سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب حسن معاشرة النساء (١٩٧٧).

(١) سنن أبي داوود، كتاب الجهاد، باب السبق على الرجل (٢٥٧٨)، وابن ماجه كتاب النكاح، باب حسن معاشرة النساء (١٩٧٩)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٣١).

(٢) ينظر كتاب: كيف عاملهم رسول الله ﷺ،د. محمد المنجد مبحث كيف عامل زوجاته، فقد جمع شواهد كثيرة.

عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رسول الله، ما حق الزوجة على أحدنا؟ قال ﷺ: **(أن تَطعمها إذا طَعِمْتَ، وأن تكسوها إذا اكتسيت، ...)**[1].

✍ ثالثاً: الأمر بالإصلاح بين الزوجين:

فإذا عُلم بوقوع شقاق بين الزوجين **وجب** أن يُبعث حَكَمَان للإصلاح بين الزوجين، سواء كان الحكمان من أهل الزوج والزوجة أو من غيرهم، أو سواء الذي يرسل هو السلطان أو الزوجان أو غيرهم[2]، قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَـٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء ٣٥].

فالأسرة هي نواة المجتمع فإذا فسدت الأسرة أو تفرقت أصبح المجتمع غير متماسك، أصبح مجتمعاً يستطيع أعداؤه أن يدخلوا إليه من كل مكان؛ لأن كيانه غير متكامل وصفوفه غير متصلة والشقاقات بينه كثيرة.

✍ رابعاً: موقف الإسلام من وقوع النشوز بين الزوجين:

فإذا وقع من الزوجة النشوز[3] فإن الإسلام يرشد إلى اتخاذ الإجراءات المتدرجة في علاج علامات النشوز منذ أن تلوح من بعيد.

(١) سنن أبي داوود، كتاب النكاح، باب حق المرأة على زوجها (٢١٤٢)، وابن ماجه، كتاب النكاح، باب حق المرأة على الزوج (١٨٥٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داوود (١٨٧٦).

(٢) ينظر: أحكام القرآن للطحاوي ٢/ ٤٤٢-٤٤٦.

(٣) النشوز هو: «استعلاء النساء على أزواجهن وارتفاعهن عن فرشهم بالمعصية منهن، فالنشوز هو: البغض ومعصية الزوج، وإرادة فراق الزوج». ينظر: جامع البيان ٦/ ٦٩٨.

وهذه الإجراءات المتدرجة ليست معركة بين الرجل والمرأة يراد بها الاعتداء على المرأة حين تَهِمُّ بالنشوز، إن هذا قطعاً ليس هو الإسلام وليس هو هدف الإسلام.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٣٤].

فأول إجراء هو الموعظة والنصيحة: فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «عظوهن بكتاب الله، فأمره الله إذا نشزت أن يَعِظَها ويُذَكِّرَها الله، ويُعَظِّم حَقَّهُ عليها»[(١)].

والثاني الهجران في المضاجع: أي: «أن يكون الرجل والمرأة على فراش واحد لا يجامعها»[(٢)]، وقيل: «يرقد عندها ويوليها ظهره، ولا يطؤها، ولا يكلمها»[(٣)].

على أن هناك أدباً في الهجر في المضاجع، وهو ألا يكون هجراً ظاهراً، فلا يكون أمام الأطفال مثلاً، فيورث في نفوسهم شرًّا وفساداً، ولا هجراً أمام الأهل أو الغرباء يُذِلُّ الزوجة أو يستثير كرامتها فتزداد نشوزاً.

فالمقصود علاج النشوز لا إذلال الزوجة، لقول الرسول ﷺ: **(ولا تهجر إلا في البيت)**[(٤)].

ثم يأتي إجراء ثالث أكبر من سابقيه ولكنه أهون من تحطيم العلاقة الزوجية وهو

(١) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٣/ ٩٤٢برقم (٥٢٦١).

(٢) جامع البيان عن ابن عباس ٦/ ٧٠٠.

(٣) جامع البيان عن السدي ٦/ ٧٠٠.

(٤) سنن أبي داوود، كتاب النكاح، باب حق المرأة على زوجها (٢١٤٢)، سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب حق المرأة على الزوج (١٨٥٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داوود (١٨٧٦)، والسلسلة الصحيحة (٦٨٧).

الضرب، وهذا الإجراء مع أنه أشد لكنه بحدود فقد ورد في تفسير الضرب أن يكون الضرب غير مبرح ولا مؤثر[(١)].

«فإن حصل المقصود بواحدة من هذه الأمور وأطعنكم، فاتركوا معاتبتها على الأمور الماضية والتنقيب على العيوب التي يضر ذكرها، ويحدث بسببها الشر»[(٢)]. قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾.

خامساً: موقف الإسلام عند عدم رغبة الزوج في زوجته:

إذا كان الزوج راغباً عن زوجته، فأرشد الله في هذه الحال إلى الطريق الذي تستقيم به الأمور، وهو طريق الصلح من المرأة أو وليها ليعود الزوج إلى الاستقامة، بأن تسمح المرأة عن بعض حقها الّلازم لزوجها على شرط البقاء معه، وأن يعود إلى مقاصد النكاح أو بعضها، كأن ترضى ببعض النفقة أو الكسوة أو المسكن أو تسقط حقها من القسم أو تهب يومها وليلتها لزوجها أو لضرتها بإذنه، عن عائشة رضي الله عنها في قول الله تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]، قالت: «هو الرجل يرى من امرأته ما لا يعجبه كِبَراً أو غيره فيريد فراقها، فتقول أمسكني، واقسم لي ما شئت. قالت: ولا بأس إذا تراضيا»[(٣)].

فهنا يعالج الإسلام مشكلة الإعراض حين يُخْشَى وقوعه من ناحية الزوج، فيهدد أمن المرأة، وأمن الأسرة كلها، فإن القلوب تتقلب وإن المشاعر تتغير، والإسلام منهج

---

(١) أورد الإمام الطبري الأقوال في الضرب ولم تخرج عن معنى الضرب غير المبرح، وروى ذلك عن سعيد بن جبير والشعبي وابن عباس، والحسن وقتادة وعطاء وعكرمة، ينظر جامع البيان ٦/ ٧١٢. وصحيح مسلم، كتاب الحج، باب حج النبي ﷺ (١٢١٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن ١٧٧ باختصار وتصرف.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب قول الله تعالى: ﴿أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ (٢٦٩٤).

حياة يعالج كل جزئية فيها، ويتعرض لكل ما يعرض لها، ويصمم المجتمع ويرسمه وينشئه وفق هذا المنهج القويم.

سادساً: تشريع الطلاق:

فإذا سدت أبواب الإصلاح، ولم يكن التوفيق بينهما فالطلاق هو الحل الأخير، وسيوفق الله كلاً منهما إلى الطريق الأصلح، قال تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾[النساء ٣٠].

«فالفراق قد يكون خيراً لهما، لأن الفراق خيرٌ من سوء المعاشرة»[١].

ولنا أن نتصور كيف تكون الحال لو أن الطلاق ممنوع أو محرم، إن الحياة بين هذين الزوجين ستكون جحيماً لا يطاق، «ولهذا نجد في أوروبا أن القوانين فيها أخذت تجيز الطلاق مع أن الكنيسة النصرانية بتعاليمها المحرفة لازالت تحظر الطلاق حتى مع ثبوت الخيانة الزوجية. وكانت فقط تحكم بالتفريق الجسدي بين الزوجين مما سبّب مشاكل اجتماعية خطيرة»[٢].

ويلحق به الخلع برضاها منه، والفسخ بحكم الحاكم بينهما في مواضع معروفة يرجع لها في كتب الفقه.

سابعاً: شرع العدة في الطلاق:

وشرع الله هذه العدة محاولة لإيجاد فرصة للعودة، ورغبة في استئناف ما انقطع من حبل الزوجية، فإنه لا بد من فترة يختبر فيها الزوجان عواطفهما بعد الفراق، فقد

(١) التحرير والتنوير ٥/ ٢١٩.

(٢) فقه السنة ٢/ ٣٨٣.

يكون في قلوبهما رمق من ود يمكن تجديده! فإذا سكت الغضب، واطمأنت النفس، استصغرت الأسباب التي دفعت إلى الفراق، وظهرت اعتبارات مهمة، تؤدي إلى استئناف الحياة.

فهذه الإجراءات كلها للحفاظ على الرابطة الزوجية، فالرجل عندما يعلم أن الأمر سيؤول إلى ذلك الحد، فإنه يفكر ويمسك نفسه عن الطلاق ويصبر ويكظم غيظه لكي لا يقع في حالة لا يستطيع أن يسترجع زوجته بعدها.

✍ ثامناً: لا تَخرج المرأة من بيتها ولا تُخرج في حال الطلقة الرجعية:

قال تعالى: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ [الطلاق: ١].

والحكمة من ذلك والله أعلم: هي إتاحة الفرصة للرجعة، واستثارة عواطف المودة، حيث تكون الزوجة بعيدة بحكم الطلاق قريبة من العين، ويرى الزوج زوجته في أثناء الحمل وما يصيبها من التعب والشدة، أو يرى ابنه أمامه وهو يكبر والجهد الذي تبذله أمه معه، فيفعل هذا في المشاعر فعله بين الاثنين، كل هذا ليبقى عقد الزوجية، وتبقى الأسرة المسلمة قائمة يشد بعضها بعضاً، فأما حين تقع في الفاحشة فلا محل لاستجلاب المشاعر الطيبة، والمودة الدفينة.

هذه صورة من التشريعات التي يحافظ الإسلام بها على الأسرة، وهذا الأمر يعد من المحاسن المهمة التي لا يعرفها الناس عن الإسلام، ولو علموها لعرفوا قيمة هذا الدين الحنيف[1].

(١) هناك بعض التشريعات الخاصة بالأسرة، أرجأت الحديث عنها إلى موضوع الحديث عن حقوق المرأة في الإسلام، حيث إن ظهور العناية بالمرأة فيه أوضح.. وهناك كثير من التشريعات والتفصيلات تركتها =

المبحث الثامن

محاسن التشريع السياسي في الإسلام

راعى الإسلام جانب التطور في حياة البشرية، وهذا أكثر ما يتمثل في سياسة الحكم وسياسة المال، وتنظيم الدولة، فهذه الأمور تتطور بحسب الحال البشرى.

ولذا كان الإسلام حكيماً غاية الحكمة مسايراً للفطرة ملبياً حاجاتها وهو يتعامل مع هذه الجوانب، فوضع لها القواعد الكلية، ولم يضيق التفصيلات، وضع لها الإطار العام الذي يريد للبشرية أن تتلاءم في حدوده، وترك لكل جيل من الأجيال المتعاقبة أن يضع الصورة التي تناسبه وتتفق مع ظروفه بشرط واحد وهو أن تكون الصورة في حدود الإطار المشروع.

ففي سياسة الحكم -مثلاً- وضع الإسلام بعض الأسس والثوابت التي لا تتحقق مصالح العباد بدونها، ولا يمكن أن يختلف عاقلان على ضرورتها، ومن أمثلتها مبدأ الشورى الوارد في قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨].

ثم لم يخصص طريقة لأخذ الشورى محصورة، وترك ذلك للتجارب البشرية واجتهادها في التطبيق، وهذا يبين عظمة هذه الشريعة وحسنها وصلاحيتها المطلقة كمنهج حياة للبشر على مدى الزمان والمكان(١).

وهنا سنبين بعضاً من محاسن مبادئ النظام السياسي الإسلامي باختصار لنعطي

= خشية الإطالة، ويمكن الرجوع إليها في كتب الفقه في الأبواب الخاصة بفقه الأسرة. وينظر: مقاصد نظام الأسرة في التشريع الإسلامي للأستاذ د. عبدالقادر داوودي، والعلاقات الأسرية في الإسلام د. محمد أبو النيل.

(١) ينظر: إضاءات للمعرفين بهذا الدين- إعداد الهيئة العالمية للتعريف بالإسلام ص١٢٢-١٢٣.

صورة عن تلك التشريعات السياسية التي يمكن لأي داعية أو معرف بالإسلام استيعابها بسهولة، وإيصالها للناس، وهي كالتالي[(١)]:

◆ أولاً: السيادة للشرع:

أي: إن المرجعية العليا والمطلقة للتشريع في دولة الإسلام هي لشريعة الله تعالى المتمثلة في كتاب الله وسنة رسوله، وما انعقد عليه إجماع الأمة، قال تعالى: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾[المائدة: ٤٨].

وقال ﷺ: **(السمع والطاعة على المرء المسلم في ما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)**[(٢)].

ووجه الدلالة هنا أن في تحريم طاعة أولي الأمر في معصية الله ما يدل على تفرد الله جل وعلا بالحكم.

وهذا يقتضي تطبيق الشريعة عقيدة ونظاماً، دولة وتشريعاً، فكراً وحضارة على جميع شؤون الحياة؛ فلا يترك الناس على هواهم من غير ضابط ولا مرتكز يقيمون عليه تشريعاتهم وينظمون في ضوئه شؤون حياتهم[(٣)]، لأنه تعالى هو خالق الخلق العالم بما يصلحهم، فإن كان كل مخترع لآلة هو الذي من حقه أن يضع

---

(١) ينظر للاستزادة: النظام السياسي في الإسلام د. محمد عبدالقادر أبو فارس، والنظام السياسي في الإسلام - النظرية السياسية ونظام الحكم، د. عبدالعزيز عزت الخيّاط رحمه الله، والنظام السياسي في الإسلام، أ. د. سليمان بن قاسم العيد، وخصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم، للأستاذ د./ فتحي الدريني.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية برقم (٦٦١١)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية (٣٤٢٣).

(٣) الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي ص ٢٣٠.

لها نظام التشغيل الخاص بها، فكيف بالعليم القدير القائل: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

والتاريخ والواقع يشهدان بأن كل تشريع أرضي هو تعبير عن الطبقة التي تمتلك وتحكم، وأنه يمثل مصالحها على حساب بقية الطبقات، فالإقطاعي يحكم فيشرع لحساب طبقة الإقطاعيين، وصاحب رأس المال يحكم فيشرع لحساب الرأسماليين، وحماية مصالحهم على حساب العمال.. مما سبب الشقاء والحياة المريرة في هذه الأمم.

ومن محاسن هذه القاعدة في الإسلام –أن السيادة للشرع– أن إقرارها لا يُسلب الأمة الاجتهاد لنفسها في النوازل، والتقنين لشؤونها الدنيوية المتطورة، إنما المقصود أن يكون الاجتهاد أو التقنين في إطار المرجعية للكتاب والسنة، والإدراك للمقاصد الكلية للشريعة الإسلامية، ففي النصوص من السعة ما يجعلها صالحة لكل زمان ومكان.

◆ ثانياً: مسؤولية الحاكم:

فالحاكم مسؤول مسؤولية كاملة عن رعيته فيما يخص دينهم ودنياهم، قال رسول الله ﷺ: **(الإمام راع ومسئول عن رعيته)**[(١)].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أمِّرْني. قال: **(الإمارة أمانة، وهي يوم القيامة خزي وندامة إلا من أمر بحق وأدى بالحق عليه فيها)**[(٢)].

فالواجب الأكبر على الحاكم المسلم يتمثل في القيام بأعباء المنصب على أكمل

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن (٨٩٣).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة (١٨٢٥).

وجه، وولاية الأمر في الدولة الإسلامية ما هي إلا وسيلة للقيام بحفظ الدين وسياسة الدنيا به، ولا يمكن أن نغفل ما بين الأمرين من تداخل.

وهو مسؤول في الدنيا أمام القضاء إذا ارتكب مخالفة جنائية بعيداً عن سلطته، ومسؤول أمام الأمة إذا فرط في أمر من أمور الأمة، ومسؤول أمام الله تعالى في الآخرة.

وعلى ذلك فلا بد للأمة من أن تكون مراقبة للحاكم محاسبة له –وفق الشرع كذلك– فليس أحد بمعصوم، ولذا قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خطبته بعد البيعة له بالخلافة: «أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني»[(١)].

◆ ثالثاً: الشورى منهج الحكم:

وتُعرَّف الشورى بأنها: طلب الرأي ممن هو أهل له، وهذا هو الصحيح.

وقيل: هي استطلاع رأي الأمة أو من ينوب عنها في الأمور العامة المتعلقة بها[(٢)].

الشورى في الإسلام أساس الحكم؛ إذ قرر الإسلام أن الشورى خصيصة من خصائص المجتمع الإسلامي، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[الشورى: ٣٨]

وقوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].فهو مجتمع يقوم على أساس احترام الرأي وتبادل وجهات النظر، ويستنكر الاستبداد بالرأي الذي يفضي –لا محالة– إلى التعسف والطغيان.

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٢٦٢، وتاريخ الطبري ٣/ ٢١٠، والبداية والنهاية ٥/ ٢٤٨ و٦/ ٣٠١ وقال ابن كثير: إسناده صحيح.

(٢) نظام الدولة في الإسلام، وعلاقتها بالدول الأخرى– جعفر عبدالسلام: ص١٩٩.

فعن قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «أمر الله نبيّه أن يشاور أصحابه في الأُمور، وهو يأتيه وحي السماء، لأنّه أطيب لأنفس القوم، وأنّ القوم إذا شاور بعضهم بعضاً وأرادوا بذلك وجه الله عزم لهم على الرشد»[(١)].

وعن الحسن البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قال: قد علم الله أنّه ما به إليهم من حاجة، ولكن أراد أن يستنّ به من بعده»[(٢)]، وقال: «ما تشاور قوم قط إلّا هداهم الله لأفضل ما بحضرتهم»[(٣)].

◆ رابعاً: إقامة العدل بين الناس:

فالعدل في الإسلام هو غاية الغايات من الحكم الإسلامي، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]، إنه عدل مطلق عام شامل، ومن ثم يوجب الإسلام التزامه بالنسبة للمسلمين وغير المسلمين، وبالنسبة للأصدقاء والأعداء.

وقد أمر الله به مع الأعداء، ومع من بيننا وبينهم بغض ومفارقة لأي سبب، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟﴾ [المائدة: ٢]، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

---

(١) الدر المنثور للسيوطي ٢/ ٣٥٨.

(٢) الدر المنثور ٢/ ٣٥٨.

(٣) الدر المنثور ٧/ ٣٥٧.

◆ خامساً: طاعة الحاكم ونصرته في المعروف وألا ينازع في حكمه:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[النساء: ٥٩].

وعن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: **(بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، في العسر واليسر، والمنشط والمكره، والأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم)**[(١)].

فمن مبادئ الحكم الإسلامي أن الحاكم مادام قائماً بأمر الله، حاكماً بالعدل، منفذاً لأحكام الشرع، ملتزماً بها في أعماله وتصرفاته، راعياً لأمانته وعهده، وكان مستوفياً شروط الولاية إبان ولايته، وجب له على الأمة حقان: حق الطاعة وحق النصرة.

قال الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإذا قام الإمام بما ذكرناه من حقوق الأمة، فقد أدى حق الله تعالى فيما لهم وعليهم، ووجب له عليهم حقان: الطاعة والنصرة ما لم يتغير حاله»[(٢)].

مع التأكيد على أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وعدم إعانتهم على ظلمهم – إن وقع – والسعي في نصحهم وإرشادهم، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال **(الدين النصيحة)** فقال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: لمن؟ قال: **(لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)**[(٣)].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب، كيف يبايع الإمام الناس (٧١٩٩)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية (١٧٠٩).

(٢) الأحكام السلطانية للماوردي ص ٤٢.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة (٥٥).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به وتنبيهم وتذكيرهم برفق ولطف وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين وترك الخروج عليهم وتألف قلوب الناس لطاعتهم قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم والجهاد معهم وأداء الصدقات إليهم وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة وأن لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم وأن يدعى لهم بالصلاح»[1].

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ٢/ ٣٨.

المبحث التاسع

محاسن تشريع العناية

بالعلوم الإنسانية والدنيوية في الإسلام

من الأمور التي اهتم بها الاسلام غاية الاهتمام العلم الذي يقيم به الإنسان دينه، وكذلك العلم الذي يقيم به الدنيا، وبيان هذا الأمر في المطالب التالية[١]:

المطلب الأول: اهتمام الإسلام بالعلم.

المطلب الثاني: اهتمام الإسلام برعاية طلاب العلم.

المطلب الثالث: نماذج لعلماء الإسلام وتخصصاتهم.

المطلب الرابع: المكتبات في الحضارة الإسلامية.

المطلب الخامس: الاهتمام بالمدارس وطلاب العلم الوافدين في الحضارة الإسلامية.

---

(١) للاستزادة ينظر: طلب العلم فوائد ونصائح وحكم للذهبي، جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر، موسوعة رعاية طلاب العلم في الإسلام، إشراف أ.د محمد بن عبدالعزيز العواجي، ماذا قدم المسلمون للعالم- إسهامات المسلمين في الحضارة الإسلامية، د. راغب السرجاني، العلم وبناء الأمم د. راغب السرجاني، الإسلام والعلم التجريبي د. فاروق الدسوقي، العناية بطلاب العلم عند علماء المسلمين، د. عبدالحكيم الأنيس، والعلم والعلماء، زيد الفياض.

المطلب الأول

اهتمام الإسلام بالعلم

اهتم الإسلام من أول يوم نزل فيه بالعلم فكان أول ما نزل به القرآن هو الأمر بالقراءة والإشارة إلى العلم، بقوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ - ٥]، وجاء رسول الله ﷺ ليقول كذلك: (طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ)[(١)].

والإسلام يهتم بهذا بالعلم لأنه الطريق لمعرفة الحق، قال تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦].

والعلم يميز أهل العلم عن غيرهم، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

وعن أبي أمامة الباهليّ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: **(فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم)**[(٢)].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(من سلك طريقاً يطلب فيه علماً؛ سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض و كل شيء حتى**

---

(١) سنن ابن ماجه، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم(٢٢٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٨٣)، وقال السيوطي في شرحه على سنن ابن ماجه١/ ٢٠: وقال المزي: هذا الحديث روى من طريق تبلغ رتبة الحسن، وهو كما قال فإني رأيت له خمسين طريقاً.

(٢) جامع الترمذي، كتاب العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (٢٦٨٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٢١٣).

الحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء، لم يورثوا درهماً ولا ديناراً؛ وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر)[١].

والأدلة في ذلك كثير حتى أنه صنفت في الإسلام كتب عن فضل العلم والعلماء[٢]..

ففي الإسلام كل مسلم عليه أن يتعلم ما يقيم به دينه، من علوم شرعية، وما يقيم به حياته وحياة المجتمع من علوم إنسانية ودنيوية كالطب والهندسة والتجارة والزراعة والرعي.. وتطوير ذلك كله «فالعلوم الدنيوية كالهندسة والطب والفيزياء والكيمياء.. وغيرها من العلوم التي يخدم بها المسلم دينه وأمته فإن أقل ما يقال في حكمها هو الإباحة لأن الأصل في المنافع الإباحة، ويرتقي للوجوب إذا عدم من يتقنه وكانت الحاجه إليه ووجود من يستطيع تعلمه، وذلك لأن تعلم تلك العلوم يجعل الأمة قوية عزيزة مهابة، وهذا واجب على الأمة وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فإذا قام من يفي بذلك عن الأمة سقط عن الباقين، وإذا تركه الجميع أثم من يجد في نفسه القدرة على تحصيل تلك العلوم.

وبناء على ما سبق إذا لم يكن تحصيل تلك العلوم إلا بالرحلة إليها وبالمسلمين حاجة لتحصيلها، فيجب على من وجد في نفسه القدرة على تحصيل تلك العلوم أن يرحل لاكتسابها لأنه ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»[٣].

---

(١) سنن أبي داود كتاب العلم باب الحث على طلب العلم (٣١٥٧)، جامع الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه في الدين (٣٦٠٦)، سنن ابن ماجه، كتاب الفضائل، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (٢١٩). وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٢٣)، وصحيح الترغيب والترهيب (٧٠).

(٢) مثل كتاب: فضل العلم والعلماء لابن القيم.

(٣) ينظر رسالة: أحكام الابتعاث للخارج في الفقه الإسلامي. د. حصة الرقيق ص٣٨.

فالقضية في الإسلام واجب ديني، وقضيَّة اجتماعية مفروضة على الجميع؛ إذ يجب أن يطلب الجميعُ العلمَ، ليصبحوا جميعاً متعلِّمين فيما يعملون ويتخصصون فيه، لم يُستثنَ من ذلك رجل أو امرأة.

وقد كان لذلك كله أثر بعيد المدى في الدولة الإسلاميَّة بعد ذلك، حيث ولَّد نشاطاً علميّاً واسعاً في مختلَف ميادين العلم والمعرفة، نشاطاً لم يعهد له التاريخ مثيلاً، ممَّا جعله يحقِّق ازدهاراً حضاريّاً عظيماً على أيدي علماء المسلمين، ويمدُّ التراث الإنساني بذخيرة علميَّة رائعة، يظلّ العالم بأسره مديناً لها.

فلقد بدأت الحركة العلمية في زمن النبي ﷺ واستمرَّت بعد وفاته وظهرت آثارها ومظاهرها الرائعة، والتي أبهرت الأوربيين[١].

يقول أحد المفكرين الغربيين: «إن ما يدين به علمنا للعرب ليس فيما قدموه إلينا من كشوف مدهشة لنظريات مبتكرة. بل يدين لهم بوجوده نفسه. فالعالم القديم - كما رأينا - لم يكن للعلم فيه وجود.. وقد نظم اليونان المذاهب وعمموا الأحكام ووضعوا النظريات. ولكن أساليب البحث في دأب وأناة وجمع المعلومات الإيجابية وتركيزها والمناهج التفصيلية للعلم والملاحظة الدقيقة المستمرة والبحث التجريبي كل ذلك كان غريباً تماماً عن المزاج اليوناني.. أما ما ندعوه «العلم» فقد ظهر في أوربا نتيجة لروح من البحث جديدة ولطرق من الاستقصاء مستحدثة.. وهذه الروح وتلك المناهج أوصلها العرب إلى العالم الأوربي»[٢].

(١) للاستزادة يرجع لكتاب: إسهامات المسلمين في الحضارة الإسلامية، د. راغب السرجاني.

(٢) ينظر: تجديد الفكر الديني في الإسلام لمحمد إقبال ص١٥٠، نقلاً عن المفكر الغربي: بريفولت في كتابه بناء الإنسانية.

المطلب الثاني

اهتمام الإسلام برعاية طلاب العلم

فالإسلام وصل إلى أبعد من هذا حيث قرر أهمية رعاية طلاب العلم ليتفرغوا لطلب العلم، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ﴾ [التوبة١٢٢].

قال الشيخ ابن سعدي في توجيه لطيف لهذه الآية: «إنَّ المسلمين ينبغي لهم أنْ يُعِدوا لكلِّ مصلحة من مصالحهم العامة من يقوم بها، ويوفر وقته عليها، ويجتهد فيها، ولا يلتفت إلى غيرها، لتقوم مصالحهم، وتتم منافعهم، ولتكون وجهة جميعهم، ونهاية ما يقصدون قصداً واحداً، وهو قيام مصلحة دينهم ودنياهم، ولو تفرقت الطرق وتعددت المشارب، فالأعمال متباينة، والقصد واحد، وهذه من الحكم العامة النافعة في جميع الأمور»[١].

وقال رسول الله ﷺ: **(سيأتيكم أقوام يطلبون العلم. فإذا رأيتموهم فقولوا لهم مرحباً بوصية رسول الله ﷺ. وأقنوهم)**[٢].

وقوله: (وأقنوهم) «أَي: علموهم وَاجْعَلُوا لَهُم قنية من الْعلم يستغنون بهَا إِذا احتاجوا اليه، والْقنية بِالْكَسْرِ وَالضَّم مَا اكْتَسبهُ وخزنه لِحَاجَتِهِ»[٣].

لقد اهتم السلف رحمهم الله بالعناية بطلاب العلم ورعايتهم، فعن

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٣٥٥.

(٢) سنن ابن ماجه افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب الوصاة بطلبة العلم (٢٤٧) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٨٠) وصحيح سنن ابن ماجه (٢٠١).

(٣) شرح سنن ابن ماجه للسيوطي وغيره ١/ ٢٢ نسخة المكتبة الشاملة.

عبد الله بن مسعود من طرق أنه كان يقول إذا رأى الشباب يطلبون العلم: «مرحباً بينابيع الحكمة ومصابيح الظلم، خلقان الثياب، جدد القلوب، حلس البيوت ريحان كل قبيلة»(١).

وعن عباس بن يزيد قال: حدثنا حبان بن موسى قال: عوتب ابن المبارك فيما يفرق من المال في البلدان دون بلده، قال: «**إني أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق، طلبوا الحديث، فأحسنوا طلبه لحاجة الناس إليهم، احتاجوا، فإن تركناهم ضاع علمهم، وإن أعناهم بثوا العلم لأمة محمد ﷺ، لا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم**»(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رزق الكفاية لطلبة العلم من الواجبات الشرعية؛ بل هو من المصالح الكلية التي لا قيام للخلق بدونها»(٣).

المطلب الثالث

نماذج لعلماء الإسلام وتخصصاتهم

وهنا سنعرض أبرز علماء المسلمين الأوائل في مجال البحوث العلمية التي هي ثمرة المنهج الإسلامي في تأدية واجب الاستخلاف في الأرض وأن العلم هو الخطوة الأولى بعد الإيمان بالله في تحقيق ذلك الاستخلاف.

فلقد أثبتت الحقائق التاريخية أن العلماء المسلمين العرب وجهوا نشاطهم

(١) جامع بين العلم وفضله، ١/ ٢٣١ (٢٥٦)، شعب الإيمان للبيهقي ٢/ ٢٤٢ (١٦٠٠).
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ٨/ ٣٨٧. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٠/ ١٦٠.
(٣) مجموع الفتاوى ٧/ ٤٥٧.

الفكري إلى ميادين العلوم الإنسانية منذ ظهور الإسلام، ومن هؤلاء العلماء البارزين المؤسسين للفرضيات والنظريات في مجال تقنية المعلومات، ابن سينا: مكتشف الطب الوقائي والقانون الأول، والخوارزمي: واضع علم الجبر على أسسه الصحيحة، وابن نفيس: من عباقرة أطباء التشريح سبق علماء الغرب بثلاثة قرون، وابن حمزة المغربي الذي بلور فكرة اللوغاريتمات[١].

والحسن بن الحسن بن الهيثم العالم الموسوعي الذي قدم إسهامات كبيرة في الرياضيات والبصريات والفيزياء وعلم الفلك والهندسة وطب العيون والفلسفة العلمية والإدراك البصري والعلوم بصفة عامة بتجاربه التي أجراها مستخدماً المنهج العلمي، وله العديد من المؤلفات والمكتشفات العلمية التي أكدها العلم الحديث[٢].

وهنا يقول الحسن بن الهيثم: «أنا ما دامت لي الحياة سأبذل جهدي وعقلي مستخدماً طاقتي في العلم لثلاثة أمور: إفادة من يطلب الحق في حياتي وبعد مماتي، وذخيرة لي في قبري ويوم حسابي، ورفعة لسلطان المسلمين»[٣].

---

(١) للاستزادة يرجع لكتاب: إسهامات المسلمين في الحضارة الإسلامية، د. راغب السرجاني.

(٢) للاستزادة حول ابن الهيثم يرجع لكتاب: الحسن بن الهيثم، بحوثه وكشوفه البصرية. د. مصطفى نظيف.

(٣) صناعة الهدف، هشام مصطفى عبدالعزيز ص ١٥٩.

المطلب الرابع

المكتبات في الحضارة الإسلامية[(١)]

انتشرت المكتبات في جميع أرجاء الدولة الإسلامية، فوُجدت المكتبات في قصور الخلفاء، وفي المدارس والكتاتيب والجوامع، وكما وُجدت في عواصم الإمارات وُجدت كذلك في القرى النائية، والأماكن البعيدة؛ مما يؤكد على تأصُّل حُبِّ العلم لدى أبناء هذه الحضارة.

ومن أشهر المكتبات في الحضارة الإسلامية، ومن أهمِّها مكتبة بغداد **«بيت الحكمة»**.

وكانت مدينة قرطبة العاصمة تضم سبعين داراً للكتب[(٢)]. وأكبرها مكتبة قرطبة التي أسَّسَهَا الخليفة الأموي الحكم المستنصر سنة ٣٥٠هـ في قرطبة، وقد أقام لها موظَّفِين مخصَّصِين للعناية بشئونها، وجمع فيها النسَّاخ، وعيَّن لها عدداً كبيراً من المجلِّدِين، وقد ظلَّتْ محطَّ أنظار العلماء وطلاب العلم في الأندلس، وقد وفد إليها الأوربيون للنهل من مَعِينِهَا، وعلومها، وقد كانت عدة الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربعاً وأربعين فهرسة، في كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها إلا ذكر الدواوين[(٣)].

(١) للاستزادة ينظر: أنواع المكتبات في العالمين العربي والإسلامي، سعيد أحمد حسن، والمكتبات في الحضارة العربية الإسلامية ربحي مصطفى عليان.

(٢) المسلمون والجرمان، إبراهيم العدوي، ص ٢٧٠.

(٣) التكملة لكتاب الصلة لابن الآبار ١/ ١٩٠.

وكان «الإنفاق على المكتبات بصفة عامَّة من ريع الأوقاف التي تُوقَف عليها؛ حيث كانت الدولة تُخَصِّصُ لها أوقافاً مُعَيَّنَة، ويُقَدِّمُ لها بعض الأغنياء وأهل الخير أوقافاً تساعد في الإنفاق عليها»[1].

«وهذا أبو القاسم جعفر بن محمد أوقف داراً أسماها دار العلم، وجعل فيها خزانة كتب من جميع العلوم وقفاً على كل طالب علم، لا يمنع أحد من دخولها، **وإذا جاءها غريب يطلب الأدب أعطاه ورَقاً ووَرِقاً - أي كتباً ونقوداً-** وكانت تفتح يوميّاً»[2].

المطلب الخامس

الاهتمام بالمدارس وطلاب العلم الوافدين في الحضارة الإسلامية

ازدهرت الحياة الثقافية في الأندلس وبخاصة في عهد الحكم الثاني (٣٥٠- ٣٦٦ هـ) وكانت جامعة قرطبة التي أنشأها والده عبدالرحمن الناصر في المسجد الجامع يفد إليها الطلاب من جميع أنحاء الأندلس، ومن أفريقيا وأوروبا، وقد استدعى الحكم بعض الأساتذة المشهورين من الشرق ليحاضروا فيها[3].

والناظر للحضارة التعليمية الإسلامية يجد أنه: «كانت الدراسة فيها على قسمين: قسمٌ داخليٌّ للغرباء والذين لا تساعدهم أحوالهم المادية على أن يعيشوا على نفقات

(١) أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين، محمد حسين محاسنة ص١٦١.

(٢) الوقف ودوره في تنمية المجتمع ص٣٠.

(٣) المختصر في أخبار البشر أبو الفداء ٤/ ٢٤، تاريخ العرب، فليب حتى، ٢/ ٨٥٧، ٨٥٨.

آبائهم، وقسم خارجي لمن يريد أن يرجع في المساء إلى بيت أهله وذويه، أما القسم الداخلي فكان بالمجان أيضاً يهيأ للطلاب فيه الطعام والنوم والمطالعة والعبادة...

ولا تزال لدينا حتى الآن نماذج من هذه المدارس التي غمرت العالم الإسلامي كله، ففي دمشق لا تزال المدرسة النورية التي أنشأها البطل العظيم نور الدين الشهيد وهي ما تزال واقعة تعطينا نموذجاً حيًّا لهندسة المدارس في عصور الحضارة الإسلامية، ولقد زارها الرحالة ابن جبير في أوائل القرن السابع الهجري وكتب عنها أنها من أحسن مدارس الدنيا مظهراً، وهي قصر من القصور الأنيقة... وقد كانوا يأكلون فيها ثم عدل عن ذلك إلى راتب معلوم في آخر كل شهر يعطى للطلاب المنتسبين إليها[1].

ومن مناقب الإسكندرية ما ذكره ابن جبير في رحلته حيث قال: «والمدارس والمحارس الموضوعة فيه لأهل الطب والتعبد، يفدون من الأقطار النائية فيلقى كل واحد منهم مسكناً يأوي إليه ومدرساً يعلمه الفن الذي يريد تعلمه وإجراء يقوم به في جميع أحواله. واتسع اعتناء السلطان بهؤلاء الغرباء الطارئين حتى أمر بتعيين حمامات يستحمون فيها متى احتاجوا ذلك، ونصب لهم مارستاناً لعلاج من مرض منهم، ووكل بهم أطباء يتفقدون أحوالهم، وتحت أيديهم خدام يأمرونهم بالنظر في مصالحهم التي يشيرون بها من علاج وغذاء. وقد رتب أيضاً فيه أقوام برسم الزيارة للمرضى الذين يَتَنَزَّهون عن الوصول للمارستان المذكور من الغرباء خاصة، وينهون إلى الأطباء أحوالهم ليتكفلوا بمعالجتهم»[2].

(١) من روائع حضارتنا ٢٠٥/ ٢١٤ مختصراً.

(٢) رحلة ابن جبير ١/ ٤.

ويقول ابن بطوطة: «أما المدارس بمصر فلا يحيط أحد بحصرها لكثرتها: وأما الزوايا فكثيرة، والأمراء بمصر يتنافسون في بناء الزوايا وكل زاوية بمصر معينة لطائفة من الفقهاء، **وأكثرهم الأعاجم**. وهم أهل أدب. ولكل زاوية شيخ وحارس وترتيب أمورهم عجيب. ومن عوائدهم في الطعام أنه يأتي خديم الزاوية إلى الفقراء صباحاً، فيعين له كل واحد ما يشتهيه من الطعام. فإذا اجتمعوا للأكل جعلوا لكل إنسان خبزة ومرقة في إناء على حدة لا يشاركه فيه أحد، وطعامهم مرتان في اليوم، ولهم كسوة الشتاء وكسوة الصيف ومرتب شهري من ثلاثين درهماً للواحد في الشهر إلى عشرين، ولهم الحلاوة من السكر في كل ليلة جمعة، والصابون لغسل أثوابهم، والأجرة لدخول الحمام، والزيت للاستصباح، وهم أعزاب، وللمتزوجين زوايا على حدة، ومن المشترط عليهم حضور الصلوات الخمس، والمبيت بالزاوية، واجتماعهم بقبة داخل الزاوية[(١)].

- و«كان السلطان محمد الفاتح محبّاً للعلم والعلماء فبذل مجهوداً كبيراً في إنشاء المدارس والمعاهد،... وألحق بالمدارس والمعاهد مساكن للطلبة ينامون فيها ويأكلون، ووضعت لهم منحة مالية شهرية، وأنشأ بجانبها مكتبة خاصة، ويُعيرون فيها الكتب للطلبة والمدرسين»[(٢)].

---

(١) رحلة ابن بطوطة ١/ ١٥.

(٢) فاتح القسطنطينية السلطان محمد الفاتح، لعلي الصلابي ١٦٩-١٧٠ مختصراً.

المبحث العاشر

محاسن تشريع الجهاد في الإسلام

قضية الجهاد من القضايا الشائكة في الدعوة إلى الله ويطرح فيها من الشبهات التي يحاولون فيها اتهام الإسلام بالإرهاب، والكلام فيها يطول وسنعرض لأهم أربع قضايا لا بد وأن يعرفها الداعية في مجال محاسن الإسلام في تشريع الجهاد حتى لا يقع في قلبه الحرج وتتكون لديه صورة صحيحة يستطيع أن يبلغها وينقلها لغير المسلمين[١].

المطلب الأول: السِّلْم هو الأصل في الإسلام.

المطلب الثاني: لماذا الجهاد في الإسلام.

المطلب الثالث: ضوابط وأخلاقيات الجهاد في الإسلام.

المطلب الرابع: شبهة انتشار الإسلام بالسيف.

---

(١) للتوسع حول هذا الموضوع: ينظر كتب الفقه في أبواب الجهاد وكذلك كتب السنة وشروحها عند أبواب الجهاد، ومن الكتب المتخصصة في ذلك: الجهاد في الإسلام د. عبدالله الزاحم، والجهاد في الإسلام بين الطلب والدفاع، المفاهيم الصحيحة للجهاد في سبيل الله في ضوء الكتاب والسنة.. للشيخ سعيد القحطاني، الجديد في فقه الجهاد د. علي العمري، وفقه الجهاد في الإسلام لحسن أيوب، نظرات معاصرة في فقه الجهاد د. أحمد الإمام، وكذلك أسلوب استخدم القوة في كتاب الحكمة في الدعوة إلى الله أ.د سعيد بن وهف القحطاني فقد فصل فيه عن الجهاد والدعوة.

المطلب الأول

السِّلْم هو الأصل في الإسلام

كان الرسول يُعَلِّمُ أصحابه ويوجِّهَهُم فيقول لهم مربياً: (لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ)[١]، فالمسلم بطبيعة تربيته الأخلاقية التي يتربَّى عليها من خلال القرآن الكريم وسُنَّة النبي ﷺ يَكْرَهُ القتل والدماء، ومن ثَمَّ فهو لا يبدأ أحداً بقتال، بل إنه يسعى بِكُلِّ الطرق لتجَنُّبِ القتال وسفك الدماء، وفي آيات القرآن الكريم ما يُؤَيِّد هذا المعنى جيِّداً.

وتأمل قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] فإنها من الآيات التي تدعو للسلم ولا تدعو للحرب، حيث إنها تحث على إعداد القوة التي تجعل من تعرف ومن لا تعرف يهابك فلا يعتدي عليك، فقد قيل: الذي يريد السلام فليتجهز للحرب، وأعد جيشاً قويّاً تتجنب الحرب[٢].

والآية التي بعدها وهي قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[الأنفال:٦١] تدل على ذلك، قال الشيخ السعدي: «﴿وَإِن جَنَحُواْ﴾ الكفار المحاربون، أي: مالوا ﴿لِلسَّلْمِ﴾ أي: الصلح وترك القتال. ﴿فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ

(١) صحيح البخاري، عن عبدالله بن أبي أوفى: كتاب الجهاد والسير، باب كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار أخَّر القتال حتى تزول الشمس (٢٨٠٤) واللفظ له، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء (١٧٤٢).

(٢) هذه العبارات نقلتها عن أ. فاضل سليمان في دورة له عن كيفية التعامل مع الشبهات حول الإسلام، والأستاذ. فاضل سليمان من الدعاة المشهورين في أمريكا والدول الغربية، وهو مؤسسة ومدير مركز جسور للتعريف بالإسلام.

﴿عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ أي: أجبهم إلى ما طلبوا متوكلاً على ربك، فإن في ذلك فوائد كثيرة: منها: أن طلب العافية مطلوب كل وقت، فإذا كانوا هم المبتدئين في ذلك، كان أولى لإجابتهم.

ومنها: أن في ذلك إجماماً لقواكم، واستعداداً منكم لقتالهم في وقت آخر، إن احتيج لذلك، ومنها: أنكم إذا أصلحتم وأمن بعضكم بعضاً، وتمكن كل من معرفة ما عليه الآخر، فإن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه، فكل من له عقل وبصيرة إذا كان معه إنصاف فلا بد أن يؤثره على غيره من الأديان، لحسنه في أوامره ونواهيه، وحسنه في معاملته للخلق والعدل فيهم، وأنه لا جور فيه ولا ظلم بوجه، فحينئذ يكثر الراغبون فيه والمتبعون له، فصار هذا السلم عوناً للمسلمين على الكافرين.

ولا يخاف من السلم إلا خصلة واحدة، وهي أن يكون الكفار قصدهم بذلك خداع المسلمين، وانتهاز الفرصة فيهم. فأخبرهم الله أنه حسبهم وكافيهم خداعهم، وأن ذلك يعود عليهم ضرره، فقال: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢]»[(١)].

ومن الأدلة كذلك على أن الإسلام دين السلام أن الله تعالى سمى صلح الحديبية فتحاً، قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا﴾ [الفتح: ١]، وهذه السورة نزلت في صلح الحديبية[(٢)]، فقد سمى الله تعالى معاهدة صلح حقنت فيها الدماء فتحاً مبيناً..

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٣٣٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية (٤١٧٢)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية (١٧٨٦).

المطلب الثاني

لماذا الجهاد في الإسلام

الإذن بالقتال لم يأتِ إلَّا بعد أن بُدِئَ المسلمون بالحرب، وحينئذٍ لا بُدَّ من الدفاع عن النفس والدين، وإلَّا كان هذا جُبْناً في الخُلُق، وخوراً في العزيمة، قال الله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾[الحج: ٣٩ – ٤٠].

وعلَّة القتال واضحة في الآية، وهي أن المسلمين ظُلِموا وأُخرِجوا من ديارهم بغير حقٍّ. ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

يقول القرطبي: «هذه الآية أَوَّل آية نَزَلَتْ في الأمر بالقتال، ولا خلاف في أن القتال كان محظوراً قبل الهجرة بقوله: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾[فصلت: ٣٤]، وقوله: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣]، وما كان مثله ممَّا نزل بمكة، فلمَّا هاجر إلى المدينة أُمِرَ بالقتال»(١).

والملاحَظُ أن الأمر بالقتال هنا إنما جاء لمحاربة مَنْ بدأ بالقتال فقط، دون المسالِم، وجاء التأكيد الشديد على ذلك المعنى بقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾ ثم التحذير للمؤمنين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ فالله تعالى لا يُحِبُّ الاعتداء، ولو كان على غير المسلمين، وفي هذا تحجيم كبير لاستمرار القتال.

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٣٤٧.

ومن هنا فإنه لا يجوز للمسلم أن يُقَاتِلَ مَنْ لم يقاتِلْه إلَّا بِعِلَّة واضحة، كَسَلْبٍ أو نهبٍ أو اغتصابٍ لحقوقِ المسلمين، أو بسبب ظلم أوقعوه بأحدٍ، والمسلمون يُرِيدون رفع هذا الظلم، أو بسبب منعهم للمسلمين من نَشْرِ دينهم، أو إيصال هذا الدين للآخرين.

ومثل الآية السابقة يقول الله تعالى أيضاً: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [التوبة: ١٣]، والمقصود بمن نكثوا أيمانهم كُفَّار مكة، وكان سبباً في خروج النبي ﷺ فأضيف الإخراج إليهم، وقيل: أخرجوا الرسول ﷺ من المدينة لقتال أهل مكة للنكث الذي منهم، وعن الحسن ﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ﴾ بالقتال ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي نقضوا العهد، وأعانوا بني بكر على خزاعة، وقيل: ﴿بَدَءُوكُمْ﴾ بالقتال يوم بَدْر؛ لأن النبي ﷺ خرج للعِيرِ، ولمَّا أحرزوا عيرهم كان يمكنهم الانصراف، فأبوا إلَّا الوصول إلى بدر، وشُرْب الخمر بها.. وقيل: إخراجهم الرسول ﷺ، منعهم إياه من الحج والعمرة والطواف، وهو ابتداؤهم[1].

فهذه هي الأسباب والدوافع التي تدعو المسلمين إلى الحرب، وهي أسباب ودوافع لا يُنْكرها منصف، ولا يعترض عليها محايد؛ فهي تشمل:

١- إعلاء كلمة الله، وتبليغ دينه، ودعوة الناس إليه، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣﴾ [البقرة: ١٩٣].

٢- نصر المظلومين، قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥].

(١) الجامع لأحكام القرآن ٨/ ٨٦.

٣- رد العدوان، وحفظ الإسلام، وحماية عقيدة التوحيد، قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]، وقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٣٩-٤٠][1].

فلا بد من تأمين الدين والاعتقاد للمؤمنين الذين يحاول الأعداء أن يفتنوهم عنه، وأيضاً حماية الدعوة حتى تُبَلَّغ للناس جميعاً من غير إكراه[2].

ومن المهم التنبيه أن الأمر بالصبر قرين الأمر بالجهاد في الإسلام وهناك أحوال يكون الصبر والعفو عن الأعداء، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٣٩-٤٣].

قال ابن القيم: «فمدحهم على عفو بعد قدرة لا على عفو وذل وعجز ومهانة، وهذا هو الكمال»[3].

---

(١) الحكمة في الدعوة إلى الله لسعيد بن وهف القحطاني ٢/ ٥٤٢.

(٢) انظر: بماذا انتصر المسلمون أنور الجندي: ص٥٧-٦٢.

(٣) الروح ص٢٤٢.

المطلب الثالث

ضوابط وأخلاقيات الجهاد في الإسلام[(١)]

«إنَّ حُسْنَ الخُلُق، ولين الجانب، والرحمة بالضعيف، والتسامح مع الجار والقريب تفعله كل أُمَّة في أوقات السِّلْمِ مهما أوغلت في الهمجية، ولكن حُسْن المعاملة في الحرب، ولين الجانب مع الأعداء، والرحمة بالنساء والأطفال والشيوخ، والتسامح مع المغلوبين، لا تستطيع كل أُمَّة أن تفعله، ولا يستطيع كل قائد حربي أن يتَّصِفَ به؛ إن رؤية الدم تُثِيرُ الدم، والعداء يؤجِّج نيرانَ الحقدِ والغضب، ونشوة النصر تُسْكِرُ الفاتحين؛ فتوقعهم في أبشع أنواع التشفِّي والانتقام.

وهنا يتوج التاريخ قادة حضارتنا الإسلامية؛ عسكريين ومدنيين، فاتحين وحاكمين؛ إذ انفردوا من بين عظماء الحضارات كلها بالإنسانية الرحيمة العادلة في أشدِّ المعارك احتداماً، وفي أحلك الأوقات التي تحمل على الانتقام والثأر وسفك الدماء، وأُقْسِم لولا أن التاريخ يتحدَّث عن هذه المعجزة الفريدة في تاريخ الأخلاق الحربية بِصِدْقٍ لا مجال للشكِّ فيه لقلتُ إنها خرافة من الخرافات وأسطورة لا ظلَّ لها على الأرض»[(٢)].

فإذا كان السلم هو الأصل في الإسلام، وإذا شُرِعَتِ الحرب في الإسلام للأسباب والأهداف التي ذكرناها سابقاً؛ فإن الإسلام كذلك لم يترك الحرب هكذا دون قيود أو قانون، وإنما وضع لها ضوابط تحدُّ ممَّا يُصَاحبها، وبهذا جعل الحروب مضبوطة

---

(١) للاستزادة ينظر كتاب: أخلاقيات الحروب الإسلامية في سيرة خير البرية د. إيهاب كمال.

(٢) من روائع حضارتنا، مصطفى السباعي بتصرف ص٧٣.

بالأخلاق ولا تُسَيِّرُهَا الشهوات، كما جعلها ضدَّ الطغاة والمعتدين لا ضدَّ البرآء والمسالمين، وتتمثَّل أبرز هذه القيود الأخلاقية فيما يلي:

أولاً: عدم الاعتداء:

قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

فيدخل في ذلك ارتكاب المناهي: من المثلة والغلول، وقتل النساء، والصبيان، والشيوخ الذين لا رأي لهم ولا قتال، والرُّهبان، والمرضى، والعُمي، وأصحاب الصّوامع؛ لكن من قاتل من هؤلاء أو استعان الكفّار برأيه قتل[١].

ولهذا كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميراً على جيش أو سريّة أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: **(اغزوا بسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا، ولا تُمثّلوا، ولا تقتلوا وليداً...)**[٢]، وفي رواية: **(لَا تَقْتُلُوا شَيْخاً فَانِياً، وَلَا طِفْلاً، وَلَا صَغِيراً، وَلَا امْرَأَةً...)**[٣]، وقال: **(لا تقتلن ذرية ولا عسيفاً[٤])**[٥].

---

(١) انظر: المغني لابن قدامة ١٣/ ١٧٥-١٧٩.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث (١٧٣١).

(٣) سنن أبي داوود، كتاب الجهاد، باب في دعاء العدو (٢٦١٤)، مصنف ابن أبي شيبة ٦/ ٤٨٣، السنن الكبرى للبيهقي (١٧٩٣٢). وقال ابن الاثير في جامع الأصول٢/٥٩٦: وفي سنده خالد بن الفزر الراوي عن أنس لم يوثقه غير ابن حبان، وبقية رجاله ثقات، وله شواهد يتقوى بها.

(٤) العسيف: الأجير. ينظر: المصباح النير للفيومي ص١٥٥.

(٥) سنن ابن ماجه، كتاب الجهاد، باب الغارة والبيات وقتل الصبيان (٢٨٣٢)، والمستدرك على الصحيحين للحاكم ٢/ ١٣٣ (٢٥٦٥)، وقال الحاكم: الحديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

وفي رواية: (وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيداً، أَوِ امْرَأَةً، وَلا كَبِيراً فَانِياً، وَلا مُنْعَزِلاً بِصَوْمَعَةٍ)[١].

ثانياً: عدم الإفساد في الأرض:

ويدخل عدم الإفساد في الأرض في عدم الاعتداء، وذلك قتل الحيوان لغير مصلحة، وتحريق الأشجار، وإفساد الزّروع والثّمار، والمياه، وتلويث الآبار، وهدم البيوت[٢].

فلم تكن حروب المسلمين حروب تخريبٍ يحرص فيها المتقاتلون من غير المسلمين على إبادة مظاهر الحياة لدى خصومهم، بل كان المسلمون يحرصون أشدَّ الحرص على الحفاظ على العمران في كل مكان، ولو كان ببلاد أعدائهم، وظهر ذلك واضحاً في كلمات أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وذلك عندما وصَّى جيوشه المتجهة إلى فتح الشام، وكان مما جاء في هذه الوصية: «وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَلا تُغْرِقُنَّ نَخْلاً وَلا تَحْرِقُنَّهَا، وَلا تَعْقِرُوا بَهِيمَةً، وَلا شَجَرَةً تُثْمِرُ، وَلا تَهْدِمُوا بِيْعَةً»[٣].

ثالثاً: عدم الغدر:

قال تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

فإذا كان بين المسلمين والكفار عهد أو أمان فلا يجوز للمسلمين الغدر حتى

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها (١٧٣١).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ١/ ٢٢٧ وعناصر القوة في الإسلام، ص٢١٢.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ٩/ ١٤٥ (١٨١٢٥)، شرح مشكل الآثار للطحاوي ٣/ ١٤٤ (١١١١)، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٧٥.

ينقضي الأمد، فإن خاف المسلمون من أعدائهم خيانةً، بأن ظهر من قرائن أحوالهم ما يدل على خيانتهم من غير تصريح منهم بالخيانة، فحينئذٍ يخبرهم المسلمون أنه لا عهد بيننا وبينكم حتى يستوي علم المسلمين وعلم أعدائهم بذلك.

ودل مفهوم الآية أيضاً أنه إذا لم يُخف منهم خيانة؛ بأن لم يوجد منهم ما يدل على ذلك، أنه لا يجوز نبذ العهد إليهم، بل يجب الوفاء إلى أن تتم مدته[(١)].

ولذا يقول النبي ﷺ: (**من كان بينه وبين قومٍ عهدٌ فلا يشدُّ عقدة ولا يحلها حتى ينقضيَ أمَدُها أو ينبذ إليهم على سواء**) فرجع معاوية[(٢)].

كان النبي ﷺ يودِّع السرايا موصِياً إياهم: (**وَلاَ تَغْدِرُوا**). ولم تكن هذه الوصية في معاملات المسلمين مع إخوانهم المسلمين، بل كانت مع عدوٍّ يكيد لهم، ويجمع لهم، وهم ذاهبون لحربه!

وقد وصلت أهمية هذا الأمر عند رسول الله ﷺ أنه تبرَّأ من الغادرين، ولو كانوا مسلمين، ولو كان المغدورُ به كافراً؛ فقد قال النبي: (**مَنْ أَمَّنَ رَجُلاً عَلَى دَمِّهِ فَقَتَلَهُ، فَأَنَا بَرِيءٌ مِنَ القَاتِلِ، وَإِنْ كَانَ المَقْتُولُ كَافِراً**)[(٣)].

رابعاً: قبول السلم والهدنة إن طلب العدو المقاتل:

قال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١].

«فإن في ذلك فوائد كثيرة، منها: أن طلب العافية مطلوب كل وقت، فإذا كانوا هم

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٢/ ٣٢١، وتيسير الكريم الرحمن ص٣٢٤.

(٢) سنن أبي داوود، كتاب الجهاد، باب في الإمام يكون بينه وبين العدو عهد فيسير إليه (٢٧٥٩)، وجامع الترمذي، كتاب السير، باب ما جاء في الغدر (١٥٨٠)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) التاريخ الكبير للبخاري ٣/ ٣٢٢، واللفظ له، وصحيح ابن حبان ١٣/ ٣٢٠ (٥٩٨٢)، وحلية الأولياء ٩/ ٢٤ وصححه الألباني في صحيح (٦١٠٣).

المبتدئين في ذلك كان أولى لإجابتهم، ومنها: أن في ذلك إجماماً لقواكم، واستعداداً منكم لقتالهم في وقت آخر إن احتيج لذلك، ومنها: أنكم إذا اصطلحتم وأَمِنَ بعضُكم بعضاً، وتمكن كلٌّ من معرفة ما عليه الآخر، فإن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه، فكل من له عقل وبصيرة إذا كان معه إنصاف فلا بد أن يؤثره على غيره من الأديان»[١].

خامساً: حسن معاملة الأسرى:

وإن محاسن الإسلام في الجهاد لتَصِلُ إلى أوج عظمتها حين تتعلَّق بالأسرى أثناء الحروب، فالشأن في الحروب أنها يغلب عليها رُوح الانتقام والتنكيل، لا رُوح الإنسانيَّة والرحمة، ولكن الإسلام كان له منهجٌ إنسانيٌّ تحكمه الرحمة.

ومن الإحسان للأسرى الإنفاق على الأسير فإن هذا مما يُثَاب عليه المسلمُ؛ وذلك بحكم ضَعْفِه وانقطاعه عن أهله وقومه، وشِدَّة حاجته للمساعدة، وقد قرن القرآن الكريم بِرَّهُ بِبِرِّ اليتامى والمساكين؛ فقال في وصف المؤمنين: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]، «اقتصر على الثلاثة لأنهم من أهم مَن تجدر الصدقة عليهم؛ فإن المسكين عاجز عن الاكتساب لما يكفيه. واليتيم مات مَن يعوله ويكتسب له، مع نهاية عجزه بصغره. والأسير لا يملك لنفسه نصراً ولا حيلة»[٢].

وفي قصة ثمامة بن أثال وكيف كان النبي ﷺ يعامله[٣] أروع النماذج في الإحسان

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٣٢٥.

(٢) محاسن التأويل ٩/ ٣٧٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب أبواب المساجد، باب الاغتسال إذا أسلم وربط الأسير أيضاً في المسجد، وكان شريح يأمر الغريم أن يحبس إلى سارية المسجد (٤٦٢).

للأسرى حتى إن رسول الله ﷺ قال لأصحابه رضي الله عنهم: **(أحسنوا إساره[١])** ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أهله، فقال: **(اجمعوا ما كان عندكم من طعام، فابعثوا به إليه، وأمر بلقحته[٢] أن يغدى عليه بها ويراح)**[٣]. أي أن النبي ﷺ كان يطعمه من بيته ويسقيه من ناقته.

ومن الإحسان للأسرى ما ورد أنه ﷺ عندما رأى أسرى يهود بني قُرَيْظة موقوفين في العراء في ظهيرة يوم قائظ، فقال مخاطِباً المسلمين المكلَّفين بحراستهم: **(لَا تَجْمَعُوا عَلَيْهِمْ حَرَّ الشَّمْسِ وَحَرَّ السِّلَاحِ، وَقَيِّلُوهُمْ[٤] وَاسْقُوهُمْ حَتَّى يَبْرُدُوا)**[٥].

ومن الإحسان للأسرى أن الإسلام يمنعُ تعذيب الأسير للإدلاء بمعلومات، وقد قيل للإمام مالك: أَيُعذَّبُ الأسيرُ إن رُجِيَ أن يدلَّ على عورة العدوِّ؟ قال: ما سمعت بذلك[٦].

وهذا ما أنكره النبي ﷺ على بعض الصحابة عندما ضربوا غلامين من قريش وقعا أسيرين في أحداث بدر، فقال لهم: **(إِذَا صَدَقَاكُمْ ضَرَبْتُمُوهُمَا، وَإِذَا كَذَبَاكُمْ**

(١) الإسار بالكسر مصدر أسرته أسراً وإساراً. وهو أيضاً الحبل والقد الذي يشد به الأسير. ينظر: النهاية في غريب الحديث ١/ ٤٨ أي: عاملوه بإحسان وهو في القيد.

(٢) اللَّقْحةُ واللِقْحةُ: النَّاقة الحلوب الغزيرة اللبن. ينظر: كتاب العين ٣/ ٤٧.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٦٣٨، والروض الأنف للسهيلي ٧/ ٥٠١.

(٤) قيلوهم: أي أريحوهم بالقيلولة، وهي راحة نصف النهار عند حر الشمس. ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية ٤/ ١٩٨.

(٥) ينظر: مغازي الواقدي ٢/ ٥١٤، وإمتاع الأسماع للمقريزي ١/ ٢٥٠، وسبل الهدى والرشاد للصالحي ٥/ ١٣.

(٦) التاج والإكليل لمختصر الخليل لمحمد بن يوسف العبدري ٤/ ٥٤٨.

تَرَكْتُمُوهُمَا، صَدَقَا، وَاللهِ إِنَّهُمَا لَقُرَيْشٌ...)[(١)].

سادساً: عدم التمثيل بالميت:

فقد (نهى رسول الله ﷺ عن المُثْلَة)[(٢)].

وعمل رسول الله ﷺ بذلك رغم ما حدث في غزوة أُحُد من تمثيل المشركين بحمزة عمِّ الرسول ﷺ، فإنه لم يُغيِّر مبدأه.

بل هدَّد النبي ﷺ المسلمين تهديداً خطيراً إن قاموا بالتمثيل بأجساد قتلى الأعداء، فقال: (أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ قَتَلَهُ نَبِيٌّ، أَوْ قَتَلَ نَبِيّاً، وَإِمَامُ ضَلَالَةٍ، وَمُمَثِّلٌ مِنَ الْـمُمَثِّلِينَ)[(٣)].

وكان عمر بن الخطاب يقول إذا بعث أمراء الجيش: «لا تجبنوا عند اللقاء، ولا تمثلوا عند القدرة، ولا تسرفوا عند الظهور»[(٤)].

هذه هي بعض أخلاق الحروب عند المسلمين.. تلك التي لا تُلْغِي الشرف في الخصومة، أو العدل في المعاملة، ولا الإنسانية في القتال أو ما بعد القتال.

---

(١) ينظر: سيرة ابن هشام ١/ ٦١٧، والطبري في التاريخ٢/ ٤٣٦، والسهيلي: الروض الأنف، ٣/ ٥٨، والسيرة النبوية، لابن كثير٢/ ٣٩٧، وعيون الأثر، لابن سيد الناس١/ ٢٩١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب النهبى من غير إذن صاحبه (٢٣٤٢).

(٣) مسند أحمد٦/ ٤١٣ (٣٨٦٨)، واللفظ له، وحسنه شعيب الأرناؤوط، وقال الألباني: صحيح. انظر: السلسلة الصحيحة (٢٨١).

(٤) عيون الأخبار لابن قتيبة ١/ ١٠٧-١٠٨.

المطلب الرابع

شبهة انتشار الإسلام بالسيف[(١)]

انتشار الإسلام بالعنف من الشبهات التي يردِّدُها بعضُ المغرضين كثيراً؛ حيث يدَّعُون أن الإسلام كان عنيفاً يحبُّ إراقة الدماء، وأن الإسلام انتشر بالسيف، وأن معتنقي الإسلام لم يدخلوا فيه طواعية ولا اختياراً، وإنما دخلوا فيه بالقهر والإكراه.

إن هدف الفتوحات الإسلامية نشر الإسلام من خلال إزالة العوائق التي تقف أمام الناس في حرية الاعتقاد، فهم لا يكرهون الناس على الدخول في الدين وإنما انطلقوا لينشروا الإسلام وليرفعوا الظلم عن المظلومين الذين حيل بينهم وبين معرفة الحق.

فالحقيقة أن جوهر الإسلام وخبر التاريخ يكذِّبان هذه الفرية، ويستأصلونها من جذورها، فقوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، يمثل قاعدة أساسيَّة صريحة بالنسبة للحريَّة الدينيَّة، فلم يأمر الرسول الله ﷺ والمسلمون من بعده- أحداً باعتناق الإسلام قسراً، كما لم يُلجئوا الناس للتظاهر به هرباً من الموت أو العذاب؛ إذ كيف

(١) لم أقف على كتاب متخصص في هذا ولكن هذه المسألة مبثوثة في كتب الدفاع عن الإسلام ومنها: التسامح في الإسلام بين المبدأ والتطبيق د. شوقي أبو خليل، محمود حمدي زقزوق: حقائق إسلامية في مواجهة حملات التشكيك، وحقائق الإسلام وأباطيل خصومه عباس محمود العقاد ص١٦٩، ١٧٠. وبحث: الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية «أبعادها وضوابطها» د. محمد الزحيلي، مجمع الفقه الإسلامي الدورة التاسعة عشرة لعام ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م بالشارقة، وكتاب الحكمة في الدعوة إلى الله عند حديثه عن أسلوب استخدام القوة، وكتاب البابا والإسلام ليوسف بن عبدالله، مقال: هل انتشر الإسلام بالسيف د. محمد المنجد، منشور على موقع الإسلام سؤال وجواب، ومقال: الرد على مقولة انتشار الإسلام بالسيف، منشور على موقع دار الإفتاء المصرية، ومقال: حقيقة انتشار الإسلام بالسيف، د. ياسر منير. وقد كتب في هذا د. نبيل لوقا -وهو نصراني- كتاب بعنوان: كتاب انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء.

يصنعون ذلك وهم يعلمون أن إسلام المكْرَه لا قيمة له في أحكام الآخرة، وهي التي يسعى إليها كل مسلم؟!

وقد جعل الإسلام قضية الإيمان أو عدمه من الأمور المرتبطة بإرادة الإنسان نفسه واقتناعه فقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

ولفت القرآنُ نظر رسول الله ﷺ إلى هذه الحقيقة، وبيَّن له أن عليه تبليغ الدعوة فقط، وأنه لا سلطان له على تحويل الناس إلى الإسلام، فقال: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، ومن ذلك يتَّضح أن دستور المسلمين يرفض رفضاً قاطعاً إكراه أحد على اعتناق الإسلام[(١)].

ومن ذاك ما روي أن الصحابة أسروا ثمامة بن أثال الحنفي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقدموا به المدينة، وربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ فقال: **(ماذا عندك يا ثمامة؟)** فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت، فترك حتى كان الغد فقال: **(ما عندك يا ثمامة؟)** فقال: عندي ما قلت لك. إن تنعم تنعم على شاكر، فتركه حتى كان بعد الغد فقال: **(ما عندك يا ثمامة؟)** فقال: عندي ما قلت لك، فقال: أطلقوا ثمامة، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل، ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، يا محمد: والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليَّ من وجهك؛ فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إليَّ، والله ما كان دين أبغض إليَّ من دينك؛

(١) حقائق إسلامية في مواجهة حملات التشكيك، محمود حمدي زقزوق ص٣٣.

فأصبح دينك أحب الدين إليَّ، والله ما كان بلد أبغض إليَّ من بلدك؛ فأصبحت بلدك أحب البلاد إليَّ...الحديث[١].

فقد أسلم ثمامة بن أثال دون ضغط أو إكراه، فقد تركه النبي ﷺ في المسجد ثلاثة أيام متتالية وهو مشرك؛ لكي يرى ويشهد المسلمين وهم يصلون، ويتعاملون مع بعضهم، ورسول الله ﷺ بينهم يعلمهم ويرشدهم، فلما رأى ذلك أسلم، مع أن النبي ﷺ لم يكرهه على الإسلام.

يقول المؤرِّخ الفرنسي غوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب) وهو يتحدَّث عن سرِّ انتشار الإسلام في عهد رسول الله ﷺ وفي عصور الفتوحات من بعده: «قد أثبت التاريخ أن الأديان لا تُفْرَض بالقوَّة، ولم ينتشر الإسلام إذن بالسيف، بل انتشر بالدعوة وحدها، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب التي قهرت مؤخَّراً كالترك والمغول، وبلغ القرآن من الانتشار في الهند -التي لم يكن العرب فيها غير عابري سبيل- ما زاد عدد المسلمين إلى خمسين مليونَ نفس فيها -هذا في زمنه-، ولم يكن الإسلام أقلَّ انتشاراً في الصين التي لم يفتح العرب أيَّ جزء منها قطُّ»[٢].

فالإسلام إذن إنما غزا القلوب وأسر النفوس.. وإن كان بإمكان السيف أن يفتح أرضاً، فليس بإمكانه أن يفتح قلباً!

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أبواب المساجد، باب الاغتسال إذا أسلم وربط الأسير أيضاً في المسجد، وكان شريح يأمر الغريم أن يحبس إلى سارية المسجد (٤٦٢).

(٢) كتاب البابا والإسلام، ليوسف بن عبدالله، نقلاً عن حضارة العرب، غوستاف لوبون: ص١٢٨، ١٢٩.

المبحث الحادي عشر

محاسن تشريع الحدود في الإسلام

الحد لغة: هو المنع، وحدود الله: محارمه التي نهى عن ارتكابها وانتهاكها، وسميت بذلك لأنها تمنع من الإقدام على الوقوع فيها.

وشرعاً: عقوبة مقدرة في الشرع؛ لأجل حق الله تعالى. وقيل: عقوبة مقدرة شرعاً في معصية؛ لتمنع من الوقوع في مثلها أو في مثل الذنب الذي شرع له العقاب.

والحدود سبعة: منها ما هو متفق عليه وهو حد السرقة، وحد الزّنا، وحد القذف وحدّ شرب الخمر، ومختلف فيه وهو حد الردة، وحد الحرابة، وحد القصاص. ومنهم من أخرجوا القصاص لأنه من حق العباد[1].

ويمكن بيان بعض محاسن تشريع الحدود في الإسلام من خلال المطالب التالية[2]:

المطلب الأول: الحكمة من الحدود في الإسلام.

المطلب الثاني: المحاسن العامة في تشريع الحدود في الإسلام.

المطلب الثالث: نماذج من محاسن الإسلام في الحدود.

---

(١) ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية ١٢/ ٢٥٤-٢٥٦، والفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة- مجمع الملك فهد لطباعة المصحف ص٣٦١.

(٢) للاستزادة ينظر: نظام العقوبات في الإسلام مباحث الحدود دراسة مقارنة للشيخ محمد جعفر، مسقطات الحدود في الشريعة الإسلامية أ.د إبراهيم المحمود، أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع الشيخ محمد حسين الذهبي، الحدود في الإسلام للشيخ: عبد الله عبد الغني خياط، مجلة البحوث الإسلامية، عدد٩ لسنة ١٤٠٤هـ.

المطلب الأول

الحكمة العامة من الحدود في الإسلام

القصد من إقامة الحدود الحدّ من الجرائم التي تعاني منها كل المجتمعات البشرية في الماضي والحاضر، والتي استعصى علاجها مهما سُنَّ من القوانين لمنعها، كجرائم القتل والاعتداء على الأنفس، وجرائم الجنس من اعتداء واتّجار وترويج، وجرائم السرقة والنهب والاعتداء على الأموال الخاصة والعامة، وجرائم السكر والمخدرات بأنواعها التي تذهب بالعقول والأموال.

ففي تلك الحدود تأديب للجماعات والأفراد، وقطع لطغيانهم على حقوق الغير وحرماتهم، كما أن فيها محافظة على أموال الناس من السرقة والغصب، ولأعراضهم وأنسابهم من الانتهاك والاختلاط، ولعقولهم من الزوال والذهاب، ولنفوسهم من الهلاك والإزهاق ظلماً وبغياً وعدواناً.. فهذه الحدود من محاسن الإسلام الرائعة؛ فالإنسان لا يكون سعيداً في حياته مطمئنّاً بها، إلا إذا أمِن على نفسه وماله وعرضه، وهذه الحدود تراعي هذا الأمن[(١)].

كما أن في تطبيق الحدود تطهيراً للعبد في الدنيا؛ لقول النبي ﷺ: **(بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا.. فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به فهو كفارته، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله عليه، فأمره إلى الله إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه)**[(٢)].

---

(١) بيان محاسن الإسلام ودوره في بناء الجسور الثقافية بين العالم الإسلامي ص٢٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب الحدود كفارة (٦٧٨٤).

«فإن أكثر العلماء ذهب إلى أن الحدود كفارة»[١] وهذا من فضل الله ورحمته بعباده.

«هدف الشريعة الإسلامية من فرض العقوبة هو إصلاح النفوس وتهذيبها والعمل على سعادة الجماعة البشرية؛ ذلك لأن للإسلام في العقاب رأياً ينفرد به.

من أجل ذلك وضع الله الحدود وضعاً شرعيا كافلاً لراحة البشر في كل زمان ومكان؛ حتى يكون الناس في مأمن وتمتنع الجرائم التي ترتكب، فكل فعل سيئ يحدث في الأرض لا يمكن إصلاحه إلا بالعقوبة.

فالعقوبة إذاً مصلحة للمجتمع، وليس في الشريعة ما يمنع من أن تكون أسباب المصالح مفاسد فيؤمر بها أو تباح لا لكونها مفاسد، بل لكونها مؤدية إلى المصالح، بل إن دفع الضرر مقدم على جلب المنافع»[٢].

يقول العز بن عبدالسلام: «ربما كانت أسباب المصالح مفاسد فيؤمر بها أو تباح، لا لكونها مفاسد، بل لكونها مؤدية إلى المصالح، وذلك كقطع الأيدي المتآكلة حفظاً للأرواح، وكالمخاطرة بالأرواح في الجهاد، وكذلك العقوبات الشرعية كلها ليست مطلوبة لكونها مفاسد، بل لكون المصلحة هي المقصودة من شرعها كقطع يد السارق وقاطع الطريق، وقد سُمِّيَتْ مصالح من قبيل المجاز بتسمية السبب باسم المسبب»[٣].

ويقول في موضع آخر منها: «الأطباء يدفعون أعظم المرضين بالتزام بقاء أدناهما، ويجلبون أعلى السلامتين والصحتين ولا يبالون بفوات أدناهما، وأن الطب

---

(١) شرح صحيح البخاري، لابن بطال ٨/ ٤٠٢.

(٢) ينظر: الحكمة من إقامة الحدود، مجلة البحوث الإسلامية ٢٥/ ٣٠٥.

(٣) قواعد الأحكام ص١٤.

كالشرع وضع لجلب مصلحة السلامة والعافية ولدرء مفاسد المعاطب والأسقام، ولدرء ما أمكن درؤه من ذلك ولجلب ما أمكن فالعقوبات شرعت لمصلحة تعود إلى كافة الناس»(١).

ويقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: «شرعت العقوبات رحمة من الله تعالى بعباده، فهي صادرة عن رحمة الخلق وإرادة الإحسان إليهم، ولهذا ينبغي لمن يُعَاقِب الناس على ذنوبهم أن يقصد بذلك الإحسان إليهم والرحمة بهم كما يقصد الوالد تأديب ولده، وكما يقصد الطبيب معالجة المريض»(٢).

ويقول الدهلوي: «اعلم أن من المعاصي ما شرع الله فيه الحد وذلك كل معصية جمعت وجوهاً من المفسدة، بأن كانت فساداً في الأرض واقتضاباً على طمأنينة المسلمين، وكانت لها داعية في نفوس بني آدم لا تزال تهيج فيها، ولها ضراوة لا يستطيع الإقلاع منها بعد أن أشربت قلوبهم بها وكان فيه ضرر لا يستطيع المظلوم دفعه عن نفسه في كثير من الأحيان، وكان كثير الوقوع فيما بين الناس، فمثل هذه المعاصي لا يكفي فيها الترهيب بعذاب الآخرة، بل لا بد من إقامة ملامة شديدة عليها وإيلام ليكون بين أعينهم ذلك فيردعهم عمَّا يريدونه. ثم مَثَّلَ ببعض المعاصي، إلى أن قال: وكالسرقة؛ فإن الإنسان كثيراً ما لا يجد كسباً صالحاً فينحدر إلى السرقة ولها ضراوة في نفوسهم، ولا تكون إلا اختفاءً بحيث لا يراه الناس»(٣).

---

(١) قواعد الأحكام ص٦.

(٢) الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٥/ ٥٢١.

(٣) حجة الله البالغة ٢/ ٢٢٤.

المطلب الثاني

المحاسن العامة في تشريع الحدود في الإسلام

من محاسن شريعة الإسلام في هذا المجال ما وضعته من قواعد وضوابط تحكم تطبيق تلك الحدود والعقوبات، ومن ذلك:

⌑ أولاً: عدم مؤاخذة الإنسان بجريرة غيره:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٧٩]. «لكن إذا ظهرت السيئات فلم تنكر عمت عقوبتها وشمل إثمها، فلا تخرج أيضاً عن حكم هذه الآية الكريمة، لأن من ترك الإنكار الواجب فقد كسب سيئة»(١).

وكما قال تعالى عن قوم ثمود: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾ [الشمس: ١٤]. الذنب نُسب للجميع والعذاب وقع على الجميع، مع أن المنفذ واحد لأنهم سكتوا ورضوا، والرضا بالمنكر منكر.

⌑ ثانياً: مراعاة الظروف والملابسات:

فلا بد قبل اتخاذ قرار تنفيذ الحكم أو درئه؛ فالإسلام لا يطبّق العقوبة على الفرد حتى يضمن أنه ارتكب تلك الجريمة دون مبرّر ولا شبهة اضطرار، كما قال رسول الله ﷺ: **(ادرؤوا الحدود بالشبهات)**(٢).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٢٠٠.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ٨/ ٥٧ (١٥٩٢٢)، حلية الأولياء ٩/ ١٠، مصنف ابن أبي شيبة ٥/ ١١ (٢٨٤٩٣)، وقال العراقي في نصب الراية ٧/ ٣٨٣: غريب بهذا اللفظ.

ثالثاً: المساواة في تطبيق الأحكام الجنائية:

فلا فرق في الإسلام بين شريف ووضيع؛ فقد جاء أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى النبي ﷺ، وكان من أحبّ الصحابة إليه، يشفع في امرأة شريفة سرقت ليُسقط عنها حدَّ السرقة، فغضب النبي ﷺ وقال له: **(أتشفع في حدٍّ من حدود الله يا أسامة؟! والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتُ يدها...)**[(١)].

رابعاً: تحقيق الضمانات الوقائية قبل وقوع الفعل:

فالإسلام لا يشدد العقوبة إلا بعد أن شرع الضمانات الوقائية المانعة من وقوع الفعل، ومن ثم من توقيع العقوبة؛ فالإسلام لا يقوم على العقوبة فقط، وإنما يقوم على توفير أسباب الحياة النظيفة الكريمة، ثم يعاقب من يدع الأخذ بهذه الأسباب الميسرة طائعاً غير مضطر.

فعندما حرم الله تعالى الزنا ورتب عليه الحد كان قد نبه على ما يقي من الوقوع في تلك الجريمة، بالاستئذان، وغض البصر، والنهي عن مثيرات الفتن، وموقظات الشهوة، ثم بالإحصان والزواج، ومنع البغاء، وتحرير الرقيق.

خامساً: تحديد الإسلام لمن بيده إقامة الحدود:

فالذي يقيم الحد هو الإمام أو نائبه، ضماناً للعدالة، ومنعاً للحيف والظلم، ويتعطل تطبيق الحدود في غياب إمام للمسلمين يطبق الحدود[(٢)].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: حديث الغار (٣٤٧٥)، ومسلم، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره (١٦٨٨).

(٢) ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية ١٢/ ٢٥٤-٢٥٦، والفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة- مجمع الملك فهد لطباعة المصحف ص٣٦١.

المطلب الثالث

نماذج من محاسن الإسلام في الحدود[١]

النموذج الأول: إبراز محاسن الإسلام في تشريع حد الزنا:

قال تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

فعقوبة الزنا هي الجلد مائة جلدة أمام الناس والإبعاد عن البلد عاماً كاملاً، وهذا للبكر، وحَدُّ المحصن[٢] الزاني هو: الرجم بالحجارة حتى الموت وثبت ذلك بالسنة[٣].

وتبرز محاسن هذا الحد في النقاط التالية:

١- «مفسدة الزنا أعظم المفاسد، وهي منافية لنظام مصلحة العالم في حفظ الأنساب، وحماية الفروج، وصيانة الحرمات، وتوقي ما يوقع أعظم العداوة والبغضاء بين الناس، من إفساد كل منهم امرأة صاحبه وابنته وأخته، وما في ذلك من خراب العالم»[٤].

٢- أراد الإسلام محاربة الحيوانية التي لا تفرق بين جسد وجسد، ولا تهدف إلى إقامة بيت وبناء مجتمع، فليس وراء اللذة المحرمة بناء حياة، ولا عمارة أرض، بل ليس وراءها عاطفة حقيقية، وإنما هي عاطفة تنتهي بانتهاء الشهوة، فالإسلام لا

---

(١) سنكتفي هنا بذكر نموذجين لعدم الإطالة.

(٢) المحصن: «الذي قد وطئ في نكاح صحيح وهو حر بالغ عاقل». ينظر: المقنع ٢٦/ ٤٣٩٩.

(٣) صحيح البخاري، رقم كتاب الإيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي (٦٦٣٣)، ومسلم، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا (١٦٩٧).

(٤) الجواب الكافي لابن القيم ص (٣٥٩).

يحارب الفطرة ولا يستقذرها وإنما ينظمها ويطهرها ويرفعها عن المستوى الحيواني فيبني العلاقة الجنسية على أساس من المشاعر الإنسانية الراقية.

٣- «وأمر الله تعالى بعقوبتهما وعذابهما بحضور طائفة من المؤمنين وذلك لأن المعصية إذا كانت ظاهرة، كانت عقوبتها ظاهرة»[(١)] «لأن الزنا لا يمكن إثباته إلا بأحد هذين الطريقين: شهادة الشهود الموصوفين شرعاً، أو إقراره على نفسه الصريح في ذلك وفق ضوابط الشرع، فالأمر البيِّن يستوجب العقوبة البينة الظاهرة، وهذا من كمال عدل الله سبحانه وتعالى، وليكون لإيقاع العقوبة على الزاني أثر في نفس الزاني والمشاهدين، فيتعظ الزاني والمشاهدون، وهذا فيه تنكيل للزانيين إذا جلدا بحضرة الناس، وأبلغ في زجرهما، وأنجع في ردعهما، فإن في ذلك تقريعاً وتوبيخاً وفضيحة إذا كان الناس حضوراً»[(٢)].

٤- والحكمة – والله أعلم- من التفريق بين عقوبة الزاني المحصن والزاني غير المحصن: أن الذي سبق له الوطء في نكاح صحيح قد عرف الطريق الصحيح النظيف وجربه، فعدوله عنه إلى الزنا يشير إلى فساد فطرته وانحرافها، فهو جدير بتشديد العقوبة، بخلاف البكر الذي قد يندفع تحت ضغط الميل. والمحصن ذو تجربة تجعله يتذوقه ويستجيب له بدرجة أعمق مما يتذوقه البكر فهو حري بعقوبة أشد.

٥- إن الرأفة بالزناة الجناة قسوة على المجتمع، وعلى الآداب الإسلامية، وعلى الضمائر البشرية، وهي رأفة مصطنعة، فالله أرأف بعباده، والله أعلم بمصالح العباد،

(١) فتاوى شيخ الإسلام ١٥/ ٢٨٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ٨.

وأعرف بطبائعهم. فليس لمتشدق أن يتحدث عن قسوة العقوبة الظاهرية، فهي أرأف مما ينتظر المجتمع الذي يشيع فيه الزنا وتفسد فيه الفطرة الإنسانية.

٦- وعقوبة التغريب مهمة، لأن الزاني عنصر فاسد في المجتمع فلو بقي في المجتمع لأفسده فيبعد عن المجتمع قبل أن يفسد غيره، فجعل الشارع جل وعلا هذا التغريب حفاظاً على المجتمع من الفساد، وتأديباً للزاني حيث يكون بعيداً عن الناس كلهم، غريباً في الأرض، منبوذاً بين الناس، وتأديباً لكل من تسول له نفسه أن يفعل هذا الفعل أن جزاءه سيكون مثل هذا الزاني[(١)].

النموذج الثاني: إبراز محاسن الإسلام في تشريع حد القذف:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [النور: ٤ - ٩].

القذف في الشرع: الرمي بوطء يوجب الحد على المقذوف[(٢)]. وقيل: الرمي بالزنا أو اللواط من غير بينة[(٣)].

والبينة هي: أن يأتي بأربعة شهداء يصفون وقوع حالة الزنا. أو اللواط، أو إذا أقر

(١) موضوعات سورة النور. أ.د محمد العواجي (بحث غير منشور- تحت الطباعة) ص٥٦.

(٢) سبل السلام للصنعاني ١/ ١٩٠.

(٣) المغني لابن قدامة ١٢/ ٣٨٣.

المقذوف بالزنا واعترف بما رماه به القاذف، وإذا قذفت المرأة زوجها فإنه يقام عليها الحد إذا توفرت شروطه ولم تأت ببينة، وإذا قذفها زوجها، فإنه لا يقام عليه الحد، وإنما يتلاعنان[١].

وتبرز محاسن هذا الحد في النقاط التالية:

١- الإسلام يكره البذاءة وإشاعة الفاحشة بين المسلمين، ويربي أفراد الأمة على الأدب وعفة اللسان، وذلك لأن إشاعة الفاحشة في المجتمع المسلم تورث العداوات بين أصحاب المجتمع، وتدنس صورة المجتمع بالكلام في الأعراض.

٢- إن ترك الألسنة تلقي التهم بدون دليل قاطع، يترك المجال لكل من شاء أن يقذف بريئة أو بريئاً بتلك التهمة النكراء، فيصبح المجتمع المسلم ويمسي وإذا أعراضه مجروحة، وسمعته ملوثة، وإذا كل فرد فيه متهم أو مهدد بالاتهام، وإذا كل زوج فيها شاك في زوجته، وكل رجل فيها شاك في أصله، وكل بيت فيها مهدد بالانهيار.

٣- ومع كثرة سماع التهم في ارتكاب هذه الجريمة يوحي إلى الذين لا يفعلون هذه الجريمة أن جو المجتمع ملوث والجريمة منتشرة فيه فيقدم هو أيضاً على تلك الفعلة وتهون في نفسه بشاعتها بكثرة ترددها وشعوره أن كثيراً ممن حوله يعملون بها.

٤- وفي تشديد البينة ندرك «**أن الله تعالى هو أهل التقوى وأهل المغفرة، يعفو عن الذنب** ويستر العيب، فلو تساهل الشرع في بينة الزنا لشاع القذف وسهل على البعض أن يكيدوا للآخرين، ثم إن الذي لا يجاهر بالمعصية فيستره الله تعالى ثم يتبع السيئة الحسنة، فإن الذي ستره في الدنيا هو أكرم من أن يفضحه في الآخرة. إن المقصد الجليل للشارع الحكيم هو ألا تشيع الفاحشة وتظهر في الشوارع وتشيع على ألسنة الناس حتى

(١) فقه السنة، لسيد سابق ٢/ ٥٩٨.

تصبح شيئاً مألوفاً بينهم فتهبط بهم إلى مستوى الحيوانات وهذا هو الذي لا يرضاه الشارع الحكيم»[١].

٥- ولأن الذي يفعل الزنا برؤية أربعة شهود له يستطيعون وصف حالته هذا إنسان مجاهر بالمعصية، ويندر أن يتوب منها، وضرره عام للجميع لأنه أظهره فلعل غيره يقتدي به، أما الذي يفعلها وهو متستر فليس بمجاهر بها، وربما يتوب فيتوب الله عليه، والله تعالى أمرنا بعدم تتبع عورات أحد من المسلمين، ما لم يظهر سوءاً أو يترتب على أفعاله سوءاً.

٦- تشريع اللعان أسمى ما يتصوره المرء من العدالة والحماية والصيانة للأعراض، فقد كانت الحكمة في تخصيص المرأة بالغضب من الله إن كان زوجها صادقاً: «لأن الغالب أن الرجل لا يتجشم فضيحة أهله ورميها بالزنا إلا وهو صادق معذور، وهي تعلم صدقه فيما رماها به، ولهذا كانت الخامسة في حقها أن غضب الله عليها، فالمغضوب عليه هو الذي يعلم الحق ثم يحيد عنه»[٢].

(١) من لطائف التفسير لأحمد فرح عقيلان ٢/ ٤١١ بتصرف.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ١٥.

الفصل السادس

بيان التشريعات الحقوقية في الإسلام

ويتضمن عشرة مباحث:

- **المبحث الأول**: حقوق الإنسان في الإسلام.
- **المبحث الثاني**: حقوق غير المسلمين في الإسلام.
- **المبحث الثالث**: حقوق المرأة في الإسلام.
- **المبحث الرابع**: حقوق الطفل في الإسلام.
- **المبحث الخامس**: حقوق العمال والخدم في الإسلام.
- **المبحث السادس**: حقوق الكبار في الإسلام.
- **المبحث السابع**: حقوق الحيوان في الإسلام.
- **المبحث الثامن**: حقوق البيئة في الإسلام.
- **المبحث التاسع**: الحقوق الصحية في الإسلام.
- **المبحث العاشر**: حق الحرية في الإسلام.

◈ تمهيد:

يعتبر الإسلام أنَّ كل حقٍّ للإنسان هو في نفس الوقت حق للبشرية، خوَّلها لعباده من غير تمييز في اللون والجنس، حيث إنَّ المساس بها هو إخلال بالحقِّ الإلهي.

ويعتبر الإسلام الحقوق الأساسيَّة والحريات العامَّة جزءاً من الدين الإسلامي، لا يحقُّ لأحدٍ أن يعطِّلها سواء جزئيَّاً أو كليَّاً، كما جعل رعايتها عبادة، وإهمالها أو التعدِّي عليها منكراً يحاسب عليه المسلم يوم القيامة، فكلُّ إنسان مسؤول عن هذه الحقوق بمفرده، والأمة كافة مسؤولة عنها بالتضامن، لذا اعتبر الإسلام الآتي: أنّ الإيمان والتربية أساس احترام الحقوق، فلا خير في مؤمن لا يؤدّي واجبه، ويجب على الدولة والمجتمع رعاية الحقوق كاملة.

وسنعرض لنماذج من تلك الحقوق، لنبني تصوراً متكاملاً عن الإسلام لدى الداعية إلى الله تعالى، ليسير في دعوته على بصيرة من دينه فتتحقق أهداف الدعوة ورسالتها.

فلا بد للداعية من التعرف على التشريعات الحقوقية في الإسلام لأمور:

أولاً: ليدرك تكامل الشريعة الإسلامية.

ثانياً: ليعرض الإسلام بشمولية وواقعية تراعي ظروف الناس واحتياجاتهم، فالإسلام جاء لإرساء العدل وإقامة الحقوق.

ثالثاً: التعريف بهذا الدين والدعوة إليه من خلال بيان الحقوق التشريعية في الإسلام، باب عظيم يقوم على منهجية الشمولية وأداء الحقوق، والعمل على إقامتها بين الناس أيَّاً كانوا وفي أي مكان نزلوا.

رابعاً: النماذج التي تم اختيارها هنا هي التي يحاول أعداء الإسلام أن يدخلوا من خلالها لتشويه الإسلام وبيان أنهم سبقوا الإسلام في الحقوق عن طريق الديمقراطية والتشريعات الوضعية.. مع أن الإسلام سبقهم بها بالشرع المنزل على جميع الرسل وختم برسالة النبي ﷺ.

وهناك نماذج أخرى للحقوق تم ذكرها في فصل محاسن الإسلام في تشريعاته، حاولنا عدم ذكرها لكي لا يحصل تكرار.

المبحث الأول

حقوق الإنسان في الإسلام

إن الإسلام وشريعته لم تكن يوماً لتَحِيد عن القيم والأخلاق، والتي تمثَّلَتْ في إقرار مجموعة من الحقوق التي شملت كل بني الإنسان، دون تمييز بين لون أو جنس أو لغة، وشملت أيضاً محيطه الذي يتعامل معه، وتمثَّلَتْ كذلك في صيانة الإسلام لهذه الحقوق بسلطان الشريعة، وكفالة تطبيقها، وفرض العقوبات على مَنْ يَعْتَدِي عليها.

وكل ما سبق ذكره من محاسن للدين الإسلامية ما هي إلا نماذج لحقوق الإنسان في الإسلام، فمحاسن الإسلام كلها تصب وتراعي حقوق الإنسان وإعلاء شأنه، وتحافظ على الضروريات الخمس وهي الدين، والنفس، والنسل، والعقل، والمال.

فالإسلام ينظر إلى الإنسان نظرة راقية فيها تكريم وتعظيم، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

وقد قَرَّرَ ذلك رسول الله ﷺ في خطبة الوداع، التي كانت بمنزلة تقرير شامل لحقوق الإنسان، حين قال: (فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وأعراضكم عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ)[١].

وهنا سأبرز بعض الجوانب الأساسية التي تدلل على حقوق الإنسان في الإسلام على سبيل المثال وليس الحصر ليتمكن الداعية من أن ينطلق منها في دعوته ورسالته لتكون رسالته رسالة شاملة متكاملة.. وذلك من خلال ثلاثة مطالب[٢]:

(١) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى (١٦٥٤)، ومسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال (١٦٧٩).

(٢) للاستزادة ينظر: حقوق الإنسان في الإسلام: دراسة مقارنة مع الإعلان العالمي والإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان، د.محمد الزحيلي، حقوق الإنسان في الإسلام د. راوية الظهار، موسوعة حقوق =

المطلب الأول

حفظ النفس الإنسانية

قال تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة:٣٢].

وعندما سُئِل رسول الله ﷺ عن الكبائر ذكر منها: (الإِشْرَاكُ بِاللهِ.. وَقَتْلُ النَّفْسِ..)[١].

وقال ﷺ: (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة)[٢].

وعندما ذكر الموبقات السبع ذكر أن خمسة منها داخلة في حقوق الإنسان، فقال ﷺ: (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: (الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ)[٣].

ولذا شرع الإسلام القصاص قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩]، والقصاص: «عقوبة مشروعة تعني معاقبة الجاني

= الإنسان في الإسلام د. خديجة النبراوي، كتاب حقوق الإنسان في الإسلام والرد على الشبهات حولها أ.د سليمان الحقيل.

(١) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور (٢٥١٠).

(٢) صحيح مسلم، كتاب القسامة، باب ما يباح به دم المسلم رقم (٢٥).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝١٠﴾ (٢٦٧٧).

بمثل ما جنى حقّاً لله ولعباده، سواء كانت جنايته القتل أو غيره، فالقتل بالقتل والجرح بالجرح وقطع العضو بما يماثله[١].

وقيل: «القصاص هو أن يُعاقب الجاني بمثل جنايته على أرواح الناس، أو عضو من أعضائهم، فإذا قتل شخص آخر استحق القصاص، وهو قتله كما قتل غيره»[٢].

يقول الشيخ الشنقيطي: «فعقوبة القصاص تعتبر من أبرز الأحكام الشرعية التي تحفظ حياة الناس؛ لأنها تتعلق بمعاقبة الجاني بمثل ما ارتكب من جريمة في حق أخيه أو المجتمع الذي ينتمي إليه، وتطبيق عقوبة القصاص فيها إصلاح للحياة الإنسانية وتعمل على زيادة التنشئة الاجتماعية عند الفرد والأسرة والمجتمع على حد السواء، وتحقق للأمة دعائم الأمن والسلام والبناء الحضاري في جميع جوانب المجتمع وحياته الأمنية والسياسية والأخلاقية والاجتماعية فيعم الأمان والاطمئنان والرفاه الاجتماعي ربوع الوطن الذي يحتكم ويلتزم حدود ما أنزل الله على رسوله ﷺ»[٣].

وشرع الله تعالى ما يحفظ حياة الإنسان حتى من نفسه، فقال ﷺ: **(مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِداً مُخَلَّداً فِيهَا أَبَداً، وَمَنْ تَحَسَّى سُمّاً فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِداً مُخَلَّداً فِيهَا أَبَداً، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ؛ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِداً مُخَلَّداً فِيهَا أَبَداً)**[٤].

وحرَّم الإسلام كل عمل ينتقص من حقِّ الحياة؛ سواء أكان هذا العمل تخويفاً، أو

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٢٤٥.

(٢) الفقه على المذاهب الأربعة، لعبدالرحمن بن محمد عوض الجزيري ١/ ١٨٢.

(٣) أضواء البيان ٣/ ١٢٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب شرب السم والدواء به وبما يخاف منه والخبيث (٥٤٤٢)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه... (١٠٩).

إهانة، أو ضرباً، فقال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا)(١).

ومن حفظ النفس الحفاظ على العقل وجعله من المقاصد الكلية العظيمة التي جاءت الشريعة الإسلامية لحفظها، فشرّعت تحريم المسكرات وتناول المخدرات، وكالاعتقاد في الخرافة والشعوذة، والتقليد الأعمى وعدم إعمال الفكر.

المطلب الثاني

العدل بين الناس

أكَّد الإسلام على حقِّ العدل بين الناس جميعاً؛ بين الأفراد والجماعات، وبين الأجناس والشعوب، وبين الحُكَّام والمحكومين، وبين الولاة والرعيَّة، فلا قيود ولا استثناءات، ولا فَرْقَ في التشريع بين عربي وأعجمي، ولا بين أبيض وأسود، ولا بين حاكم ومحكوم، وإنما التفاضل بين الناس بالتقوى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

«قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾، يدل على استواء الناس في الأصل لأن أباهم واحد وأمهم واحدة وهذا فيه أكبر زاجر عن التفاخر بالأنساب وتطاول بعض الناس على بعض، بين تعالى أنه جعلهم شعوباً وقبائل لأجل أن يتعارفوا أي يعرف بعضهم بعضاً، ويتميز بعضهم عن بعض لا لأجل أن يفتخر بعضهم على بعض ويتطاول عليه. وذلك يدل على أن كون بعضهم أفضل من بعض وأكرم منه إنما يكون بسبب آخر

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب الوعيد الشديد لمن عذب الناس بغير حق (٢٦١٣).

غير الأنساب. وقد بين الله ذلك هنا بقوله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾، فاتضح من هذا أن الفضل والكرم إنما هو بتقوى الله لا بغيره من الانتساب إلى القبائل(١).

وقال ﷺ: (أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، كُلُّكُمْ لآدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، أَكْرَمُكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ، وَلَيْسَ لِعَرَبِيٍّ فَضْلٌ عَلَى عَجَمِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى)(٢).

ومن أوجه العدل بين الرجل والمرأة، العدل في الوعد في الآخرة بالثواب، والجنة، قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وقرر الإسلام بتقرير مبدأ العدل بين الناس وإزالة الفوارق الجنسية والفوارق في اللون والنسب، نظريًّا وعمليًّا ففي شعيرة الصلاة، تزول كل الفوارق التي تميز المصلين فمن حضر إلى المسجد أولاً أخذ مكانه في مقدمة الصفوف، وإن كان أقل الناس مالاً أو جاهاً، فنجد في الصف الواحد في المسجد الغني بجانب الفقير والعالم بجوار الأمي، والحاكم بجوار المحكوم، والمعلم بجانب الطالب، والمهندس بجوار العامل لا فرق بين واحد وآخر فكلهم سواسية بين يدي الله سبحانه وتعالى.

ومن مظاهر العدل العملية التي قررها الإسلام العدل أمام الأحكام الشرعية؛ فالحلال حلال للجميع، والحرام حرام على الجميع، والفرائض ملزمة للجميع، والعقوبات كذلك مفروضة على الجميع. ويظهر هذا بوضوح في حادثة المرأة المخزومية القرشية التي سرقت فقرر الرسول ﷺ قطع يدها. فوسط أعيان قريش أسامة بن زيد رضي الله عنه ليشفع فيها عند رسول الله فلما تحدث أسامة بن زيد مع

(١) أضواء البيان ٧/ ٤١٧.

(٢) مسند أحمد ٣٨/ ٤٧٤ (٢٣٤٨٩)، وشعب الإيمان للبيهقي (٤٩٢١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٩٦٣).

رسول الله ﷺ في ذلك الأمر غضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً وقال لمن حوله من الصحابة: **(إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق منهم الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد. وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها)**[(١)].

المطلب الثالث
حق الكفاية في الإسلام

ومعناه أن يحصل كل فرد يعيش في كنف الدولة الإسلامية على كفايته من مقوِّمات الحياة؛ بحيث يحيا حياة كريمة، ويتحقَّق له المستوى اللائق للمعيشة، وهو يختلف عن حدِّ الكفاف الذي تحدَّثت عنه النُّظُم الوضعيَّة، والذي يعني الحدَّ الأدنى لمعيشة الإنسان[(٢)].

وحقُّ الكفاية هذا يتحقَّق بالعمل، فإذا عجز الفرد فالزكاة، فإذا عجزت الزكاة عن سدِّ كفاية المحتاجين تأتى ميزانية الدولة لسداد هذه الكفاية.

وقد عبَّر الرسول ﷺ عن ذلك بقوله: **(من كان لنا عاملاً فليكتسب زوجة، فإن لم يكن له خادم فليكتسب خادماً، ومن لم يكن له مسكن فليكتسب مسكناً)**[(٣)].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده (٣٢٨٨)، ومسلم، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره (١٦٨٨).

(٢) موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام، خديجة النبراوي ص٥٠٥-٥٠٩.

(٣) سنن أبي داوود، كتاب الخراج، باب أرزاق العمال (٢٩٤٥)، والعجم الكبير للطبراني٢٠/ ٣٠٥ (٧٢٧)، والمستدرك على الصحيحين للحاكم ١/ ٥٦٣ (١٤٧٣) وقال: صحيح على شرط البخاري، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٨٦).

وبقوله: (مَنْ تَرَكَ دَيْناً أَوْ ضَيَاعاً[١] فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ)[٢].

وقال ﷺ: (مَا آمَنَ بِي -وفي رواية- ليس المؤمن مَنْ بَاتَ شَبْعَاناً وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وهو يعلم)[٣].

وقال ﷺ مادحاً الأشعريين: (إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا -أي إذا نفذ زادهم- فِي الْغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ)[٤].

والكفاية في المجتمع المسلم مكفولة ليس للمسلمين فحسب بل لكل من يقيم على أرض هذا المجتمع المسلم..

---

(١) ضياعاً: أي ترك أولاداً صغاراً ضائعين لا مال لهم، ينظر: لسان العرب، ٨/ ٢٢٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب سورة الأحزاب (٤٥٠٣)، ومسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (٨٦٧)، واللفظ له.

(٣) المستدرك على الصحيحين ٢/ ١٥ (٢١٦٦)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه = الذهبي والمعجم الكبير للطبراني عن أنس١/ ٢٥٩ (٧٥٠) واللفظ له، وشعب الإيمان للبيهقي ٥/ ٧٦ (٣١١٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ١٦٧: إسناد البزار حسن، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٠٥).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب الشركة في الطعام والنهد والعروض (٢٣٥٤)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الأشعريين (٢٥٠٠).

المبحث الثاني

حقوق غير المسلمين في الإسلام

إن أحكام الإسلام تتميز بالشمولية والواقعية والكمال والعالمية والرحمة للعالمين، لذلك كانت شاملة ومناسبة لجميع نواحي الحياة، وصالحة لكل زمانٍ ومكانٍ.

إن مبادئ الإسلام تم تشريعها من لدُنْ حكيمٍ عليمٍ بما يصلح الناس في الدنيا والآخرة، وهذا ظاهر لكل منصفٍ تأمَّل أحكام الإسلام.

ولذا فقد تمتع غير المسلمين – المقيمون في بلاد المسلمين – بمجموعة من الحقوق التي منحها لهم التشريع الإسلامي بهدي من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ونبرز هذا الأمر في مطلبين[1]:

المطلب الأول: أهم حقوق غير المسلمين في الإسلام.

المطلب الثاني: شهادات المنصفين حول رعاية الإسلام لحقوق غير المسلمين.

---

(١) للاستزادة ينظر: حقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية د. علي بن عبدالرحمن الطيار، حقوق غير المسلمين في بلاد الإسلام تأليف أ. د. صالح بن حسين العايد، حقوق غير المسلمين في الإسلام، د. عبد العظيم أحمد عبدالعظيم، فن التعامل النبوي مع غير المسلمين، د. راغب السرجاني، كيف عاملهم د. محمد المنجد.

المطلب الأول

أهم حقوق غير المسلمين في الإسلام

أُبرز أهم هذه الحقوق في النقاط التالية:

➢ أولاً: حرية العقيدة:

قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

ذكر العلماء في سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦] أنه كان لرجل من الأنصار من بني سالم بن عوف ابنان، فتنصرا قبل أن يبعث النبي ﷺ، ثم قدما المدينة في نفر من النصارى يحملون الطعام، فأتاهما أبوهما، فلزمهما وقال: والله لا أدعكما حتى تسلما، فأبيا أن يسلما، فاختصموا إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أيدخل بعضي النار وأنا أنظر؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ فخلى سبيلهما[(١)].

قال ابن كثير: «لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام فإنه بيِّنٌ واضحٌ جليٌ دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يُكْرَهَ أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرهاً مقسوراً»[(٢)].

«فالإنسان مسؤول عما يفعل أو يعتنق من دين؛ لأنه مسؤول عن أفعاله من خلال

---

(١) أسباب النزول للواحدي ص٤٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم ١/ ٣١٠.

اختيار حر وتفكير حر، ومؤدى ذلك أنه نعمة العقل وهي من معطيات الله للإنسان تمنح الإنسان الحق في حرية التفكير وحرية الاعتقاد»[١].

ويشهد لهذه الآية كذلك قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]. فالإسلام لا يكره أحداً على الدخول فيه، ودعوة الإسلام تكمن في بيان منهجه والاقتناع به وإفساح الطريق للناس أن يتعرفوا عليه ثم يترك القرار بعدها للناس ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ ويحاسبهم على ما قرروا.

➢ ثانياً: العدل مع غير المسلمين وعدم ظلمهم والاعتداء عليهم:

قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [المائدة: ٨].

وقال ﷺ: **(من ظلم معاهداً أو انتقصه حقّاً، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة)**[٢].

وقال ﷺ: **(من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً)**[٣].

---

(١) حقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية د. علي بن عبدالرحمن الطيار ص ١٤١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع (١٩٢٤).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجزية، باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم (٣١٦٦).

وقد سجل التاريخ صوراً للعدل قام بها المسلمون مع غير المسلمين[١] تبين أن الإسلام لم يفرق بين المسلم وغير المسلم في المعاملات العامة؛ فالجميع سواسية أمام الحاكم العادل فلا محاباة حتى وإن كان أحد الخصمين مسلماً رفيع المكانة، والآخر يهوديّاً أو نصرانيّاً[٢].

ويكفي في ذلك قصة عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص رضي الله عنهما، فعن أنس رضي الله عنه «أن رجلاً قبطيّاً من أهل مصر أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين عائذ بك من الظلم قال: عذت معاذاً. قال: سابقت ابن عمرو بن العاص فسبقته فجعل يضربني بالسوط ويقول: أنا ابن الأكرمين فكتب عمر إلى عمرو رضي الله عنهما يأمره بالقدوم ويقدم بابنه معه فقدم عمرو من مصر إلى المدينة، فقال عمر: أين المصري؟ خذ السوط فاضرب ابن عمرو فجعل يضربه بالسوط ويقول عمر: اضرب ابن الأكرمين. قال أنس فضرب فوالله لقد ضربه ونحن نحب ضربه، فما أقلع عنه حتى تمنينا أنه يرفع عنه، ثم قال عمر للمصري: ضع السوط على صلعة عمرو!! فقال: يا أمير المؤمنين إنما ابنه الذي ضربني وقد استقدت منه فقال عمر لعمرو: مُذْ كَمْ تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟ قال: لم أعلم ولم يأتني»[٣].

ثالثاً: الحماية والأمن:

يمكن لغير المسلم في ظل الأمن أن يحيا آمناً على دمه أن يسفك وعرضه أن ينتهك

---

(١) للاطلاع ينظر: كتاب حقوق غير المسلمين في بلاد الإسلام تأليف أ.د. صالح بن حسين العايد، فن التعامل النبوي مع غير المسلمين، د. راغب السرجاني.

(٢) ينظر: حقوق غير المسلمين، الطيار، ١٣٩-١٤٠، وحقوق غير المسلمين، العايد ٤٥-٤٦.

(٣) ينظر: كنز العمال ١٢/ ٨٧٣ رقم (٣٦٠١٠). وحسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي ١/ ٥٨١، وابن الجوزي: مناقب عمر بن الخطاب ٩٩. ومحض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ٢/ ٤٧٣، انظر: ابن عبدالحكم في: فتوح مصر ص ٢٩٠.

وماله أن يغتصب وسكنه أن يقتحم، وفي ظل الأمن يأمن غير المسلم من كل خوف أو فزع أو ترويع، مع رفع الظلم عنهم، ولهم الدفاع عن أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، كما أن لهم الحق في السكن في أي مكان يريدون في الدولة الإسلامية، باستثناء الحرم ولهم حرية التنقل في دار الإسلام في أي وقت شاءوا أو يعودوا إليها متى شاءوا مطمئنين على سلامتهم وحمايتهم من أي اعتداء[١].

وقد تكفَّل الشرع الإسلامي بحقِّ حماية أموال غير المسلمين؛ حيث حرَّم أخذها أو الاستيلاء عليها بغير وجه حقٍّ، وذلك كأنْ تُسْرَق أو تُغْصَب أو تُتْلَف، أو غير ذلك ممَّا يقع تحت باب الظلم، وقد جاء ذلك تطبيقاً عملياً في عهد النبي ﷺ إلى أهل نجران، حيث جاء فيه: **(وَلِنَجْرَانَ وَحَاشِيَتِهِمْ جِوَارُ اللهِ وَذِمَّةُ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللهِ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَمِلَّتِهِمْ وَبِيَعِهِمْ، وَكُلِّ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنْ قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ)**[٢].

وهذا الأمن داخلي وخارجي «فإن من كان في الذمة وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح ونموت دون ذلك صوناً لمن هو في ذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة»[٣].

➢ رابعاً: المعاملة الحسنة:

في القرآن قاعدة جليلة هي الأساس في التعامل مع غير المسلمين، بينت أن الأصل أن تكون معاملتهم حسنة، بل أن يحظوا بالبر والإحسان ما لم تبرز منهم مظاهر عملية

(١) حقوق غير المسلمين، للطيار ١٤٤.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٤٨٥، الخراج لأبي يوسف ص٧٢، والطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ٢٨٨، والأموال لابن زنجويه ٢/ ٤٤٧ (٧٣٢)، وتاريخ المدينة لابن شهبة ٢/ ٥٨٤، ولم أقف على الحكم عليه.

(٣) الفروق للقرافي ٣/ ١٤- ١٥، وعزاه لابن حزم في مراتب الإجماع.

من العداء الصريح[١]، وهي قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[الممتحنة: ٨].

«أي لا ينهاكم الله عن البر والصلة، والمكافأة بالمعروف، والقسط للمشركين، من أقاربكم وغيرهم، حيث كانوا بحال لم ينتصبوا لقتالكم في الدين، والإخراج من دياركم فليس عليكم جناح أن تصلوهم، فإن صلتهم في هذه الحالة، لا محذور فيها ولا مفسدة[٢].

ومن حسن المعاملة كتب أبو بكر رضي الله عنه لخالد بن الوليد رضي الله عنه في عقد الذمة لأهل الحيرة في العراق: «وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنيّاً فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت جزيته، وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله»[٣].

«فأهل الذمة كالمسلمين فدفع الضرر عنهم واجب..-ثم قال- وهل المراد بدفع الضرر ما يسد الرمق أو الكفاية؟ قولان: أصحهما الكفاية، فيجب في الكسوة ما يستر كل البدن على حسب ما يليق بالحال من شتاء أو صيف، ويلحق بالطعام والكسوة ما في معناهما كأجرة طبيب وثمن دواء، وخادم منقطع... ومما يندفع به ضرر المسلمين والذميين فك أسراهم»[٤].

وحث الإسلام المسلمين على بر آبائهم وأمهاتهم غير المسلمين، فالاختلاف في

---

(١) حقوق غير المسلمين للعايد٧٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٧٥٨.

(٣) كتاب الخراج لأبي يوسف ص ٣٠٦.

(٤) نهاية المحتاج للرملي ٨/ ٤٦.

الدين لا يلغي حق أولي القربى، قال تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥].

وعن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، قالت: قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا رسول الله ﷺ، فاستفتيت رسول الله ﷺ، فقلت: أمي[(١)] قدمت وهي راغبة، أفأصلها؟ فقال رسول الله ﷺ: **(نعم، صِلي أمك)**[(٢)].

ومن المعاملة الحسنة عيادة مرضاهم، أيّاً كانوا صغاراً كانوا أو كباراً أغنياء أو فقراء، فعن أنس رضي الله عنه، قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ، فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: **(أسلم)**، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: **(الحمد لله الذي أنقذه من النار)**[(٣)].

◄ خامساً: الدعوة بالتي هي أحسن:

ولا تمنع حرية الاعتقاد والمعاملة بالتي هي أحسن من دعوتهم للإسلام وتعريفهم به، بل هو من الواجبات المتحتمة على المسلمين، من غير إكراه ولا مضارة، بل بالحوار الهادئ والهادف، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

فمن حقوق غير المسلمين دعوته بالحسنى، فقد أمر الله موسى عليه السلام عندما أرسله

---

(١) هي: قتيلة بنت عبدالعزى. ينظر: شرح صحيح مسلم للنووي ٧/ ٨٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب قبول الهدية من المشركين (٢٤٢٧).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام (١٣٥٦).

إلى فرعون بأن يقول له قولاً ليناً فقال: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٣ – ٤٤].

وتتوجب الدعوة بالحسنى إذا كان غير المسلم من الوالدين، وهذا ظهر في دعوة إبراهيم عليه السلام، لأبيه في قوله: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾[مريم: ٤١ – ٤٥].

وكذلك المجادلة بالتي هي أحسن، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

المطلب الثاني

شهادات المنصفين حول رعاية الإسلام لحقوق غير المسلمين

لقد شهد المنصفون من غير المسلمين للإسلام، وما فيه من تشريعات وتطبيقات لحفظ حقوق غير المسلمين، ومن تلك الشهادات[١]:

(١) للاستزادة ينظر: قالوا عن الإسلام لعماد الدين الخليل، عظمة النبي في عيون المنصفين والعقلاء الغربيين د. محمد السقا عيد، غربيون أنصفوا الإسلام د. السيد عبدالرؤوف، وبحث قيم منشور في موقع مجلة المجتمع الكويتية بعنوان: سماحة الإسلام في الدراسات الغربية المنصفة، د. سعيد عبيدي، في يناير ٢٠١٧.

أولاً: المؤرخ الإنجليزي السير توماس أرنولد[(١)]:

يقول المؤرخ الإنجليزي السير توماس أرنولد: «لقد عامل المسلمون الظافرون العرب المسيحيين بتسامح عظيم منذ القرن الأول للهجرة، واستمر هذا التسامح في القرون المتعاقبة، ونستطيع أن نحكم بحق أن القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام قد اعتنقته عن اختيار وإرادة حرة، وأنّ العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات المسلمين لشاهد على هذا التسامح»[(٢)].

ويقول: «إن الفكرة التي شاعت بأن السيف كان العامل في تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق، إن نظرية العقيدة الإسلامية تلتزم التسامح وحرية الحياة الدينية لجميع أتباع الديانات الأخرى، لقد ظل الكفار على وجه الإجمال ينعمون في ظل الحكم الإسلامي بدرجات من التسامح لم نكن نجد لها مثيلاً في أوربا حتى عصور حديثة جدًّاً، وإن التحول إلى الإسلام عن طريق الإكراه محرم طبقاً لتعاليم القرآن، وإن مجرد وجود كثير من الفرق والجماعات المسيحية في الأقطار التي ظلت قروناً في ظل الحكم الإسلامي لدليل ثابت على ذلك التسامح الذي نعم به هؤلاء المسيحيون»[(٣)].

---

(١) تومس ووكر أرنولد ١٢٨٠- ١٣٤٩ هـ، مستشرق إنكليزي، تعلم في كمبردج، واشتغل بالتدريس في عدة جامعات بالهند وباكستان، ثم عاد إلى لندن ودرس في جامعتها، عين مديراً لمعهد الدراسات الشرقية. له عدة كتب بالإنجليزية عن العلوم الإسلامية. ينظر: الأعلام للزركلي ٢/ ٧٦- ٧٧. وينظر: المستشرقون لنجيب العقيقي ٢/ ٨٤.

(٢) الدعوة إلى الإسلام، أرلوند توماس، بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، ترجمة: حسن إبراهيم حسن، عبدالمجيد عابدين، إسماعيل النحراوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧١م، ص٥١.

(٣) الدعوة إلى الإسلام، ص ٦٢.

ويقول أيضاً: «وقد نجد عوامل أخرى ساعدت على تناقص الشعب المسيحي في الحقيقة، ولكننا لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام الطوائف من غير المسلمين على قبول الإسلام، أو عن اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحي، ولو اختار الخلفاء تنفيذ إحدى الخطتين لاكتسحوا المسيحية بتلك السهولة التي أقصى بها (فرديناند، وإيزابيلا) دين الإسلام من إسبانيا، أو التي جعل بها (لويس الرابع عشر) المذهب البروتستانتي مذهباً يعاقب عليه متبعوه في فرنسا، أو بتلك السهولة التي ظل بها اليهود مبعدين عن إنجلترا مدة ثلاث مئة و خمسون سنة، وكانت الكنائس الشرقية في آسيا قد انعزلت انعزالاً تامًّا عن سائر العالم المسيحي الذي لم يكن فيه أحد يقف في جانبهم باعتبارهم طوائف خارجة عن الدين، ولهذا فإن مجرد بقاء هذه الكنائس حتى الآن ليحمل في طياته الدليل القوي على ما قامت عليه سياسة الحكومات الإسلامية بوجه عام من التسامح نحوهم»[١].

✍ ثانياً: المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه[٢]:

تقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه: «العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام، فالمسيحيون والزرادشتية واليهود الذين لاقوا قبل

---

(١) الدعوة إلى الإسلام ص ١٤٧-١٤٨.

(٢) زيغريد أو زيكريد هونكه ١٩١٣ -١٩٩٩ : مستشرقة ألمانية معروفة بكتاباتها في مجال الدراسات الدينية، وحصلت على شهادة الدكتوراه عام ١٩٤١م اشتهر عنها في آخر حياتها أنها كانت تنظر للإسلام نظرة معتدلة كما هو واضح من أشهر تراجم كتاباتها انتشاراً في العالم العربي وهما: شمس العرب تسطع على الغرب وكتاب الله ليس كذلك. ينظر: موقع ويكيبيديا.

الإسلام أبشع أمثلة للتعصب الديني وأفظعها، سُمح لهم جميعاً دون أي عائق يمنعهم بممارسة شعائر دينهم، وترك المسلمون لهم بيوت عبادتهم وأديرتهم وكهنتهم وأحبارهم دون أن يمسوهم بأدنى أذى، أوليس هذا منتهى التسامح؟ أين روى التاريخ مثل تلك الأعمال؟ ومتى؟

ومن ذا الذي لم يتنفس الصعداء بعد الاضطهاد البيزنطي الصارخ وبعد فضائع الإسبان واضطهادات اليهود؟

إن السادة والحكام المسلمين الجدد لم يزجوا بأنفسهم في شؤون تلك الشعوب الداخلية، فبطريرك بيت المقدس يكتب في القرن التاسع لأخيه بطريرك القسطنطينية عن العرب: إنهم يمتازون بالعدل ولا يظلموننا البتة، وهم لا يستخدمون معنا أي عنف»[(١)].

ثالثاً: الكاتب ول ديورانت[(٢)]:

يقول ول ديورانت: «لقد كان أهل الذمة، المسيحيون واليهود والصابئون يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح، لا نجد لها نظيراً في البلاد المسيحية في هذه الأيام، فلقد كانوا أحراراً في ممارسة شعائر دينهم، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم.. ولم يفرض عليهم أكثر من ارتداء زي ذي

---

(١) شمس الإسلام تسطع على الغرب أثر الحضارة العربية على أوربا، زغريد هونكه، ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٩٩٣م، ص ٣٦٤.

(٢) ول ديورانت: مؤلف أمريكي معاصر، يعد كتابه (قصة الحضارة) ذو الثلاثين مجلداً، واحداً من أشهر الكتب التي تؤرخ للحضارة البشرية عبر مساراتها المعقدة المتشابكة، عكف على تأليفه السنين الطوال، وأصدر جزأه الأول عام ١٩٣٥، ثم تلته بقية الأجزاء، ومن كتبه المعروفة كذلك (قصة الفلسفة). نقلاً عن: موقع قصة الإسلام- شهادة المنصفين عن الإسلام.

لون خاص وأداء فرضة عن كل شخص، تختلف باختلاف دخله وتتراوح بين دينار وأربعة دنانير.

ولم تكن هذه الضريبة تفرض إلا على غير المسلمين القادرين على حمل السلاح، ويعفى منها الرهبان والنساء والذكور الذين هم دون البلوغ، والأرقاء، والشيوخ، والعجزة، والعمي والفقراء... وكانوا يتمتعون بحكم ذاتي يخضعون فيه لزعمائهم، وقضاتهم وقوانينهم، وكان تسامح الحكام المسلمين معهم يختلف باختلاف الأسر الحاكمة... وكان اليهود يتمتعون بكامل الحرية في حياتهم وفي ممارسة شعائر دينهم في بيت المقدس، وكان المسيحيون يمارسون دينهم بكامل حريتهم؛ إذ يحدثنا المؤرخون أنه كان في بلاد الإسلام في عصر المأمون أحد عشر ألف كنيسة، كما كان فيها عدد كبير من هياكل اليهود ومعابد النار، وكان المسيحيون أحراراً في الاحتفال بأعيادهم علناً، والحجاج المسيحيون يأتون أفواجاً آمنين لزيارة الأضرحة المسيحية في فلسطين، لقد أصبحوا أحراراً آمنين تحت حكم المسلمين الذين لم يكونوا يجدون لنقاشهم ومنازعاتهم معنى يفهمونه.

ولقد ذهب المسلمون في حماية المسيحيين إلى أبعد من هذا؛ إذ عين والي أنطاكية في القرن التاسع الميلادي حرساً خاصّاً ليمنع الطوائف المسيحية المختلفة من أن يقتل بعضها بعضاً في الكنائس»(١).

---

(١) قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، دار الجيل، بيروت، ١٣/ ١٣٠-١٣٢ بتصرف.

✍ رابعاً: المستشرق آدم متز[(١)]:

ويقول آدم متز: «ولما كان الشرع الإسلامي خاصّاً بالمسلمين، فقد خلَّت الدولة الإسلامية بين أهل الملل الأخرى وبين محاكمهم الخاصة بهم، والذي نعلمه من أمر هذه المحاكم أنها كانت محاكم كنسية، وكان رؤساء المحاكم الروحيون يقومون فيها مقام كبار القضاة أيضاً، وقد كتبوا كثيراً من كتب القانون، ولم تقتصر أحكامهم على مسائل الزواج، بل كانت تشمل إلى جانب ذلك مسائل الميراث وأكثر المنازعات التي تخص المسيحيين وحدهم مما لا شأن للدولة به»[(٢)].

✍ خامساً: ألفريد جيوم[(٣)]:

يقول ألفريد جيوم: «لقد استقبل المسلمون في سوريا ومصر والعراق بترحاب، لأنهم قضوا على الابتزاز الإمبراطوري، وأنقذوا البيع المسيحية المنشقة من الضغط الكريه الذي كانت تعانيه الحكومة المركزية، وبرهنوا بذلك على معرفة بالمشاعر والأحاسيس المحلية أكثر من معرفة الأغراب»[(٤)].

---

(١) آدم متز: ١٨٦٩ - ١٩١٧م هو مستشرق سويسري ألماني. اهتم بالأدب العربي في القرن الرابع الهجري وما تلاه. له كتاب الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري.

(٢) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ٢/ ٩٣.

(٣) ألفريد جيوم ١٨٨٨م – ١٩٦٥م، مستشرق إنجليزي متخصص في علم الكلام الإسلامي، له مجموعة من المؤلفات في مقارنة الأديان وعلم الحديث والسيرة النبوية، لم يخف إعجابه بالإسلام وسماحته.

(٤) الفلسفة وعلم الكلام، ألفريد جيوم، دراسة منشورة في كتاب (تراث الإسلام)، ترجمة: جرجس فتح الله، بيروت، ١٩٧٢م، ص ١٧٧.

✍ سادساً: جوستاف ليبون[١]:

يقول جوستاف ليبون: «إن القوة لم تكن عاملاً في انتشار القرآن، فقد ترك العرب المغلوبين أحراراً في أديانهم.. فإذا حدث أن انتحل بعض الشعوب النصرانية الإسلام واتخذ العربية لغة له؛ فذلك لما كان يتصف به العرب الغالبون من ضروب العدل الذي لم يكن للناس عهد بمثله، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم تعرفها الأديان الأخرى»[٢].

(١) تقدمة ترجمته ص١٨١.

(٢) حضارة العرب، جوستاف ليبون، ص١٢٧.

المبحث الثالث

حقوق المرأة في الإسلام

حقوق المرأة في الإسلام من الموضوعات التي دخلها التشويه من قبل أعداء الإسلام للإساءة للإسلام وأهله فغيروا الحقائق وشوهوها ليصدوا عن سبيل الله وهذا من الأسباب التي جعلتهم لا يرغبون في الدخول في هذا الدين حيث يصورون المرأة المسلمة على أنها المقهورة المغلوبة على أمرها حبيسة البيت تحت رجل ظالم، فيدخلون من مداخل خاطئة ويحرفون الحقائق، ويخفون حقوق المرأة وما تتمتع به من عز وكرامة في الإسلام.

ومن جهة أخرى فالنساء شقائق الرجال، لذلك كان لابد من بيان الصورة الصحيحة الحسنة التي حظيت بها المرأة في الإسلام من خلال حقوق تراعي طبيعتها واحتياجاتها ودورها تجاه ربها وأمتها.

فقد جاء الإسلام يدافع عن المرأة ويُنزلها المكانة التي لم تبلغها في ملَّة ماضية، ولم تُدْرِكْها في أُمَّة تالية؛ حيث شرع لها -كأمٍّ وأخت وزوجة وابنة- من الحقوق منذ أربعةَ عَشَرَ قرناً، ما لا تزال المرأة الغربيَّة تُصارِع الآن للحصول عليه، ولكن هيهات(١)!

---

(١) تم الحديث عن مجموعة من حقوق المرأة عند الحديث عن محاسن الإسلام في تشريعات الأسرة، وهنا حاولت أن أذكر أموراً أخرى، وللاستزادة وكثير من الشواهد يمكن مراجعة كتب الفقه عند الحديث عن فقه الأسرة، ومن الكتب المتخصصة، مكانة المرأة في الإسلام لجعفر عبدالسلام، ومكانة المرأة في القرآن والسنة لمحمد بلتاجي، والتمايز العادل بين الرجل والمرأة في الإسلام د. محمد بن أحمد الدوسري، والمرأة في الإسلام للشيخ محمد الغزالي ومحمد سيد طنطاوي وأحمد عمر هاشم.

ويتضح ذلك من خلال الأمور التالية:

◆ أولاً: قرر الإسلام بداية أن النساء يُماثِلن الرجال في القَدْر والمكانة:

فلا يَنْتَقِصُ منهنَّ أبداً كونُهنَّ نساء، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١]. وقال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[البقرة: ١٨٧].

وفي ذلك قال الرسول ﷺ مؤصلاً لقاعدة مهمَّة وهي: (إِنَّ النِّسَاءَ شَقَائِقُ الرِّجَالِ)(١).

فالمرأة لا تختلف عن الرجل من حيث العنصر الإنساني، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾ [الحجرات: ١٣].

وفي الخطاب الرباني فهم مكلفون ومحاسبون ومتساوون، قال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، ولكل منهما صفات نفسية وجسدية رعاها الله في بعض التكليفات والتشريعات.

◆ ثانياً: حق الرعاية وفضلها:

قال رسول الله ﷺ: (من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن وأطعمهن وسقاهن وكساهن من جدته(٢) كن له حجاباً من النار يوم القيامة)(٣).

---

(١) مسند أحمد ٤٣/ ٢٦٥ (٢٦١٩٥) وقال شعيب الأرناؤوط: حسن لغيره، وجامع الترمذي أبواب الطهارة، باب ما جاء فيمن يستيقظ فيرى بللاً (١١٣)، وسنن أبي داوود، كتاب الطهارة، باب في الرجل يجد البلة في منامه (٢٣٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٩٨٣).

(٢) جدته: أي من غناه. ينظر: حاشية السندي على سنن ابن ماجه ٢/ ٣٩١.

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب الأدب، باب بر الوالد، والإحسان إلى البنات (٣٦٦٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٩٣).

وقال: (مَنْ يَلِي مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ شَيْئاً فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ؛ كُنَّ لَهُ سِتْراً مِنَ النَّارِ)(١).

وقال: (أَيُّمَا رَجُلٍ كَانَتْ عِنْدَهُ وَلِيدَةٌ فَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، وَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا... فَلَهُ أَجْرَانِ)(٢).

وكذلك فإن كان للرجل أخوات وأنفق عليهن وأدبهن فنرجو له الجنة وأن يكن حجاباً له من النار(٣).

◆ ثالثاً: حق اختيار الزوج:

فقد كفل الإسلام للمرأة سواء كانت بكراً أو ثيّباً حق الموافقة أو الرفض للخطبة، قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: (لاَ تُنْكَحُ الأَيِّمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ وَلاَ تُنْكَحُ الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَكَيْفَ إِذْنُهَا قَالَ: (أَنْ تَسْكُتَ)(٤).

◆ رابعاً: حق الصداق والنفقة:

قال تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ [النساء: ٤]. فالإسلام أوجب على الزوج أن يوفر لزوجته كل ما تحتاج إليه من طعام ومسكن وأثاث وخدمة وكل ما يلزمها بالمعروف، قال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾[الطلاق: ٧]، وقال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: (وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ..)(٥).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته (٥٦٤٩)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الإحسان إلى البنات (٢٦٢٩).

(٢) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب اتخاذ السراري ومن أعتق جاريته ثم تزوجها (٤٧٩٥)

(٣) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ٤/ ٣٥٧.

(٤) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها (٥١٣٦)، ومسلم النكاح، باب استئذان الثيب في النكاح بالنطق والبكر بالسكوت رقم(٣٥٣٨).

(٥) صحيح مسلم، كتاب الحج،، باب حجة النبي ﷺ (٣٠٠٩).

◆ **خامساً: حق المعاشرة بالمعروف:**

وهي الصحبة الطيبة بين الزوج والزوجة التي تقوم على المودة والرحمة، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[النساء: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[الروم: ٢١].

وقال ﷺ: **(وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْراً، فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْراً)**[(١)]، وقال ﷺ: **(خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)**[(٢)].

ومن المعاشرة الحسنة ملاطفة الزوجة وملاعبتها ومضاحكتها، وهذا لا يعتبر نقصاً في رجولة الرجل أو إسقاطاً لهيبته فقد ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: **(كل ما يلهو به الرجل المسلم باطل إلا رميه بقوسه، وتأديب فرسه، وملاعبة أهله، فإنهن من الحق)**[(٣)].

◆ **سادساً: حق الرعاية والتوجيه والتعليم:**

قال ﷺ: **(كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير راع وهو مسؤول، والرجل راع على أهله وهو مسؤول، والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسؤولة، ألا وكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته)**[(٤)].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الوصية بالنساء (٥١٨٦)، ومسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء (١٤٦٨).

(٢) جامع الترمذي، كتاب المناقب، باب فضل أزواج النبي ﷺ (٣٨٩٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح، سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب حسن معاشرة النساء (١٩٧٧).

(٣) جامع الترمذي، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الرمي في سبيل الله، وقال: حديث حسن (١٦٣٧)، وصححه الألباني من غير قوله: (فإنهن من الحق) في السلسلة الصحيحة (٣١٥).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن (٨٩٣).

وقال ﷺ: (**طلب العلم فريضة على كل مسلم**)(١).

ولقول رسول الله ﷺ: (**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله**)(٢). فعلى الرجل أن يوجه أفراد أسرته بما فيهم الزوجة ويعلمهم ما تعلمه من أمور دينه.

◆ سابعاً: حق العدل بين الزوجات:

أمر الله تعالى بالعدل بين الزوجات، وأمر من لم يستطع العدل أن لا يتزوج أكثر من واحدة، ويمكنه أن يجمع معها ملك اليمين، لأنه ليس لها من الحقوق كما للحرة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ [سورة النساء ٣].

وورد عن النبي ﷺ أنه قال: (**من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل**)(٣).

ومن التطبيق العملي للنبي ﷺ لذلك ما ثبت (**أن النبي ﷺ كان إذا أراد السفر أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، وكان يقسم لكل امرأة منهن يومها وليلتها، غير أن سودة بنت زمعة وهبت يومها وليلتها لعائشة زوج النبي ﷺ، تبتغي بذلك رضا رسول الله ﷺ**)(٤).

---

(١) سنن ابن ماجه، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (٢٢٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٨٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان وغيرهم؟ برقم(٩٠٠)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب خروج النساء إلى المسجد إذا لم يترتب عليه فتنة رقم (٤٤٢).

(٣) سنن أبي داوود، كتاب النكاح، باب في القسم بين النساء (٢١٣٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢/ ١١١٠ (٦٥١١).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ (٢٥٩٣).

◆ ثامناً: حقوق عند الطلاق:

فقد شرع الإسلام مجموعة من القوانين والتشريعات التي يحافظ بها على كرامة المرأة وحقوقها المالية والنفسية والاجتماعية عند عدم توفر الحياة الزوجية المطمئنة، ومن ذلك:

- حرم **الإسلام** خروج المرأة أو إخراجها من بيتها في حال الطلقة الأولى والثانية.

- حرّم الإسلام على الزوج أخذ أو استرجاع الصداق إذا وقع الطلاق، وأما غير المدخول بها فلها نصف المهر، مع منع الله تعالى إمساك النساء للإضرار بهن.

- **أثبت الإسلام حق المطلقة في المتعة:** وهي ما يؤمر الزوج بإعطائه للمطلقة ليجبر به ألم فراقها، سواء كان ذلك قبل الدخول أو بعده، وسواء كان قد فرض لها صدقا أو لم يفرض لها صداق.

- **وكذلك** وجوب النفقة على الزوج للمطلقة طلاقاً رجعيَّاً وللمطلقة الحامل وإن كانت بائناً، والمتوفى عنها زوجها لا نفقة لها سواء كانت حاملاً أم لا[١].

◆ تاسعاً: تشريع الخلع[٢]:

بداية توعد الإسلام المرأة التي تطلب الطلاق من زوجها بغير سبب، فعن ثوبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **(أيما امرأة سألت زوجها طلاقاً في غير ما بأس فحرامٌ عليها رائحة الجنة)**[٣]، وهذا من باب المحافظة على رابطة الزوجية والرابطة الأسرية في المجتمع.

(١) ينظر هذه المسائل وغيرها في كتب الفقه عند كتاب الطلاق.

(٢) حول موضوع الخلع يمكن مراجعة العدة في شرح العمدة ٢/ ٧٧-٨٠ ففيه بيان مختصر بالدليل.

(٣) سنن أبي داوود، كتاب الطلاق، باب الخلع (٢٢٢٦). وصححه الألباني في صحيح أبي داوود (١٩٤٧).

ولكن إذا استفحل الأمر وأحست الزوجة بسوء عشرة زوجها، أو عدم التوفيق معه في الحياة بصفة عامة لأي سبب من الأسباب، وأن بقاءها معه يعطل القيام بما أمر الله به، أو الخروج عن أمر الله في حسن العشرة أو العفة، جاز لها أن تطلب الطلاق منه[1]، وأن تعوضه على تحطيم عِشِّه بلا سبب متعمد منه، بردِّ الصداق الذي أمهرها إياه أو بعضه، لتعصم نفسها من معصية الله وتعدي حدوده، وهذا ما يسمى في الشرع بالخلع[2].

وهكذا يراعي الإسلام جميع الحالات الواقعية التي تعرض للناس، ويراعي مشاعر القلوب الجادة التي لا حيلة للإنسان فيها، فلا يقسر الزوجة على حياة تَنْفُر منها، وفي الوقت ذاته لا يضيع على الرجل ما أنفقه بلا ذنب جناه.

◆ عاشراً: تحريم الظهار:

«**فيحرم قول الرجل لزوجته:** أنت علي كظهر أمي»[3]، فهو يحرمها على نفسه كحرمة أمه عليه، «وإذا ظاهر الرجل امرأته ترتب على ظِهَاره حرمة إتيان الزوجة حتى يُكَفِّر كفارة الظهار، وكان أهل الجاهلية يعتبرون هذه الكلمة طلاقاً أبديًّا، وجاء الإسلام واعتبره ظهاراً له كفارة لأن الإسلام أراد أن يرتقي بالمجتمع وأن يرتقي بالأسرة بالحفاظ عليها من الضياع في ظل منهج ينظم ويُقوِّم حياتها، ويحفظ لها حقها،

---

(١) فقد ثبت أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خلق ولا دين، ولكني أكره الكفر في الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: **(أتردين عليه حديقته؟)** قالت: نعم. فقال رسول الله ﷺ: **(اقبل الحديقة وطلقها طلقة)**، صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب الخلع وكيف الطلاق فيه (٥٢٧٣).

(٢) فتح الباري ٩/ ٣٠٧ مختصراً.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ١١٨.

ويضمن لها سعادتها في دنياها وأخراها، فحرم الظهار لما تضمنه من تحريم ما أحل الله، وفيه أذيةٌ للمرأة.

فحفاظاً على الأسرة المسلمة، ووقاية من الوقوع في مثل تلك الأقوال التي تحرم ما أحل الله وتسبب خللاً في بناء الأسرة والمجتمع، كانت كفارة الظهار، والتي ليست على التخيير، وإنما هي على الترتيب الوارد في الآية عتق رقبة، فإن لم يجد ما يعتق فيصوم شهرين متتابعين. لا يفرق بين الأيام إلا لعذر شرعي، فإن لم يكن يقدر على الصيام فيطعم ستين مسكيناً.

ومن الملحوظ أنه «قد روعي في كفارة الظهار التشديد، محافظة على العلاقة الزوجية، ومنعاً من ظلم المرأة، فإن الرجل إذا رأى أن الكفارة يثقل عليه الوفاء بها، احترم العلاقة الزوجية، وامتنع عن ظلم زوجته»(١).

♦ الحادي عشر: حق الزوجة عند وقوع الإيلاء(٢):

شرع الله سبحانه وتعالى حدّاً يَحْرُم بعده الهجران، لأنه قد يكون الرجل باغياً يريد إعنات المرأة وإذلالها، أو يريد إيذاءها لتبقى معلقة، لا تستمتع بحياة زوجية معه ولا تستطيع أن تتزوج زوجاً غيره، وهذا الحد الذي شرعه الله تعالى هو: **أربعة أشهر**، وهو أقصى حد يَبْعُد الرجل فيه عن امرأته محرماً نفسه عليها.

لأن «الهجران فيه إيذاء لنفسية الزوجة، وإهدارٌ لكرامتها، وتعطيل للحياة الزوجية، وجفوة تمزق أوصال العشرة وتزيد من الفجوة، والخلاف، والهجران، وتحطم بنيان الأسرة، وقد تصل إلى أن تنشر الرذيلة والفاحشة بين فئات المجتمع»(٣).

---

(١) فقه السنة ٢/ ٤٥٧.

(٢) الإيلاء هو «الحلف على ترك وطء المرأة» المغني ١١/ ٥.

(٣) ينظر: فقه السنة ٢/ ١٣٣.

- **الثاني عشر: حقوقها كأم:**

قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف١٥]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي قال: **(أمك)** قال: ثم من؟ قال: **(أمك)** قال: ثم من؟ قال: **(أمك)** قال ثم من؟ قال: **(أبوك)**[(١)].

ويزداد وجوب الرعاية عند الكبر قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

- **الثالث عشر: حقها في الاستقلال المالي وحقها في الميراث:**

أثبت الإسلام للمرأة ذِمَّة ماليَّة مستقلَّة تماماً كالرجل؛ فلها أن تبيع وتشتري، وتستأجر وتؤجِّر، وتوكل وتهب وتَرث وتورِث، ولا حِجْر عليها في ذلك ما دامت عاقلة رشيدة، وذلك انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء:٦].

وكذلك فرض الإسلام للمرأة الميراث، وهو حق فرضه الله لها، ترث في بعض حالاته نصف ما يرث الرجل، وفي بعض الحالات أكثر من الرجل وفي بعض الحالات أقل من الرجل، وأحياناً ترث المرأة ولا يرث الرجل.

فتوريث المرأة على النصف من الرجل ليس موقفاً عامَّاً لكل الذكور وكل الإناث، أي أن هذا التمييز ليس قاعدة ثابتة في كل حالات الميراث إنما هو في حالات خاصة

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة (٥٩٧١). صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب بر الوالدين وأنهما أحق به (٢٥٤٨).

ومحدودة من بين حالات الميراث، وقاعدة المواريث في الإسلام لا يرجع إلى معايير الذكورة والأنوثة بل إن هذا التمايز بين أنصبة الوارثين والوارثات في فقه الميراث الإسلامي إنما تحكمه ثلاثة معايير:

١- درجة القرابة بين الوارث وبين المورث فكلما اقتربت الصلة زاد النصيب من الميراث، وكلما ابتعدت الصلة قل النصيب من الميراث.

٢- موقع الجيل الوارث من التتابع الزمني للأجيال فالأجيال التي تستقبل الحياة وتستعد لتحمل أعبائها عادة ما يكون نصيبها أكبر من نصيب الأجيال التي تستبدر الحياة ذلك بغض النظر عن الذكورة والأنوثة للوارثين والوارثات، فبنت المتوفى ترث أكثر من أمه، بل وترث البنت أكثر من الأب حتى لو كانت رضيعة وحتى لو كان الأب هو مصدر الثروة التي للابن والتي تنفرد البنت بنصفها، وكذلك يرث الابن أكثر من الأب وكلاهما من الذكور.

٣- العبء المالي الذي يوجب الشرع الإسلامي على الوارث تحمله والقيام به حيال الآخرين وهذا هو المعيار الوحيد الذي يثمر تفاوتاً بين الذكر والأنثى أو انتقاص من ميراثها، بل العكس هو الصحيح ففي حالة ما إذا اتفق الوارثين في درجة القرابة اتفقوا وتساووا في موقع الجيل الوارث من تتابع الأجيال مثل أولاد المتوفى ذكوراً وإناثاً يكون تفاوت العبء المالي هو السبب في تفاوت أنصبة الميراث، فعلى سبيل المثال فالذكر مكلف برعاية أمه وأخته أو أخواته والإنفاق عليهن عند وفاة والده، ولذا استحق أن يأخذ ضعف الأنثى[1].

(١) هذا العرض ملخص رسالة ماجستير بعنوان أحكامِ ميراث المرأة في الفقه الإسلامي للباحثة د. ورود عادل إبراهيم عَورتاني، بإشراف د. مُحَمَّد الصُّلَيبي، جامعةُ النَّجاحِ الوطنية بفلسطين ١٤١٩هـ منشور في برنامج المكتبة الشاملة.

ومن هنا يتبين أن الإسلام راعى حق المرأة في الاستقلال المالي مهما كانت غنية فالرجل هو المسؤول عنها وعن توفير الحياة الكريمة المعتدلة حسب وسعه وقدرته.

◆ الرابع عشر: حقوقها في المشاركة في الشعائر الدينية والأعمال الاجتماعية:

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[التوبة٧١].

فالآيات ذكرت المؤمنين والمؤمنات، تأكيداً على أهمية مشاركة المؤمنات في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمعناهما العام.

ومن ذلك استشارته ﷺ أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها في الحديبية وقبول مشورتها[١].

ولما أَجَارَتْ أُمُّ هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها رجلاً من المشركين، وأبى أخوها عليٌّ إلَّا أنْ يقتله، كان قضاء الرسول ﷺ في هذه الحادثة قوله: (**أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يَا أُمَّ هَانِئٍ**)[٢].

فأعطاها الحقَّ في أن تُعْطِيَ الأمان والجوار في الحرب أو السلم لغير المسلمين فما دون ذلك فهو أولى وأحرى.

وكان رسول الله ﷺ يبين فضل النساء وأهم ما يجب على المرأة في الرقي بالمجتمع ببناء أجياله، ورعايتها للأسرة، فعن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: (**خير نساء**

(١) صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب(٢٧٣١).

(٢) صحيح البخاري، عن أم هانئ بنت أبي طالب، كتاب الجزية والموادعة، باب أمان النساء وجوارهن (٣٠٠٠)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى(٣٣٦).

ركبن الإبل نساء قريش، أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده)[١].

ومن ذلك الاعتراف لهن بالفضل في خدمة الدين، والتفاعل مع قضايا المجتمع والإسلام، فقدمت أسماء بنت عميس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من الحبشة فقال لها عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا حبشية سبقناكم بالهجرة! فقالت: لقد صدقت كنتم مع رسول الله؛ يطعم جائعكم، ويعلم جاهلكم، وكنا البعداء والطرداء، أما والله لأذكرن ذلك لرسول الله، فأتته فقال ﷺ: **(للناس هجرة واحدة، ولكم هجرتان)**[٢].

---

(١) صحيح البخاري كتاب النكاح باب إلى من ينكح، وأي النساء خير، وما يستحب أن يتخير لنطفه من غير إيجاب (٥٠٨٢) ومسلم، كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل نساء قريش (٢٥٢٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر (٤٢٣٠)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل جعفر بن أبي طالب وأسماء بنت عميس (٢٥٠٣).

المبحث الرابع

حقوق الطفل في الإسلام

لما كانت مرحلة الطفولة من المراحل المهمة والأساسية في بناء شخصيَّة الفرد إيجاباً أو سلباً، وفقاً لما يُلاقيه من اهتمام، جاء الإسلام ليُقَرِّرَ أن لهؤلاء الأطفال حقوقاً وواجبات، لا يمكن إغفالها أو التغاضي عنها، وذلك قبل أن تُوضَع حقوق الطفل بأربعة عشر قرناً.

كما سبق الإسلام غيره من النظم في الاهتمام بهذه الحقوق في مراحل متقدمة للغاية تبدأ من اختيار الأم الصالحة، ثم الاهتمام به في حالة الحمل فأقرّ تحريم إجهاضه وهو جنين، وإجازة الفطر في رمضان للمرأة الحامل، وتأجيل حدِّ الزنا حتى يُولد وينتهي من الرضاع، وإيجاب الدية على قاتله.

وجعل من حقوقه بمجرد ولادته الاستبشار بقدومه، واستحباب تحنيكه، وحلق شعر رأسه والتصدق بوزنه، واختيار الاسم الحسن للمولود، والعقيقة، وإتمام الرضاعة، والختان والحضانة والنفقة والتربية الإسلامية الصحيحة، وحق التعليم(١).

ومما يدل على قمة ما وصل إليه الإسلام من رعاية لحقوق الطفل ما ثبت أن

---

(١) هذه الأمور جميعاً عليها أدلة كثيرة تركتها لعدم التطويل، ويمكن الرجوع إليها في كتاب تحفة المودود في أحكام المولود، وفن تربية الأولاد في الإسلام لمحمد سعيد مرسي، وورقة بحث بعنوان: (حول ميثاق الطفل في الإسلام) ضمن أعمال مؤتمر (حقوق الطفل العربي بين المواثيق الدولية والرؤى الإقليمية) الشارقة - ٢٥-٢٦ أبريل ٢٠٠٦. وكتاب حقوق الطفل من وجهة نظر الإسلام. د. عادل محمد أبو العلا.

رسول الله ﷺ انتقد الرجل الذي قال له إن لي عشرة من الأبناء ما قبَّلْتُ واحداً منهم، فقال النبي ﷺ: **(من لا يرحم لا يرحم)**(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، جاء شيخ يريد النبي ﷺ فأبطأ القوم عنه أن يوسعوا له فقال النبي ﷺ النبي ﷺ: **(ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا)**(٢).

وفي رواية: **(من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا)**(٣).

وجاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: تقبلون الصبيان؟ فما نقبلهم، فقال النبي ﷺ: **(أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة)**(٤)، فلأنه لا يقبل أبناءه اعتبره الإسلام منزوع الرحمة.

ومن هذه الرحمة ما ثبت أن الغامدية رضي الله عنها التي زنت وأرادت أن يطبق النبي عليها حد القذف، ردها النبي ﷺ حتى تلد، فلما وضعت وجاءت قال النبي ﷺ: **(إذاً لا نرجمها وندع ولدها صغيراً ليس له من يرضعه)**(٥).

وكذلك للأطفال حق التقدير والاحترام وإظهار الاهتمام، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: **(أتى رسول الله ﷺ على غلمان يلعبون فسلم عليهم)**(٦).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته (٥٩٩٧) ومسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان، والعيال، وتواضعه، وفضل ذلك (٢٣١٨).

(٢) جامع الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الصبيان برقم (١٩١٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم (٢١٩٦).

(٣) سنن أبي داوود، كتاب الأدب، باب في الرحمة (٤٩٤٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٥٤٠).

(٤) صحيح البخاري، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته (٥٩٩٨)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك (٢٣١٧).

(٥) صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى (١٦٩٥).

(٦) صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب استحباب السلام على الصبيان (٢١٦٨).

عن أنس قال: **(كان رسول الله ﷺ يزور الأنصار فيسلم على صبيانهم، ويمسح برءوسهم، ويدعو لهم)**[(١)].

ومن حقوق الأطفال في الإسلام التربية والتأديب فقد كان رسول الله ﷺ حريصاً على تعليم الصغار وتأديبهم، والأمثلة على ذلك كثيرة منها ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً، فقال: **(يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف)**.

وفي زيادة: **(تعرف على الله في الرخاء يعرف في الشدة.. واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً)**[(٢)].

(١) السنن الكبرى للنسائي ٧/ ٣٨٦ (٨٣٤٩) وصححه الألباني في التعليقات الحسان (٤٦٠).

(٢) جامع الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب (٥٩) برقم (٢٥١٦) وأحمد ٥/ ١٩(٢٨٠٠) والزيادة له، وصححه الألباني بزياداته في الصحيحة (٢٣٨٢).

المبحث الخامس

حقوق العمال والخدم في الإسلام

يكفي الخدم العمال شرفاً ورعاية في الإسلام أن النبي ﷺ كان قد أوصى بهم في آخر حياته، وآخر توجيهاته لأمته، فعن أنس بن مالك قال: كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضرته الوفاة، وهو يغرغر بنفسه: **(الصلاة الصلاة، وما ملكت أيمانكم)**[(١)].

«أراد بما ملكت أيمانكم المماليك، وإنما قرنه بالصلاة ليعلم أن القيام بمقدار حاجتهم من الكسوة والطعام واجب على من ملكهم وجوب الصلاة التي لا سعة في تركها، وقد ضم بعض العلماء البهائم المستملكة في هذا الحكم إلى المماليك»[(٢)].

يمكن بيان معالم تلك الحقوق في النقاط التالية[(٣)]:

⌑ أولاً: حسن معاملتهم وإكرامهم، وعدم تكليفهم ما لا يطيقون:

فقد دعا الإسلام أصحاب الأعمال إلى معاملة خدمهم معاملة إنسانيَّة كريمة، وإلى الشفقة عليهم، والبرِّ بهم وعدم تكليفهم ما لا يطيقون من الأعمال، فقال ﷺ: **(إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ**[(٤)]**، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ**

---

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله ﷺ (١٦٢٥) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه.

(٢) عون المعبود ١٤/ ٤٤.

(٣) للاستزادة ينظر: معالمة الخدم في الإسلام للشيخ محمد علي أبو العباس، وأحكام الخدم في الشريعة الإسلامية د. محمد عمر بازمول، كيف عاملهم رسول الله ﷺ د. محمد المنجد، مطوية حقوق الخدم د. أحمد الجسار. وبحث بعنون: حقوق الأجراء للشيخ د. إبراهيم بن محمد الحقيل منشور على موقع الألوكة.

(٤) خولكم: خدمكم. ينظر: فتح الباري ١/ ١١٥.

فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ)[١] فارتفع بدرجة العامل الخادم إلى درجة الأخ! وهذا ما لم يسبق أبداً في حضارة من الحضارات.

وقال ﷺ قال: **(إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه، فإن لم يجلسه معه، فليناوله أكلة أو أكلتين، أو لقمة أو لقمتين، فإنه ولي حره وعلاجه)**[٢].

قال النووي: «وفي هذا الحديث الحث على مكارم الأخلاق والمواساة في الطعام لا سيما في حق من صنعه أو حمله لأنه ولي حره ودخانه وتعلقت به نفسه وشم رائحته»[٣].

كما يجب على صاحب العمل عدم إرهاق العامل إرهاقاً يضرُّ بصحَّته، ويجعله عاجزاً عن العمل، فلقد قال رسول الله ﷺ في ذلك: **(مَا خَفَّفْتَ عَنْ خَادِمِكَ مِنْ عَمَلِهِ كَانَ لَكَ أَجْراً فِي مَوَازِينِكَ)**[٤].

وعن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: **(للمملوك طعامه وكسوته، ولا يكلف من العمل إلا ما يطيق)**[٥].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك (٣٠)، ومسلم، كتاب الأيمان والنذور، باب إطعام المملوك مما يأكل (١٦٦١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب الأكل مع الخدم (٥٣٦٠)، ومسلم، كتاب الأيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل (١٦٦٣).

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ١١/ ١٣٥.

(٤) صحيح ابن حبان ١٠/ ١٥٣ (٤٣١٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ٢٣٩: فيه عمرو بن الحريث قال ابن معين: لم ير النبي ﷺ فإن كان كذلك فالحديث مرسل، ورجاله رجال الصحيح، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الأيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل، وإلباسه مما يلبس، ولا يكلفه ما يغلبه (١٦٦٢).

⌑ ثانياً: استيفاء أجر الخادم:

فألزم الإسلام أن يُوَفِّيَ للعامل والخادم أجره المكافئ لجُهده دون ظلم أو مماطلة، فقال: **(أَعْطُوا الأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ)**(١).

وحَذَّر الإسلام من ظلم العمال، فقال الرسول ﷺ في الحديث القدسي عن ربِّ العزَّة عز وجل: **(قَالَ اللهُ تَعَالَى: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ... وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيراً فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ)**(٢).

⌑ ثالثاً: الرفق بهم والتجاوز عن أخطائهم وعدم ظلمهم وضربهم:

ومن تطبيقه ﷺ لذلك قول أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: **(مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ شَيْئاً قَطُّ بِيَدِهِ وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِماً)**(٣).

وعبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، كم نعفو عن الخادم؟ فصمت، ثم أعاد عليه الكلام، فصمت، فلما كان في الثالثة، قال: **(اعفُ عنه في كل يوم سبعين مرة)**(٤).

وعن عائشة، أن رجلاً قعد بين يدي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني، وأشتمهم وأضربهم فكيف أنا منهم؟ قال: **(يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم، فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافاً، لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلاً لك، وإن كان**

---

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الرهون، باب أجر الأجراء (٢٤٤٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٠٥٥)

(٢) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب إثم من باع حُرًّا (٢١١٤).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب مباعدته ﷺ للآثام... (٢٣٢٨).

(٤) سنن أبي داوود، كتاب الأدب، باب في حق المملوك (٥١٦٤)، وجامع الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في العفو عن الخادم (١٩٤٩) وصححه الألباني في الصحيحة (٤٨٨).

عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل). قال: فتنحى الرجل فجعل يبكي ويهتف، فقال رسول الله ﷺ: **أما تقرأ كتاب الله ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾** [الأنبياء: ٤٧] فقال الرجل: والله يا رسول الله ما أجد لي ولهم شيئاً خيراً من مفارقتهم، أشهدك أنهم أحرار كلهم[(١)].

⌑ رابعاً: حرمة إيذائهم وضربهم وكفارة التعدي عليهم:

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: **(من قذف مملوكه، وهو بريء مما قال، جلد يوم القيامة، إلا أن يكون كما قال)**[(٢)].

وقال أبو مسعود البدري: كنت أضرب غلاماً لي بالسوط، فسمعت صوتاً من خلفي، **(اعلم، أبا مسعود)**، فلم أفهم الصوت من الغضب، قال: فلما دنا مني إذا هو رسول الله ﷺ، فإذا هو يقول: **(اعلم، أبا مسعود، اعلم، أبا مسعود)**، قال: فألقيت السوط من يدي، فقال: **(اعلم، أبا مسعود، أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام)**، قال: فقلت: لا أضرب مملوكاً بعده[(٣)].

قال النووي: «فيه الحث على الرفق بالمملوك، والوعظ والتنبيه على استخدام العفو، وكظم الغيظ، والحكم كما يحكم الله على عباده»[(٤)].

---

(١) جامع الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأنبياء عليهم السلام (٣١٦٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٢٩٠).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب قذف المملوك(٦٨٥٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب التغليظ على من قذف مملوكه بالزنا (١٦٦٠).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الأيمان، باب صحبة المماليك، وكفارة من لطم عبده (١٦٥٩).

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي ١١/ ١٣٠.

وعن زاذان أبي عمر، قال: أتيت ابن عمر وقد أعتق مملوكاً، قال: فأخذ من الأرض عوداً أو شيئاً، فقال: ما فيه من الأجر ما يسوى هذا، إلا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(من لطم مملوكه، أو ضربه، فكفارته أن يعتقه)**[(١)].

⌑ خامساً: عيادة مريضهم وشهود جنازتهم والصلاة عليهم:

بل إن الإسلام حث على عيادة الخدم عند مرضهم ولو كانوا غير مسلمين، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ، فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: **(أسلم)**، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: **(الحمد لله الذي أنقذه من النار)**[(٢)].

وقد أرشد الإسلام إلى تفقدهم والعناية بهم حتى بعد موتهم، فإذا مات أحد من الخدم أو العمال فقد أرشد الإسلام إلى شهادة جنازته، وإن لم يستطع فيذهب لقبره ويدعو له، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن امرأة سوداء كانت **تقم** المسجد، ففقدها رسول الله ﷺ، فسأل عنها فقالوا: ماتت، قال: **(أفلا كنتم آذنتموني دلوني على قبرها)** فدلوه، فصلى عليها[(٣)].

فلم ينشغل رسول الله ﷺ عن تفقد هذه الخادمة التي كانت تخدم المسجد، بل أخذت شيئاً من اهتمامه ومن وقته ليذهب إلى قبرها ويصلي عليها رسالة للناس جميعاً إلى الاهتمام بهؤلاء الخدم والعمال حتى بعد موتهم.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الأيمان، باب صحبة المماليك، وكفارة من لطم عبده (١٦٥٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام (١٣٥٦).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الخدم للمسجد(٤٦٠)، ومسلم، كتاب الكسوف، باب الصلاة على القبر (٩٥٦) واللفظ له.

⌑ سادساً: زيارتهم في بيوتهم والدعاء لهم:

ومن اهتمام الإسلام بالخدم، أرشد إلى زيارتهم وزيارة أسرهم، والدعاء لهم، فعن أنس، قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دخل علينا رسول الله ﷺ وما نحن إلا أنا وأمي وخالتي أم حرام، فقال: (قوموا أصلي بكم) فصلى بنا في غير وقت صلاة، قال رجل لثابت: فأين جعل أنس؟ قال: جعله عن يمينه، فلما قضى صلاته دعا لنا أهل البيت بكل خير من أمر الدنيا والآخرة، فقالت أمي: يا رسول الله، خويدمك، ادع الله له، قال: فدعا لي بكل خير، فكان في آخر ما دعا لي: (اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيه) قال أبو داود: فذكروا أن أنساً قال: فولد من صلبي ثمانون[(١)].

⌑ سابعاً: تفقد أحوالهم:

وأرشد كذلك الإسلام إلى تفقد أحوال الخدم وسؤالهم عن حاجاتهم، فعن زياد بن أبي زياد مولى بني مخزوم عن خادم للنبي ﷺ رجل أو امرأة قال: كان النبي ﷺ مما يقول للخادم: (ألك حاجة) قال حتى كان ذات يوم فقال: يا رسول الله حاجتي قال: (وما حاجتك؟) قال: حاجتي أن تشفع لي يوم القيامة قال: (ومن دلك على هذا؟) قال: ربي. قال: (إما لا فأعني بكثرة السجود)[(٢)].

وفي رواية: عن ربيعة بن كعب الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي: (سل) فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة. قال: (أو غير ذلك) قلت: هو ذاك. قال: (فأعني على نفسك بكثرة السجود)[(٣)].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز الجماعة في النافلة، والصلاة على حصير وخمرة وثوب، وغيرها من الطاهرات (٦٦٠).

(٢) مسند أحمد ٢٥/ ٤٧٩ (١٦٧٠٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٨٣٦).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب فضل السجود والحث عليه (٤٨٩).

المبحث السادس

حقوق الكبار في الإسلام

من سنن الله أن الصغير يكبر، والكبير يهرم، وهكذا تدور الحياة دورتها. لكن مع هذه التبدلات تبقى القيمة الإنسانية ثابتة لا تتغير، لذلك أوصى الإسلام باحترام الإنسان - كقيمة - في كل أحواله وبالغ في التأكيد عليها في مرحلة كبر السن.

ومن جانب آخر قد حرص الإسلام أشد الحرص على العناية بالفرد داخل المجتمع، منذ كونه جنيناً فطفلاً، فشابّاً، فرجلاً، بعد أن أعطاه قيمته الإنسانية فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[الإسراء ٧٠].

فالإنسان في جميع مراحله محترم ومكرم، لقيمته الإنسانية الذاتية، ويزداد ذلك التكريم والاحترام بقدر ما يكتسب من محامد وصفات وبقدر ما يعمل من أعمال البر والخير.

ولذا نجد الإسلام حفظ للإنسان كرامته، ووفى بحقه، فأمر بإكرامه عند شيبته وحث على القيام بشؤونه، وهو النموذج الذي جسدته ابنتا شعيب عليه السلام اللتان قالتا: ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣].

ويمكن بيان معالم حقوق الكبار في الإسلام في النقاط التالية[(١)]:

(١) للاستزادة ينظر: رعاية المسنين في الإسلام د. عبدالله بن ناصر السدحان، وحقوق كبار السن في الإسلام أ. د عبدالرزاق البدر، حقوق كبار السن في الإسلام، د. أحمد عمار عبد الجليل عبد الخالق، وكيف عاملهم رسول الله ﷺ د. محمد المنجد.

◇ أولاً: حق الوالدين:

أمر الله تعالى ببر الوالدين، ولما كان حال الكبر هو مظنة الإهمال والضجر والغضب خصه سبحانه بالذكر وبمزيد من العناية من بين سائر الحالات التي يمر بها الإنسان في حياته، قال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء:٢٣– ٢٤].

وقال ﷺ: (**رغم أنفُ ثم رغم أنف، ثم رغم أنفُ**)، قيل: من يا رسول الله؟ قال: (**من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة**)[(١)].

وقال النبي ﷺ لرجل استأذنه في الجهاد: (**أحيٌّ والداك**)، فقال: نعم، قال: (**ففيهما فجاهد**)[(٢)].

◇ ثانياً: توجيه الإسلام إلى احترام كل كبير:

إن الأمر لا يقف عند الوالدين إذا بلغا سن الشيخوخة بل يتعدى ذلك إلى كل كبير في السن، فيوجب له الاحترام ويجعل ذلك من الإسلام، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، جاء شيخ يريد النبي ﷺ فأبطأ القوم عنه أن يوسعوا له فقال النبي ﷺ النبي ﷺ: (**ليس**

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر فلم يدخل الجنة(٢٥٥١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب الجهاد بإذن الأبوين (٣٠٠٤)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به رقم (٢٥٤٩).

منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا)[١]، وفي رواية: (من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا)[٢].

وقال ﷺ: (إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم)[٣]، «أي تعظيم الشيخ الكبير في الإسلام بتوقيره في المجالس والرفق به والشفقة عليه ونحو ذلك كل هذا من كمال تعظيم الله لحرمته عند الله»[٤].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (ثلاثة لا يستخف بحقهم إلا منافق: ذو الشيبة في الإسلام وذو العلم وإمام مقسط)[٥].

ويعد الشاب البار الذي استجاب لأمر ربه يعده بالجزاء الأوفى فيقول ﷺ: (ما أكرم شاب شيخاً لسنه - أي في شيخوخته - إلا قيض الله له من يكرمه عند سنّه)[٦].

وقال النبي ﷺ قال: (أمرني جبريل أن أقدم الأكابر)[٧].

---

(١) جامع الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الصبيان (١٩١٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، (٢١٩٦).

(٢) مسند أحمد ١١/ ٦٤٤ (٧٠٧٣) وقال شعيب الأرناؤوط إسناده صحيح، سنن أبي داوود، كتاب الأدب، باب في الرحمة (٤٩٤٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٥٤٠).

(٣) سنن أبي داوود، كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم، رقم (٤٨٤٣) وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع، رقم (٢١٩٩).

(٤) عون المعبود ١٣/ ١٢٣.

(٥) المعجم الكبير للطبراني ٨/ ٢٠٢، وشعب الإيمان للبيهقي ٧/ ٤٢٦.

(٦) جامع الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في إجلال الكبير (٢٠٢٢) قال أبو عيسى: هذا حديث غريب.

(٧) كتاب الفوائد للشافعي ٩/ ٩٧/ ١، وهو في السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني (١٥٥٥).

◈ ثالثاً: تشريعات الإسلام ودورها في رعاية حقوق الكبار:

وقد راعى الإسلام حق الكبار في العبادات أيضاً، وأمر من يؤم الناس أن يراعي حال المسنين، قال ﷺ: **(إذا صلى أحدكم للناس فليخفف فإن فيهم الضعيف والسقيم والكبير وذا الحاجة، وإذا صلى لنفسه فليطول ما شاء)**[١].

ورخص للمسن أن يحج عنه غيره إذا لم يستطع الذهاب هو بنفسه إلى الحج، فعن ابن عباس عن الفضل أن امرأة من خثعم قالت: يا رسول الله إن أبي شيخ كبير عليه فريضة الله في الحج وهو لا يستطيع أن يستوي على ظهر بعيره. فقال النبي ﷺ **(فحجي عنه)**»[٢].

التخفيف عليهم في الأحكام، وذلك في حديث خولة بنت ثعلبة التي ظاهر منها زوجها أوس بن الصامت، قالت: فقال لي رسول الله ﷺ: **(مريه فليعتق رقبة)**، قالت: فقلت: والله يا رسول الله ما عنده ما يعتق، قال: **(فليصم شهرين متتابعين)**، قالت: فقلت: والله يا رسول الله إنه شيخ كبير ما به من صيام، قال: **(فليطعم ستين مسكيناً، وسقاً من تمر)**، قالت: فقلت: والله يا رسول الله ما ذاك عنده، قالت: فقال رسول الله ﷺ: **(فإنا سنعينه بعرق من تمر)**، قالت: فقلت: وأنا يا رسول الله سأعينه بعرق آخر»[٣].

وفي السلام أمر الإسلام بأن يسلم الصغير على الكبير، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: **(يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير)**[٤].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب من شكا إمامه إذا طول (٧٠٥).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب الحج عن العاجز لزمانه وهرم ونحوهما أو للموت (١٣٣٥).

(٣) مسند أحمد ٤٥/ ٣٠٠(٢٧٣١٩)، وأبو داوود كتاب الطلاق باب في الظهار (٢٢١٦) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داوود (١٩١٨).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب تسليم القليل على الكثير، رقم (٦٢٣٤).

وفي إمامة الصلاة يقدم الكبير، فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه، قال: لنا رسول الله ﷺ: (**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، وأقدمهم قراءة، فإن كانت قراءتهم سواء، فليؤمهم أقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء، فليؤمهم أكبرهم سناً..**)[1].

◈ رابعاً: رعاية الإسلام حقوق الكبار من غير المسلمين:

ومن حق الكبار أن الإسلام حفظ لهم أنفسهم من القتل أو الإضرار بها حتى ولو كانت غير مسلمة، فعن ابن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث سرية، أو جيشاً قال: (**..وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيداً، أَوِ امْرَأَةً، وَلا كَبِيراً فَانِياً**)[2].

وفي رواية: (**لَا تَقْتُلُوا شَيْخاً فَانِياً..**)[3].

وعمر بن نافع عن أبي بكرة قال: مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بباب قوم وعليه سائل يسأل: شيخ كبير ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه، وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودي. قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن. قال: فأخذ عمر بيده، وذهب به إلى منزله فرضخ له بشيء من المنزل، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباءه؛ فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شيبته ثم نخذله عند الهرم ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾[التوبة: ٦٠]، والفقراء هم المسلمون

(١) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة (٦٧٣).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها (١٧٣١).

(٣) سنن أبي داوود، كتاب الجهاد، باب في دعاء العدو (٢٦١٤)، وابن أبي شيبة ٦/ ٤٨٣، السنن الكبرى للبيهقي (١٧٩٣٢)، وقال ابن الاثير في جامع الأصول٢/ ٥٩٦: وفي سنده خالد بن الفزر الراوي عن أنس لم يوثقه غير ابن حبان، وبقية رجاله ثقات، وله شواهد يتقوى بها.

وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه. قال: قال أبو بكرة: أنا شهدت ذلك من عمر ورأيت ذلك الشيخ[(١)].

◈ خامساً: مواقف عملية لرعاية الرسول ﷺ لحق الكبار:

ورد أنه انطلق عبدالرحمن بن سهل، ومحيصة، وحويصة ابنا مسعود إلى النبي ﷺ، فذهب عبدالرحمن يتكلم، فقال النبي ﷺ: **(كبر كبر)** وهو أحدث القوم، فسكت فتكلما..[(٢)].

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا سقى، قال: **(ابدءوا بالكبير)**، أو قال: **(بالأكابر)**[(٣)].

ولما دخل رسول الله ﷺ مكة، ودخل المسجد، أتاه أبو بكر بأبيه «أبي قحافة»، فلما رآه رسول الله ﷺ، قال: **(هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه فيه)**، قال أبو بكر: يا رسول الله، هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي أنت إليه، قال: فأجلسه بين يديه، ثم مسح صدره، ثم قال له: **(أسلم)**. فأسلم[(٤)].

فمن إكرام الرسول ﷺ لوالد أبي بكر أنه أراد أن يأتيه بنفسه، وأجلسه بين يديه، ومسح على صدره.

---

(١) الخراج لأبي يوسف (١٣٩). الأموال لأبي عبيد ص٤٦.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجزية، باب الموادعة والمصالحة مع المشركين بالمال وغيره، وإثم من لم يف بالعهد (٣١٧٣).

(٣) مسند أبي يعلى٤/ ٣١٥ (٢٤٢٥)، وقال ابن حجر: سنده قوي، فتح الباري ١٠/ ٨٧.

(٤) مسند أحمد ٤٤/ ٥١٧ (٢٦٩٥٦) وقال الهيثمي رجاله ثقات، وحسنه الألباني في التعليقات الحسان(٧١٦٤).

وعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: أتي رسول الله ﷺ بقدح، فشرب، وعن يمينه غلام هو أحدث القوم والأشياخ عن يساره، قال: **(يا غلام أتأذن لي أن أعطي الأشياخ)**، فقال: ما كنت لأوثر بنصيبي منك أحداً يا رسول الله، فأعطاه إياه[(١)]، فكان من رغبة رسول الله ﷺ أن يعطي كبار السن.

قال النووي: «وفعل ذلك أيضاً تألفاً لقلوب الأشياخ، وإعلاماً بودهم وإيثار كرامتهم إذا لم تمنع منها سنة..»[(٢)].

عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: **(أراني أتسوك بسواك، فجاءني رجلان، أحدهما أكبر من الآخر، فناولت السواك الأصغر منهما، فقيل لي: كبر، فدفعته إلى الأكبر منهما)**[(٣)].

بل كان رسول الله ﷺ يمازح كبار السن تخفيفاً عليهم، فقد أتت عجوز إلى النبي ﷺ وقالت: ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال: **(يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز)**، ثم قال: **(أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ٣٥ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ٣٦ عُرُبًا أَتۡرَابٗا﴾[الواقعة: ٣٥ – ٣٧])**[(٤)].

◇ سادساً: نماذج عملية للصحابة في رعاية حق الكبار:

وظهر أثر تربية النبي ﷺ للصحابة على مراعاة حق الكبار ما روي عن

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب إذا أذن له أو أحله، ولم يبين كم هو (٢٤٥١).، مسلم في الأشربة، باب استحباب إدارة الماء واللبن ونحوهما عن يمين المبتدئ (٢٠٣٠).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ١٣/ ٢٠١.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب دفع السواك إلى الأكبر (٢٤٦)، ومسلم، كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ (٢٢٧١).

(٤) الشمائل للترمذي ص ١٩٩، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٩٨٧).

سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لقد كنت على عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غلاماً، فكنت أحفظ عنه، فما يمنعني من القول إلا أن ها هنا رجالاً هم أسن مني[١].

وعن الأوزاعي، أن عمر بن الخطاب، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خرج في سواد الليل فرآه طلحة، فذهب عمر فدخل بيتاً ثم دخل بيتاً آخر، فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت فإذا بعجوز عمياء مقعدة، فقال لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت: إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا، يأتيني بما يصلحني، ويخرج عني الأذى، فقال طلحة: «ثكلتك أمك يا طلحة أعثرات عمر تتبع؟»[٢].

(١) صحيح مسلم، كتاب الكسوف، باب أين يقوم الإمام من الميت للصلاة عليه (٩٦٤).

(٢) حلية الأولياء ١/ ٤٧.

المبحث السابع

حقوق الحيوان في الإسلام

من محاسن هذا الدين وكماله أنه اهتم بالحيوان اهتماماً بالغاً لا يوجد في أي دين من الأديان، فالحيوان في الإسلام له قيمته ومكانته وموقعه في هذا الكون قال تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٥ – ٨].

وانطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]. أبرز هنا نماذج لهذا الجانب، فمن أهمِّ الحقوق التي أصَّلها التشريع الإسلامي للحيوان(١):

المطلب الأول: تحريم إيذاء الحيوان.

المطلب الثاني: وجوب الرحمة والرفق بالحيوان.

---

(١) للاستزادة ينظر: موسوعة حقوق الحيوان على الإنسان في الشريعة الإسلامية د. أسامة السيد عبدالسميع، والرفق بالحيوان إنسانية د. نوارة المطيري، والإسلام والرفق بالحيوان، حقوق الحيوان والرفق به في الشريعة الإسلامية د. أحمد عبيد الكبيسي، دراسة تمت بتكليف من منظمة OIE وضعها د. عبد الرحمن د. حسن عيدروس.

المطلب الأول

تحريم إيذاء الحيوان

فقد روى جابر أن النبي ﷺ مرَّ على حمار قد وُسِمَ[١] في وجهه، فقال: (لَعَنَ اللهُ الَّذِي وَسَمَهُ)[٢].

وعن عبدالله بن عمر، قال: (لَعَنَ النَّبِيُّ مَنْ مَثَّلَ بِالْـحَيَوَانِ)[٣] وهذا يعني أن إيذاء الحيوان وتعذيبه وعدم الرفق به يُعتبر جريمة في نظر الشريعة الإسلاميَّة.

ويقول الرسول ﷺ: (عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ؛ لَمْ تُطْعِمْهَا، وَلَمْ تَسْقِهَا، وَلَمْ تَتْرُكْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ[٤])[٥].

ومرَّ رسول الله ﷺ ببعيرٍ قد لَحِقَ ظَهْرُهُ بِبَطْنِهِ[٦] فقال: (اتَّقُوا اللهَ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ الْـمُعْجَمَةِ[٧].. فَارْكَبُوهَا صَالِحَةً، وَكُلُوهَا صَالِحَةً)[٨].

---

(١) وَسَمَه: إذا أثَّر أو علَّم فيه بِكَيٍّ، والوسم والسمة العلامة المميزة للشيء، ينظر: اللسان ١٢/ ٦٣٥.

(٢) صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه ووسمه فيه (٢١١٧).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثمة (٥١٩٦).

(٤) خشاش الأرض: المراد هوام الأرض وحشراتها من فأرة ونحوها. انظر: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري ٦/ ٣٥٧، والنووي: المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٤/ ٢٤٠.

(٥) صحيح البخاري، كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء (٢٢٣٦)، ومسلم، كتاب السلام، باب تحريم قتل الهرة (٢٢٤٢)، واللفظ له.

(٦) لحق ظهره ببطنه: أي ظهر عليه الهزال من الجوع، ينظر: عون المعبود في شرح سنن أبي داوود ٥/ ٤٤٨.

(٧) المعجمة: المعجمة التي لا تقدر على النطق، فإنها لا تطيق أن تفصح عن حالها، وتتضرع إلى صاحبها من جوعها وعطشها. ينظر: مرقاة المفاتيح لشرح مشكاة المصابيح للهروي ٦/ ٢٢٠٥.

(٨) سنن أبي داوود، كتاب الجهاد، باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم (٢٥٤٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٣).

وعن عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كُنَّا مع رسول الله ﷺ في سفر فانطلق لحاجته فرأينا حُمَّرَةً[١] معها فرخان، فأخذنا فَرْخَيْهَا، فجاءت الحُمَّرَة فجعلت تُعَرِّشُ[٢] فجاء النبي ﷺ فقال: **(مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا)**[٣].

ويدخل في ذلك ألا تستخدم في غير ما لم تخلق له، قال رسول الله ﷺ: **(إِيَّاكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا ظُهُورَ دَوَابِّكُمْ مَنَابِرَ؛ فَإِنَّ اللهَ إِنَّمَا سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُبَلِّغَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنْفُسِ)**[٤].

أي: لا تجلسوا على ظهورها فَتُوقِفُونَهَا وَتُحَدِّثُونَ بالبيع والشراء وغير ذلك، بل انزلوا واقضوا حاجاتكم ثم اركبوا. والنهي مخصوص باتخاذ ظهورها مقاعد لغير حاجة، أما لحاجة لا على الدوام فجائزة؛ بدليل أن المصطفى ﷺ خطب على ناقته وهي واقفة يوم عرفة[٥].

ويدخل في تحريم أذيتها تحريم اتخاذ الحيوان غرضاً فها هو ابن عمر رضى الله عنهما يمُرّ بِفِتْيَانٍ من قريش قد نَصَبُوا طيراً وهم يرمونه، فقال لهم: لعن الله مَنْ فعل هذا؛ **(إن رسول الله ﷺ لَعَنَ مَنِ اتَّخَذَ شَيْئاً فِيهِ الرُّوحُ غَرَضاً)**[٦].

---

(١) الحُمَّرَة: طائر صغير كالعصفور، انظر: ابن منظور: لسان العرب ٤/ ٢٠٨.

(٢) تُعَرِّشُ أي: ترفرف، والتَّعْرِيش أن ترتفع وتظلَّل بجناحيها على من تحتها، ينظر: النهاية في غريب الحديث، ولسان العرب ٦/ ٣١٣.

(٣) سنن أبي داوود، كتاب الأدب، باب في قتل الذرِّ (٥٢٦٨)، وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٢٥).

(٤) سنن أبي داوود، كتاب الجهاد، باب في الوقوف على الدابة (٢٥٦٧)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٢).

(٥) ينظر: عون المعبود ٧/ ١٦٩، وفيض القدير ٣/ ١٧٤.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثمة (٥١٩٦)، ومسلم، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب النهي عن صبر البهائم (١٩٥٨).

المطلب الثاني

وجوب الرحمة والرفق بالحيوان

وقد تجسَّد ذلك في قول الرسول ﷺ: (بَيْنَمَا رَجُلٌ بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بِئْراً، فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ[1] يَأْكُلُ الثَّرَى[2] مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي. فَنَزَلَ الْبِئْرَ، فَمَلأَ خُفَّهُ مَاءً، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ[3] فَغَفَرَ لَهُ)، قالوا: يا رسول الله، وإنَّ لنا في البهائم لأجراً[4]؟ فقال: (فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ[5])[6].

ومن الرحمة بالحيوان أن يُختَار له المَرَاعي الخِصْبَة، وإن لم تُوجَدْ فيجب أن يُنتقل بها إلى مكان آخَرَ، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: (إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيَرْضَى بِهِ، وَيُعِينُ عَلَيْهِ مَا لا يُعِينُ عَلَى الْعُنْفِ، فَإِذَا رَكِبْتُمْ هَذِهِ الدَّوَابَّ الْعُجْمَ فَأَنْزِلُوهَا مَنَازِلَهَا، فَإِنْ كَانَتِ الأَرْضُ جَدْبَةً فَانْجُوا عَلَيْهَا بِنِقْيِهَا[7])[8].

---

(١) يلهث: يرتفع نفسه بين أضلاعه، أو يخرج لسانه من شدة العطش، ينظر: لسان العرب ٢/ ١٨٤.

(٢) الثرى: التراب الندي، وقيل: أي يَعَضُّ الأرض. ينظر: لسان العرب ١٤/ ١١٠.

(٣) أي أثنى عليه فجزاه على ذلك بأن قَبِلَ عمله وأدخله الجنة. ينظر: فتح الباري ١/ ٢٧٨.

(٤) يعنون: أيكون لنا في سقي البهائم والإحسان لها أجر؟!.

(٥) كل كبد رطبة أجر: أي حية يعني بها رطوبة الحياة. فيها أجر عام مخصوص بحيوان محترم، وهو ما لم يؤمر بقتله، ونبَّه بالسقي على جميع وجوه الإحسان من الإطعام... ينظر: فيض القدير ٤/ ٦٠١.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم (٥٦٦٣)، ومسلم، كتاب السلام، باب فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها (٢٢٤٤).

(٧) النقي: الشحم والودك، والمعنى أن ينجوا عليها وهي في عافيتها؛ حتى يحصل في بلد الخصب، ينظر: لسان العرب ١٥/ ٣٣٨.

(٨) الموطأ كتاب الاستئذان، باب ما يؤمر به من العمل في السفر برقم (١٧٦٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٨٢).

ومن الرحمة بالحيوان الإحسان إليه واحترام مشاعره: وهي درجة عليا، أعلى من الرحمة وأثمن، أوجبها التشريع الإسلامي في معاملة الحيوان؛ وإنَّ أعظم تطبيق لهذا الخُلُق حين نهى الرسول ﷺ عن تعذيبه أثناء الذَّبح فقال ﷺ: **(إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؛ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ)**[١].

كما ثبت أن رجلاً أضجع شاة يُريد أن يذبحها وهو يَحِدُّ شَفْرته أمامها، فقال النبي ﷺ: **(أَتُرِيدُ أَنْ تُمِيتَهَا مَوْتَاتٍ، هَلَّا حَدَدْتَ شَفْرَتَكَ قَبْلَ أَنْ تُضْجِعَهَا)**[٢].

لن تجد أمة من الأمم بلغت هذا المستوى من الرفق والرحمة بالحيوان في غابر الأزمان غير أمة الإسلام؟ وأختم بمقولة الفاروق عمر رضي الله عنه وهو يشرع فيها لحقوق الحيوان حتى جعل الطريق المعبد السوي حقًّا واجباً من حقوقه حين قال: «لو أن بغلة عثرت بشط العراق لخشيت أن يسألني الله عنها لِمَ لَمْ تصلح لها الطريق يا عمر»[٣].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة (١٩٥٥).

(٢) المستدرك على الصحيحين للحكام ٤/ ٢٥٧ (٧٥٦٣) وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٤).

(٣) هذا الأثر روي بألفاظ كثير وهو في حلية الأولياء ١/ ٥٣، الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٣٠٥، مصنف ابن أبي شيبة ١٣/ ٢٧٧، وتاريخ الطبري ٤/ ٢٠٢.

المبحث الثامن

حقوق البيئة في الإسلام

البيئة لُغةً: المكان والمنزل، والاسم البِيئة، والباءة، والمباءة، وتُطْلَق على منزل القوم، حيث يَتَبَوَّؤُونَ من قِبَل وادٍ، أو سَنَد الجبل، ومنه المباءة: مَعْطِن الإبل؛ حيث تُنَاخُ في الموارد أو المراح الذي تبيت فيه[١].

والبِيئة اصطلاحاً: كلمةٌ جامِعَةٌ تشمل جميع مناحِي الحياة، وقد تتَّسع البيئة لِتَشْمَلَ الأرض التي تقلُّنا، والسَّماء التي تظلُّنا، وقد تضيق لِتَخُص بيت الإنسان، وموقع عمله، وسُكناه، وهي باختصارٍ: «كلُّ شيءٍ يحيطُ بالإنسان، مِن مَوْجُودات، من ماء، وهواءٍ، وكائنات حَيَّةٍ، وجمادات، وهيَ المجالُ الطَّبيعي الذي يُمارِس فيه الإنسانُ حياته، ونشاطاته المختلفة؛ لِيُحَوِّلها إلى «بيئةٍ مشيدة»، التي في خانتها البِيئة الأخلاقيَّة، والاجتماعيَّة، والاقتصاديَّة، والسِّياسيَّة، والتِّكْنُولوجيَّة»[٢].

وجاء التشريع الإسلامي بقاعدة عامَّة لكل البشر الذين يحْيَوْنَ على ظهر الأرض؛ وهي عدم إحداث ضرر من أي نوع لهذا الكون، فقال رسول الله ﷺ: **(لا ضَرَرَ وَلا ضِرَارَ)**[٣].

ومن هنا يمكن إبراز هذا الجانب الحضاري في الإسلام من خلال النماذج التالية[٤]:

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة١/ ٣١٢، لسان العرب١/ ٣٨٢.

(٢) ينظر: البيئة ومفهومها وعلاقتها بالإنسان، موقع موسوعة البيئة.

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره (٢٣٤٠)، والمستدرك على الصحيحين ٢/ ٦٦ (٢٣٤٥)، وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٤) للاستزادة حول الموضوع يمكن الرجوع لبحث: حماية البيئة في الإسلام د. راغب السرجاني، وهو بحث قيم حصل من خلاله الباحث على جائزة الأمير نايف في السنة النبوية سنة ٢٠١٢م.

أولاً: تشريع أوامر ونواهي تحذر من تلوث البيئة:

فقد شرع الإسلام التشريعات التي تُحذِّر من تلويث البيئة أو إفسادها، ومثال ذلك ما روى معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (اتَّقُوا الْـمَلَاعِنَ الثَّلَاثَةَ: الْبَرَازَ فِي الْـمَوَارِدِ، وَقَارِعَةِ[1] الطَّرِيقِ، وَالظِّلِّ)[2].

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ (نهى عن البول في الماء الراكد)[3].

وقال: (لَا يَغْتَسِلُ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ وَهُوَ جُنُبٌ)[4] قال ابن حجر: «فدل على أن المنع من الانغماس فيه لئلاَّ يصير مستعملاً؛ فيمتنع على الغير الانتفاع به»[5].

ثانياً: الحث على إزالة الأذى من الطريق:

حتى إن الإسلام جعل من إماطة الأذى عن الطريق عبادة لها الأجر العظيم، فقال ﷺ: (إماطة الأذى عن الطريق صدقة)[6].

وقال: (عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي؛ حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الْأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ، وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِي أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةَ تَكُونُ فِي الْـمَسْجِدِ لَا تُدْفَنُ)[7].

---

(١) قارعة الطريق: أي وسط الطريق، والمراد بالظل: ظل الشجرة وغيرها. انظر: عون المعبود ١/ ٣١.

(٢) سنن أبي داوود، كتاب الطهارة، باب المواضع التي نهى النبي ﷺ عن البول فيها (٢٦) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١١٢).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد (٢٨١).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب النهي عن الاغتسال في الماء الراكد (٢٨٣).

(٥) فتح الباري ١/ ٣٤٧.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الأخذ بالركاب ونحوه (٢٩٨٩).

(٧) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهى عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها (٥٥٣).

وقال رسول ﷺ: (**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**)[١] فإماطة الأذى عن الطريق من الإيمان.

وقال رسول ﷺ: (**من سمى الله... وعزل حجراً أو شجراً أو عظماً من طريق الناس مشى وقد زحزح نفسه عن النار**)[٢].

وقال: (**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ**)[٣]. وقال: (**لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلاً يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ**)[٤].

وهذا الأمر قاعدة كبيرة في إزالة كل ما يؤذي الناس، ومن باب أولى عدم فعل أي أمر يلوث البيئة ويكون سبباً في إيذاء الناس.

ثالثاً: الحث على استنبات الأرض:

ومن الحفاظ على البيئة حث الإسلام على استنبات الأرض وزراعتها وإحيائها وإعمارها، قال رسول الله ﷺ: (**ما مِنْ مُسْلِمٍ يَغرِسُ غَرْساً إِلَّا كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ مِنْهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَتِ الطَّيْرُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَلاَ يَرْزَؤُهُ أَحَدٌ**[٥] **إِلاَّ كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ**)[٦].

---

(١) صحيح مسلم، في كتاب الإيمان، الحديث (٣٥).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (١٠٠٧).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب الشهداء (١٩١٤).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب الشهداء (١٩١٤).

(٥) يرزؤه أحد: أي لا ينقصه ويأخذ منه خيراً، ينظر: لسان العرب ١/ ٨٥.

(٦) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع (١٥٥٢).

وقال ﷺ: (مَنْ أَحْيَا أَرْضاً مَيْتَةً فَلَهُ مِنْهَا -يَعْنِي أَجْراً- وَمَا أَكَلَتِ الْعَوَافِي[(١)] مِنْهَا فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ)[(٢)].

وقال ﷺ: (مَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَزْرَعْهَا، أَوْ لِيَمْنَحْهَا أَخَاه)[(٣)].

ونهى الإسلام عن قطع الشجر عبثاً، فقال رسول الله ﷺ: (مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً[(٤)] صَوَّبَ اللهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ)[(٥)] «يعني من قطع سدرة في فلاة يستظلُّ بها ابن السبيل والبهائم عبثاً وظلماً بغير حقٍّ يكون له فيها صوَّب الله رأسه في النار»[(٦)].

فهذه بعض ملامح اهتمام الإسلام بالبيئة تبين عظمة هذا الدين وشموله، وتأصيله للحضارة الحقيقية التي تتخذ من الشرع منطلقاً لها.

---

(١) العوافي: كل طالب رزق من إنسان أو بهيمة أو طائر، ينظر: النهاية في غريب الحديث ٣/ ٢٦٦.

(٢) سنن النسائي، كتاب إحياء الموات، باب الحث على إحياء الموات (٥٧٥٦)، ومسند أحمد ٢٢/ ١٧٠ (١٤٣١٠) وقال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب ما كان من أصحاب النبي ﷺ يواسي بعضهم بعضاً في الزراعة والثمرة (٢٣٤١)، ومسلم، كتاب البيوع، باب كراء الأرض (١٥٣٦).

(٤) السِّدْر: شجر النبق. انظر: لسان العرب ٤/ ٣٥٤. أَرَادَ سِدْرَة فِي الفلاة يستظل بهَا أَبنَاء السَّبِيل. ينظر: الفائق في غريب الحديث، للزمخشري جارالله ٢/ ١٦٨.

(٥) سنن أبي داوود، كتاب النوم، باب في قطع السدر (٥٢٣٩)، والسنن الكبرى للبيهقي ٦/ ٢٣٠ (١١٥٣٨)، المعجم الأوسط للطبراني (٢٤٤١)، وصححه الألباني في الصحيحة (٦١ و٦١٥).

(٦) هذا من تعليق أبي أيوب رضي الله عنه على الحديث بعد ذكره للحديث مباشرة.

المبحث التاسع

الحقوق الصحية في الإسلام

حرص الإسلام على رعاية صحة المسلم وسلامته من الأمراض حتى يكون قادراً على القيام بالتكاليف الشرعية والأعمال الدنيوية، وجعل حفظ الجسم من الضروريات الخمس، وهي: الدين، والنفس، والنسل، والعقل، المال، وأي إخلال بها يترتب عنه الخسران، وهذا انطلاقاً من قول النبي ﷺ: **(المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف)**[١]، وقوله: وقوله في الحث على التداوي: **(يا عباد الله، تداووا، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء)**[٢].

والنماذج في ذلك كثيرة يصعب حصرها في هذا البحث[٣] ولكن منها:

◆ أولاً: التخفيف عن المريض في التكاليف:

من يسر الشريعة وسماحتها التخفيف عن المريض في التكاليف عندما يلم به المرض وذلك انطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١] يقول الشيخ السعدي: «يخبر تعالى عن منته على

---

(١) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله.. (٢٠٥٠).

(٢) جامع الترمذي، كتاب الطب، باب ما جاء في الدواء والحث عليه (٢١٧٢)، وقال: حسن صحيح.

(٣) للاستزادة ينظر: حقوق المريض في الإسلام د. خالد بن عبدالرحمن الشايع ورقة عمل للملتقى الدولي لشؤون المرضى مدينة الملك فهد الطبية بالرياض ١٦/ ٣/ ١٤٢٩هـ، وكتاب الطب في البخاري وشرحه في الفتح، وكتاب الطب النبوي لابن القيم، أخلاق الطبيب د. محمد لطفي الصباغ، أخلاقيات الطبيب المسلم سعد بن ناصر الشثري، الرعاية الصحية والطبية في القرن الأول، د. أسماء آل ذياب.

عباده، وأنه لم يجعل عليهم في الدين من حرج بل يسره غاية التيسير، فليس على هؤلاء جناح، في ترك الأمور الواجبة، التي تتوقف على واحد منها»[(١)].

وعلى سبيل المثال:

ففي الطهارة: يقول الله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٤٣].

وفي الصلاة: عن عمران بن حصين رضي الله عنه، قال: كان بي الناصور[(٢)]، فسألت النبي ﷺ عن الصلاة، فقال: **(صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع، فعلى جنب)**[(٣)].

وفي الصيام: قال تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

وفي الحج: عن كعب بن عجرة رضي الله عنه عندما سُئل عن الفدية قال: حُملت إلى رسول الله ﷺ والقمل يتناثر على وجهي فقال: **(ما كنت أرى الوجع بلغ بك ما أرى أو ما كنت أرى الجهد بلغ بك ما أرى أتجد شاة)**. فقلت لا فقال: **(فصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع)**[(٤)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٥٧٥.

(٢) الناصور: مرض معروف، يحصل في الدبر.

(٣) صحيح البخاري، كتاب تقصير الصلاة، باب إذا لم يطق قاعداً صلى على جنب (١١١٧).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الإحصار وجزاء الصيد، باب الأطعمة في الفدية نصف صاع(١٧٢١).

فمع أن حلق الرأس في حالة الإحرام لا يجوز، فقد أباح الشارع ذلك لصاحب العذر تخفيفاً، وجعل في ذلك الفدية حتى يأخذ أجره كاملاً.

حتى إن الله تعالى يكتب للمريض أجر الأعمال التي كان يعملها قبل مرضه كاملة الأجر، وقد قال رسول الله ﷺ: **(إذا مرض العبد أو سافر كتب له من الأجر مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً)**[١].

- **ثانياً: دلالتهم على سبل الوقاية مما يضر بصحتهم:**

وهذا كثير جدّاً وصنفت فيه المصنفات ويكفي الإشارة إليه هنا:

- قال رسول الله ﷺ: **(إذا استنجح[٢] الليل أو كان جنح الليل فكفوا صبيانكم[٣] فإن الشياطين تنتشر حينئذ فإذا ذهب ساعة من العشاء فخلوهم وأغلق بابك واذكر اسم الله وأطفئ مصباحك واذكر اسم الله وأوك[٤] سقاءك[٥] واذكر اسم الله وخمر[٦] إناءك واذكر اسم الله ولو تعرض عليه شيئاً[٧])**[٨].

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة (٢٩٩٦).

(٢) استنجح: أظلم. وجنح الليل: ظلامه وقيل أول ما يظلم.

(٣) فكفوا صبيانكم: ضموهم وامنعوهم من الانتشار.

(٤) أوك: من الإيكاء وهو الشد والوكاء اسم ما يشد به في فم القربة ونحوها.

(٥) السقاء ما يوضع فيه الماء أو اللبن ونحو ذلك.

(٦) خمر: من التخمير وهو التغطية.

(٧) تعرض عليه شيئاً: تجعل على عرض الإناء شيئاً كعود ونحوه امتثالاً لأمر الشارع.

(٨) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده (٣٢٨٠)، ومسلم، كتاب الأشربة، باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء (٢٠١٢) وجميع معاني الكلمات مأخوذة من تعليق الشيخ مصطفى البغا على البخاري.

- وقال رسول الله ﷺ يقول: (**ما ملأ آدمي وعاء شرًّا من بطنه، حسب الآدمي لقيمات يقمن صلبه. فإن غلبت الآدمي نفسه فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس**)(١).

- وقال رسول الله ﷺ يقول: (**من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر**)(٢).

- وقال ﷺ: (**وفر من المجذوم**(٣) **كما تفر من الأسد**)(٤).

- وقال رسول الله ﷺ: (**الطاعون رجس أرسل على طائفة من بني إسرائيل أو على من كان قبلكم فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه**)(٥).

- وفي الوقاية من أسباب انتقال الأمراض كذلك: (**نهى رسول الله ﷺ أن يتنفس في الإناء أو ينفخ فيه**)(٦)، (**وكان رسول الله ﷺ إذا عطس غطى وجهه بيده أو بعض ثوبه وغض بها صوته**)(٧).

---

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الأطعمة، باب الاقتصاد في الأكل وكراهية الشبع (٣٣٤٩)، مسند أحمد ٤/ ١٣٢ (١٧٢٢٥)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٧٠٤).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب فضل تمر المدينة (٢٠٤٧).

(٣) الجذام: عِلّة تتآكل مِنْهَا الْأَعْضَاء، وهو معدي. ينظر: المعجم الوسيط ١/ ١١٣.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الجذام (٥٧٠٥).

(٥) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون (٥٧٢٨)، ومسلم، كتاب السلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة (٢٢١٨).

(٦) جامع الترمذي، كتاب الأشربة، باب ما جاء في كراهية النفخ في الشراب (٢٠٠٩)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٧) جامع الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في خفض الصوت وتخمير الوجه عند العطاس (٢٩٦٩)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

◆ ثالثاً: عيادة المرضى والحث على ذلك:

فقد قال رسول الله ﷺ يقول: (حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس)[١].

ولما اشتكى سعد بن عبادة شكوى له فأتاه النبي ﷺ يعوده مع عبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهم[٢].

وثبت أن النبي ﷺ دَخل عَلى أَعرابِي يَعودهُ وكَان النبي ﷺ إِذا دَخل عَلى مَريضٍ يَعوده قَال: (لا بَأسَ طَهورٌ إنْ شَاء الله)[٣].

فقد كان رسول الله ﷺ إذا أتى مريضاً أو أتي به قال: (أذهب الباس رب الناس اشف وأنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً)[٤].

◆ رابعاً: التوجيه لبعض سبل العلاج:

وهذا باب كبير جدّاً في التوجيهات الإسلامية أذكر منها على سبيل المثال:

- قوله ﷺ: (إن أمثل ما تداويتم به الحجامة والقسط البحري[٥])[٦]، وقال ﷺ:

---

(١) صحيح مسلم، في كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام (٢١٦٢).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض (١٣٠٤).

(٣) صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب عيادة الأعراب (٣٦١٦).

(٤) صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب دعاء العائد للمريض(٥٦٧٥).

(٥) القسط البحري: العود: خشب يأتي من الهند، ومن مواضع أخر، وهو مدر نافع للكبد جدّاً، والمغص، والدود، وحمى الربع شربا، وللزكام والنزلات والوباء بخوراً، وللبهق والكلف طلاء ويحبس البطن ويطرد الرياح، ويقوي المعدة والقلب، ويوجب اللذة. ويدخل في أصناف كثيرة من الطيب. ينظر: تاج العروس ٢٠/ ٢٦.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الحجامة من الداء (٥٦٩٦)، ومسلم، كتاب المساقاة، باب حل أجر الحجامة (١٥٧٧).

(الشفاء في ثلاثة: شربة عسل وشرطة محجم وكية نار وأنهى أمتي عن الكي)[١].

- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: أخي يشتكي بطنه فقال: **(اسقه عسلاً)** ثم أتى الثانية فقال: **(اسقه عسلاً)** ثم أتاه الثالثة فقال: **(اسقه عسلاً)** ثم أتاه فقال: قد فعلت فقال: **(صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلاً)** فسقاه فبرأ[٢]، وقال النبي ﷺ يقول: **(إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا من السام)** والسام الموت[٣].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الشفاء من ثلاث (٥٦٨٠).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الشفاء بالعسل (٥٦٨٤).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الحبة السوداء (٥٦٨٥).

المبحث العاشر

حق الحرية في الإسلام

الحرُّ، بالضم: نقيض العبد، والحرَّة: نقيض الأمة، والجمع حرائر، والحر من الناس: أخيارهم وأفضالهم، وحرية العرب: أشرافهم، «والحرة: الكريمة من النساء،

والحر من كل شيء هو أعتقه وأحسنه وأصوبه، والشيء الحر هو كل شيء فاخر، وفي الأفعال هو الفعل الحسن والأحرار من الناس أخيارهم وأفاضلهم[١].

تعددت المذاهب في تعريف الحرية اصطلاحاً، فقد ورد في إعلان حقوق الإنسان الصادر عام ١٧٨٩ أن الحرية: هي «حق الفرد في أن يفعل ما لا يضر بالآخرين»[٢].

أما الحرية في الإسلام: فهي: «ما وهبه الله للإنسان من مُكْنَة التصرف لاستيفاء حقه وأداء واجبه دون تعسف أو اعتداء»[٣].

ومن هنا سنتحدث عن حق الحرية في الإسلام من خلال خمسة مطالب[٤]:

---

(١) انظر: لسان العرب ٤/ ١٨١.

(٢) الحرية مفهومها وضوابطها وآثارها د. ناصر بن سعيد السيف ص٣.

(٣) ومفهوم الحرية من المنظور الإسلام لـ يوسف محمد أبو سليمة ص٢.

(٤) ينظر: بحث: مفهوم الحرية في الإسلام، منشور بمجلة البحوث والدراسات الشرعية د. وفاء نايف خالد العجمي، وعلى موقع الملتقى الفقهي، ومقال: الحرية في المفهوم الإسلامي، حسام العيسوي إبراهيم، منشور على موقع صيد الفوائد، ومفهوم الحرية من المنظور الإسلام لـ يوسف محمد أبو سليمة.

المطلب الأول

منطلق مفهوم الحرية في الإسلام

فالأصل في الناس أن الله خلقهم أحراراً، وليسوا عبيداً، والإسلام يعزز هذه الأمر، ويضبطه بما يحقق الحرية المتكاملة، ويتضح ذلك في النقاط التالية:

⌑ أولاً: الحرية أداة الاستخلاف في الأرض:

فالحرية في الإسلام أصل كرامة الإنسان، فإن الله جعله خليفة يعمر الأرض، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[البقرة: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١].

ومن ثم فإن الله جعل الإنسان سيداً مكرماً في هذا الوجود، فقد سخر الحق الله تبارك وتعالى للإنسان كل شيء؛ ليتحرر من العبودية من كل شيء إلا عبوديته الله، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣].

وهذا الأمر يجعل الحرية الإنسانية حرية المخلوق المسئول المحاسب لا حرية الذي لا يسأل عما يفعل، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

⌑ ثانياً: الحرية أمرٌ رباني:

لم يأت مبدأ الحرية في الإسلام نتيجة تطور في المجتمع، أو ثورة طالبت به، أو نضوج وصل إليه الناس، وإنما هي مبدأ منزل من السماء، ليرتفع به أهل الأرض، فقد

جاء الإسلام ليرقى بالبشرية، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

ولذا كان المسلم حرَّاً مختاراً، يستطيع أن يعبر عن آرائه وأفكاره، وأن يمتلك قراره، ويتحمل مسؤوليته.

قال الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب التي يقول فيها: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً»[1]؟!

ثالثاً: الإسلام هو رسالة الحرية والتحرر من العبودية لغير الله:

الرسالة النبوية هي رسالة الحرية من العبودية لغير الله تعالى سواء من عبادة أشخاص، أو جمادات أو شهوات، وضح ذلك جليّاً من كلمات جعفر بن أبي طالب حينما وقف أمام النجاشي حينما سألهم عن سبب اضطهاد الوثنية القرشية للمسلمين فقال رضي الله عنه: «أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف...».

وهذه هي معاني العبودية الحقيقية، التي تستعبد الإنسان، وتضر به وتضر بالمجتمع، وتضر بالضعفاء..

ثم قال: فكنا على ذلك **حتى بعث الله إلينا رسولاً نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد وآباؤنا من دونه، من: الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن**

(١) فتوح مصر وأخبارها لعبدالحكم ص٢٩٠، ينظر: كنز العمال ١٢/ ٨٧٣ رقم (٣٦٠١٠). وحسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي ١/ ٥٨١، وابن الجوزي: مناقب عمر بن الخطاب ٩٩. ومحض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ٢/ ٤٧٣.

الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام. فعدد عليه أمور الإسلام... ونقول في عيسى الذي جاء به نبينا: هو عبدالله ورسوله وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء، البتول»[(١)].

وهذه هي معاني الحرية الحقيقية التي ترفع من قيمة الإنسان.

⌑ رابعاً: الحرية في الإسلام ضرورة إنسانية وفريضة شرعية:

إن الإسلام جعل الحرية فريضة وواجباً شرعيًّا، وضرورة من الضرورات الإنسانية والمجتمعية، ولا يحل للإنسان أن يتنازل عنها، فهي بمثابة الحياة له، وهي من أهم المكتسبات التي يجب الحفاظ عليها، لذلك من الضروري أن نفهم معنى الحرية، وأن نمارسها بالشكل الصحيح.

الحرية في الإسلام ضرورة من الضرورات الإنسانية، وفريضة إلهية وتكليف شرعي وواجب.. وليست مجرد «حق» من الحقوق، يجوز لصاحبه أن يتنازل عنه إن هو أراد[(٢)]!

⌑ خامساً: الحرية في الإسلام استنقاذ للبشرية من الظلم:

النظرة الإسلامية تحرر الإنسان من كل الطواغيت، فمن مفاهيم كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» عمليًّا هي تحرير الإنسان من العبودية لكل الظالمين، فإفراد الله بالألوهية

---

(١) مسند أحمد١/ ٢٠١ برقم (١٧٤٠)، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن. وقد أوردت الرواية مختصرة.

(٢) مقال: المفهوم الإسلامي للحرية، د. محمد عمارة، مجلة الأزهر ذو القعدة ١٤٣٣هـ، جزء١١ لسنة ٨٥.

والعبودية هي جوهر تحرير الإنسان من العبودية لغير الله، تحرير الإنسان من كل ألوان الظلم المادية التي تستلب منه الإرادة والحرية والاختيار.

وهذه الحرية تمثلت في كلمة ربعي بن عامر أمام رسم قائد جيش الفرس، حيث قال بعزة وحرية وقوة: «**الله جاء بنا، وهو بَعَثنا لنُخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومنْ ضيق الدُّنيا إلى سعتها، ومن جور الأدْيَان إلى عدل الإسلام**»[(١)].

فانطلقت الفتوحات الإسلامية لتحرر الناس من القهر العقدي والاستبداد السياسي والاجتماعي والاقتصادي والديني والثقافي الذي دام قروناً، انطلق المسلمون ليحرروا القلوب والعقول من الخرفات والعبودية لغير الله، وليحرروا البلاد من طغيان البشر وظلمهم وقهرهم السياسي والاجتماعي والديني والأخلاقي الذي يحول بينهم وبين معرفة الحق، ثم لم يكرهوا أحداً على الدخول الإسلام.

⌑ سادساً: الحرية في الإسلام توحيد للتشريع عن أهواء البشر:

فالبشر طبعهم المحاباة والجهل وعدم العدل واتباع الأهواء، أما التشريع الرباني فهو تشريع العليم الخبير، الخالق المالك المدبر الذي ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى ٢ - ٣]، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

عن عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال: (**يا عدي اطرح عنك هذا الوثن**) وسمعته يقرأ في سورة براءة: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة ٣١]، قال: (**أما إنهم لم يكونوا**

(١) ينظر القصة بطولها في: تاريخ الطبري ٣/ ٥٢٠، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٢٩٧، والبداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٣٩ حوادث سنة خمسة عشر.

يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه)[١].

⌑ سابعاً: الحرية في الإسلام علاج من سيطرة المادة والشهوات:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: **(تعس عبد الدينار، والدرهم، والقطيفة، والخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط لم يرض)**[٢].

إن الإسلام يحرر الإنسان من العبودية للأشياء، التي يحسبها مملوكة له، وتحت ترصفه، فإذا هي التي تحركه أو توقفه، وربما تكون سبباً في هلاكه في الدنيا والآخرة.

⌑ ثامناً: حرية الإسلام فك لكل ما يكبل الإنسان:

حين يرعى الإسلام حرية الإنسان، فإنه يؤسسها بداية على تحريره هو من كل ما يكبل إرادته ويلغي إنسانيته وكرامته خارج أمر الله عز وجل:

يحرره في قلبه ومشاعره من سيطرة الأهواء والدوافع الشيطانية الانحرافية.

ويحرره في عقله وتفكيره من قيود الأوهام والخرافات والانحرافات الفكرية.

---

(١) جامع الترمذي كتاب التفسير باب، ومن سورة التوبة (٣٠٩٥)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٢٩٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير باب الحراسة في الغزو في سبيل الله (٢٨٨٦).
وقوله: (تعس) سقط على وجهه أو شقي وهلك. (عبد الدينار) مجاز عن الحرص عليه وتحمل الذلة من أجله فمن بالغ في طلب شيء وانصرف عمله كله إليه صار كالعابد له. (القطيفة) دثار مخمل والدثار ما يلبس فوق الشعار والشعار ما لامس الجسد من الثياب. (الخميصة) كساء أسود مربع له خطوط. (أعطي) من المال. (رضي) عن الله تعالى وعمل العمل الصالح. (انتكس) انقلب على رأسه وهو دعاء عليه بالخيبة والخسران. (شيك) أصابته شوكة. (فلا انتقش) فلا قدر على إخراجها بالمنقاش ولا خرجت والمراد إذا أصيب بأقل أذى فلا وجد معيناً على الخلاص منه. من تعليق الشيخ مصطفى البغا على صحيح البخاري.

ويحرره في بدنه وكيانه من عناصر الظلم والقهر والاستعباد والمهانة.

وذلك من أجل أن تبقى كل معاني العبودية والخضوع خالصة لله وحده، وهو الذي أراد لعباده حياة التحرر والكرامة والامتياز قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

المطلب الثاني

موقف الإسلام من الرق

موقف الإسلام من الحرية ليس مجرد موقف فكري نظري، وإنما تجسد على أرض الواقع تجربة إصلاحية غيرت المجتمع الذي ظهر فيه تغييراً جذريّاً- وذلك هو الذي يحسب للإسلام، في فترات التاريخ!.

لقد جاء الإسلام ونظام الرق والعبودية نظام عام وراسخ في المجتمعات، بالغ القسوة يمثل ركيزة من ركائز النظامين الاقتصادي والاجتماعي لعالم ذلك التاريخ وفي كل الحضارات.

فلما قامت دولة الإسلام في المدينة المنورة، قام بإصلاح وتغيير الواقع بشمولية لجانب الوقاية والعلاج، مع التدرج في ذلك، وبيان ذلك في النقاط التالية[(١)]:

(١) منهج الإسلام في تحريم الرق، مقال علمي منشور على موقع مهارات الدعوة، وبحث علمي في الرد على شبهة أن الإسلام أقر نظام الرق، منشور على موقع بيان الإسلام، وينظر كتاب: الإسلام في قفص الاتهام د. شوقي أبو خليل ص١٩٣ وما بعدها، الافتراءات على الإسلام والمسلمين د. أمير عبدالعزيز.

أولاً: جعل الإسلام التحرر من الرق بمنزلة إحياء النفس:

مقام الحرية يبلغ درجة عالية في الأهمية وسلم الأولويات، حيث اعتبر الإسلام عتق الرقبة، أي: تحرير العبد أو الأمة، هو إخراج له من الموت الحكمي إلى حكم الحياة.. وهذا هو الذي جعل عتق الرقبة كفارةً للقتل الخطأ الذي أخرج به القاتل نفساً من إطار الأحياء إلى عداد الموتى، فكان عليه، كفارة عن ذلك، أن يعيد الحياة إلى الرقيق بالعتق والتحرير، قال تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢].

يقول الإمام النسفي: «فإنه -أي القاتل- لما أخرج نفساً مؤمنة من جملة الأحياء، لزمه أن يدخل نفساً مثلها في جملة الأحرار، لأن إطلاقها من قيد الرق كإحيائها، من قبل أن الرقيق ملحق بالأموات، إذ الرق أثر من آثار الكفر، والكفر موت حكماً»[١].

ثانياً: حرم الإسلام وألغى المنابع والروافد التي تمد «نهر الرقيق» بالجديد:

فمن كمال وأسرار الشريعة الإسلامية حرصها على نشر الحرية في الإسلام بكيفية منتظمة، فإن الله لما بعث رسوله بدين الإسلام كان الرق متفشياً في البشر، وأقيمت عليه ثروات كثيرة، وكانت أسبابه متعددة ومن أهمها: الأسر في الحرب، والخطف في الغارات، وبيع الآباء والأمهات أبناءهم، والرهائن، والتداين، فأبطل الإسلام جميع أسبابها عدا الأسر[٢].

---

(١) مدارج التنزيل وحقائق التأويل ص١٨٩.

(٢) انظر: مفهوم الحرية من المنظور الإسلامي ص ٦.

ثالثاً: وسع الإسلام مجالات وأسباب عتق الرقبة:

وذلك بأمور:

١- تحبيب الناس وحثهم على عتق الأرقاء، وجعلها من أعمال أعظم أعمال البر، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

٢- جعل عتق الرقاب مصرفاً من مصارف صدقات المسلمين وزكواتهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [التوبة: ٦٠].

٣- جعل العديد من الكفارات هي تحرير الرقبة.. مثل:

- **كفارة القتل الخطأ**، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢].

- **وكفارة الظهار**، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ٣].

- **وكفارة اليمين**، قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم

بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ﴾ [المائدة: ٨٩].

- **وكفارة الجماع في نهار رمضان**، لما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله هلكت، قال: **(مالك؟)** قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم، فقال ﷺ: **(هل تجد رقبة تعتقها؟)** قال: لا...»[(١)].

٤- سن شرائع المساواة بين الرقيق ومالكه وسيده في المطعم والمشرب والملبس.. ودعا إلى حسن معاملته والتخفيف عنه في الأعمال.. حتى أصبح الاسترقاق- في ظل هذه التشريعات- عبئاً اقتصاديًّا يزهد فيه الراغبون في الثراء!. ويعطي صورة مشرقة للإنسانية بأتم صورها حتى مع بقاء الرق، قال ﷺ: **(إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ[(٢)]، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ)**[(٣)].

٥- مع اقتصار الإسلام على سبب الرق في أسرى الحرب مع الكفار، إلا أنه جعل للأسرى مخارج أخرى غير الرق، كمبادلة الأسرى بأسرى المسلمين، وقبول الفداء منهم أو من قومهم مقابل إطلاق سراحهم، بل وشرع المنَّ عليهم بإخلاء سبيلهم بلا

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب إذا جامع في رمضان، ولم يكن له شيء، فتصدق عليه فليكفر (١٩٣٦)، ومسلم، كتاب الصيام، باب تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان (١١١١).

(٢) خولكم: خدمكم. ينظر: فتح الباري ١/ ١١٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك (٣٠)، ومسلم، كتاب الأيمان والنذور، باب إطعام المملوك مما يأكل (١٦٦١).

مقابل، وكل ذلك وقع في عهد الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين، قال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤].

المطلب الثالث

الترابط بين الحرية والمسؤولية في الإسلام

مكانة الحرية في الإسلام **تتحقق من خلال الحقوق والواجبات في مختلف شؤون الحياة**، لأن الحقوق من دون أن تقيد بالواجبات سيصبح الفرد غير مرتبط بالآخرين؛ وقد يعرف حقوقه ولا يعرف حقوق الآخرين عليه؛ وبذلك يصبح انفراديًّا في تعامله قاصراً عن أداء واجباته، ولذا فالإسلام بين علاقة الحرية والمسؤولية في أنها علاقة تلازم وتكامل، لتكون:

- **حرية الإنسان** إرادة خيرة فاعلة في مسؤولياته بالرغبة والاقتناع.
- **المسؤولية** استثماراً عاقلاً ونافعاً لإرادته الحرة، من أجل مصلحة الفرد والجماعة والمجتمع والأمة والإنسانية جميعاً.
- **أما الحرية المطلقة** بغير قيود ولا حدود، فهي سلوك بهيمي فوضوي مفسد ومدمر، لا يليق بكرامة الإنسان صاحب الرسالة، ولا بحياته ومجتمعه.

إن حقيقة التلازم بين الحرية والمسؤولية في حياة الإنسان أشبه بحال السائق وقواعد نظام السير: فأنت حر أن تركب سيارتك من ذوقك واختيارك، وتسير حيث تشاء، لكنك مطالب بمراعاة قواعد نظام السير واحترامها، حفاظاً على سلامتك وسلامة غيرك، ولو أردتها حرية مطلقة في الطريق بغير التزام ولا انضباط، جنيت على

نفسك وعلى غيرك وعلى النظام العام. والواقع شاهد بالمآسي المفجعة لحوادث السير على مغبة التهور والشطط وخرق حدود الحرية وضوابطها(١).

فمهما كانت حريتك حقًّاً مشروعاً، فهي تنتهي حيث تبدأ حرية غيرك، وأيًّاً كان حقك فيها فهو قرين الواجب نحو غيرك، وتلك ضرورة الحياة الاجتماعية الإنسانية التي لا تستقيم على الأمن والاستقرار بغير انضباط والتزام.

وإنما فسدت أحوال المجتمعات وضاعت المصالح والأمن والاستقرار بعاملين رئيسيين:

أحدهما: الإفراط والغلو والشطط في طلب الحرية وممارسة حقها، بغير ضوابط عقلية ولا دينية ولا خلقية، فتصبح تهوراً وتمرداً تعقبه الشرور والمفاسد.

وثانيهما: التفريط والتقصير في أداء واجب المسؤولية، عن جهل أو تجاهل أو تمرُّد، مما يؤدي إلى ضياع الحقوق والمصالح(٢).

فالإسلام يعتبر الناس جميعاً مسؤولين، كل في دائرته وبحسب استطاعته ووسعه، كما هو البيان الصريح للحديث الصحيح عن الرسول ﷺ أنه قال: **(كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)**(٣).

---

(١) انظر: الحرية والمسؤولية في الإسلام على الموقع الإلكتروني منارات ص٢.

(٢) الحرية والمسئولية في الإسلام على الموقع الإلكتروني منارات ص٢.

(٣) صحيح البخاري، كتاب العتق، باب العبد راع في مال سيده ونسب النبي ﷺ المال إلى السيد (٢٥٥٨)، ومسلم، كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم (١٨٢٩).

المطلب الرابع

صور تحقيق الحرية في الإسلام

حق الحرية عام وشامل وأصل لحقوق متعددة مثل: حرية التدين، وحرية الذات، أو الحرية الشخصية، وحرية التفكير، وحرية الرأي أو التعبير، وحرية العمل والمسكن والتملك والانتفاع، والحرية السياسية، والحرية المدنية، حتى إن إنسانية الإنسان رهن بحريته(١).

إذ لا يمكن أن تتحقق إنسانيته بدون حرية وقد عزز الرسول ﷺ في سنته المطهرة وسيرته العطرة، مبدأ الحرية سواء في التفكير أم في التعبير أم في إعمال الرأي والاجتهاد في أمور الدين والدنيا، حرصاً منه على تكوين الشخصية المستقلة المتماسكة القوية لدى المسلم(٢).

ويمكن بيان ذلك في النقاط التالية:

أولاً: حرية التفكير:

أعطى الإسلام للإنسان حرية التفكير في حدود الآداب العامة والأخلاق الفاضلة، شريطة عدم السب واللعن والكذب والقذف، وكل ذلك بما يتفق مع المبدأ العام.

فقد جاء الإسلام يدعو الناس إلى النظر والتفكير، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ [سبأ: ٤٦].

(١) انظر: حقوق الإنسان في الإسلام د. محمد الزحيلي ص١٨٥، وحقوق الإنسان في الإسلام ص٩١-٩٥.

(٢) انظر: مفهوم الحرية من المنظور الإسلامي ص ٦.

وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١].

وذم الله تعالى الذين يتبعون الظنون والأوهام وقال: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [النجم: ٢٨].

وذم الذين يتبعون الهوى وعلى الذين يقلدون الآباء، أو يقلدون الكبراء والرؤساء، وبين أنهم الذين يقولون يوم القيامة: ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾ [الأحزاب: ٦٧].

وبينَّ أن ذلك سبب تكذيبهم للرسل عليهم الصلاة والسلام: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣].

فإن العقل الصريح أساس النقل الصحيح، ومن هنا ظهر في الإسلام -تبعاً للحرية الفكرية- الحرية العلمية، قال تعالى: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [سبأ: ٦].

ووجدنا أن العلماء يختلفون، وقد يخطئ بعضهم بعضاً، ويرد بعضهم على بعض، ولا يجد أحد في ذلك حرجاً.. ينتفع بعضهم بكتب بعض، وبآراء بعض، ورأينا اختلاف الفقهاء وسعة صدورهم في الخلاف بين بعضهم، وقد قال يونس بن عبد الأعلى الصدفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوماً في مسألة ثم افترقنا ولقيته فأخذ بيدي ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة»[1].

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٢٤٠.

وقال أحمد بن حفص السعدي: «سمعت أحمد بن حنبل الإمام يقول: لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل إسحاق وإن كان يخالفنا في أشياء، فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضاً»[١].

ثانياً: حرية القول وإبداء الرأي:

وإذا كان الإسلام قد أعطى للإنسان حرية التفكير فإنه أعطى له أيضاً حرية القول -بلا إيذاء للآخرين- فالقول الذي فيه إيذاء للآخرين حرمه الإسلام، قال ﷺ: **(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)**[٢].

بل جعل الإسلام القول والنقد - إذا تعلقت به مصلحة الأمة، ومصلحة الأخلاق والآداب العامة - أمراً واجباً.. أن تقول الحق، لا تخاف في الله لومة لائم، أن تأمر بالمعروف، أن تنهي عن المنكر، أن تدعو إلى الخير، أن تقول للمحسن: أحسنت وللمسيء: أسأت، وأن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فعن طارق بن شهاب قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: أي الجهاد أفضل؟ قال: **(كلمة حق عند إمام جائر)**[٣]، وفي رواية: **(أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر، أو أمير جائر)**[٤].

---

(١) سير أعلام النبلاء١١/ ٣٧١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب ما يكره من قيل وقال (٦٤٧٥).

(٣) مسند أحمد ٣١/ ١٢٦ (١٨٨٣٠)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٤) سنن أبي داوود، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي (٤٣٤٤) واللفظ له، والترمذي في كتاب الفتن، باب ما جاء أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر (٢١٧٤) وقال الترمذي: وهذا حديث حسن غريب، وسنن النسائي كتاب البيعة، باب فضل من تكلم بالحق عند إمام جائر (٤٢٠٩)، وسنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٤٠١١)، ومسند أحمد ٣٦/ ٥٤١ (٢٢٢٠٧) وقال شعيب الأرناؤوط: حسن لغيره.

وحث الإسلام على الشورى وطلب المشورة والمبادرة في ذلك، وهو نوع من أنواع الحرية التي في القول وإبداء الرأي، وقل أمر الله تعالى رسوله بطلب الرأي والمشورة من أصحابه، قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، بل جعل ذلك من صفات المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]. فلا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه.

ثالثاً: الحرية السياسية:

ومن تعاليم الإسلام الحنيف أنه قرر عدم الحجر على الناس في إبداء آرائهم وشرح وجهات نظرهم في الحياة الإنسانية ومن بينها الحياة السياسية، والحرية السياسية ليست إلا فرعاً لأصل إسلامي عام هو حرية الإنسان، وهذه الحرية التي يقررها الإسلام يحددها قيدها وهو التزام حدود القيم الإنسانية فلا يجوز أن يكون الرأي الذي يبديه الإنسان طعناً في الدين أو خروجاً عليه فذلك مخالف للنظام العام في الدولة الإسلامية.

ففي غزوة بدر: «ذكروا: أن الحباب بن المنذر بن الجموح قال: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل، أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه، ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: **(بل هو الرأي والحرب والمكيدة؟)** فقال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل»[(١)] ثم بدأ يخبره بوجهة نظره، وقبلها رسول الله ﷺ وكانت سبباً في الانتصار في المعركة[(٢)].

---

(١) ينظر: مغازي الواقدي١/ ٥٣، السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٦٢٠.

(٢) انظر: الحرية في منظور الإسلام ص/ ٣-٤.

رابعاً: حرية الكسب والتملك:

حث الإسلام على العمل أيّاً كان نوعه مادام من الأعمال المباحة قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [البقرة: ١٦٨]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

بشرط عدم الضرر بالنفس أو الضرر بالغير.. أيّاً كان ذلك الضرر.

خامساً: حرية العقيدة:

فانطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

فإن الإسلام قد ربط قيمة الحرية بالإنسان مطلق الإنسان، وليس بالإنسان المسلم وحده، وإذا كان الدين والتدين هو أغلى وأول ما يميز الإنسان، فإن إقرار الإسلام للإنسان على دينه المخالف لشاهد على تقديس حرية الإنسان في كل الميادين.. قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾[البقرة: ٢٥٦]، وقال الله عن نوح في دعوته قومه: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ [هود: ٢٨].

وقال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ فهو سبحانه بذلك يقرر للإنسان حريته بأمور الإيمان والعقيدة والتوحيد، وهي أسمى الأمور، وحمله مسئولية حريته في ذلك، وهذا هو العدل التام، وأقام عليه الحجة بما أعطاه من حرية قوامها الإرادة والاختيار والعقل.

لقد أراد الله للناس الهدى والإيمان، لكنه – سبحانه- جعل لهم، مع هذه الإرادة الإلهية الحرية والتخيير والتمكين، فكان انتصار الإسلام للحرية الإنسانية في كل الميادين.

فكانت شرعية الإسلام حرية الاعتقاد؛ بمعنى أنها لا تجبر أحداً على اختيار معتقد بعينه، وعملت على صيانة هذه الحرية.

المطلب الخامس

لا يوجد حرية مطلقة في الإسلام

إن الحرية في الإسلام لا تعني تخطي حدود الآخرين، أو السير عكس الاتجاه، أو أن لا نتفهم ظروف الآخرين.

أما الحرية بالمفهوم الجاهلي تعني أن تفعل ما تشاء وتأكل ما تشاء وتلبس ما تشاء وتعتقد ما تشاء وتنام مع من تشاء بدون قيود أو ضوابط؟ والنتيجة ارتفاع معدلات الجريمة والقتل والسرقة والاختطاف والاغتصاب والشذوذ والخيانة والسكر والانحلال الخلقي الغير مسبوق في موطن البلاد الراعية والداعية إلى الحرية.

قال ﷺ: (لا ضرر ولا ضرار)[1] بمعنى إنه لا ضرر بالنفس ولا ضرار بالغير، حيث إن بعض الناس يفهم الجزء الثاني من الحديث (لا ضرار) يعني: لا يجوز أن تضر بغيرك فقط، إما نفسك فلا بأس بالإضرار بها، وهذا غير متحقق في مفهوم الحرية في الدين الإسلامي.

وبعض الناس يتكلمون عن حرية الرأي، ويدخلون فيها حرية الكفر، ويخلطون بين حرية الفكر، وحرية الكفر، ويسمحون بحرية الكفر ضمن حرية الفكر، وأن

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره (٢٣٤٠)، والمستدرك على الصحيحين ٢/ ٦٦ (٢٣٤٥)، وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه.

تعتقد ما تشاء من المذاهب الضالة، ولذلك عندهم مشكلة حقيقية في حد الردة، وفي حديث: (من بدل دينه فاقتلوه)[١] والمقصود بدينه دين الإسلام، كما بين العلماء في شرح الحديث.

فيقولون: من أراد أن يخرج من الدين فليخرج، ولكن في الإسلام الذي يخرج من الدين يقتل، وإلا يصبح الدين بوابة بلا بواب، ولا راع، ولا حارس، ويجترئ الناس على ترك الدين، وعلى ترك الإسلام، وهكذا يصبح الدين ألعوبة، من شاء دخل ومن شاء ترك.

فلا إكراه في دخول الدين الإسلامي، أما إذا دخل الإنسان في الإسلام فلا يجوز أن يخرج بل عليه أن يلتزم بالإسلام وتعاليمه، كما أن الإنسان غير مجبر على العمل في شركة معينة ولكن إذا دخل الشركة لا بد له من الانضباط بنظامها.

كما قالت طائفة اليهود: ﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢].

فأراد الله سبحانه ألا يكون هذا الدين ألعوبة، فمن دخل في الإسلام بعد اقتناع وبعد وعي وبصيرة فليلزمه وإلا تعرض لعقوبة الردة. فالحرية الأولى حرية التدين والاعتقاد.

كما أن الاعتداء على النفس أو الملك الشخصي لا تعتبر حرية للإنسان، لذلك حرم الإسلام الانتحار أو الإضرار بشيء من الجسد أو الملك في غير مصلحة صحيحة، كما لا يُعتبر الاعتداء على الغير سواء باللسان كالسب أو الأركان كالضرب من الحرية. فمن فعل ذلك فهو من الأشرار لا الأحرار.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: لا يعذب بعذاب الله (٣٠١٧).

ومن حدود الحرية كذلك قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحجرات: ١١ – ١٢].

فالحرية في الإسلام ليست سائبة ولا مطلقة حتى تهوي بصاحبها إلى قاع الضلال الروحي ودرك الانحطاط الأخلاقي، بل هي حرية واعية منضبطة، فإذا خرج بها الإنسان عن أحكام الدين ونطاق العقل وحدود الأخلاق ومصلحة الجماعة، تمت مساءلته ومحاسبته وإيقافه عند حده ورده عن غيه، منعاً لضرر الفرد والجماعة، وفساد الدين والدنيا[(١)].

يقول الشيخ عبدالله النديم: «.. ولئن قيل: إن الحرية تقضي بعدم تعرض أحد لأحد في أموره الخاصة، قلنا: إن الحرية عبارة عن المطالبة بالحقوق والوقوف عند الحدود.. وهذا الذي نسمع به ونراه رجوع إلى البهيمية وخروج عن حد الإنسانية، ولئن كان ذلك سائغاً في أوروبا، فإن لكل أمة عادات وروابط دينية أو بيئية، وهذه الإباحة لا تناسب أخلاق المسلمين ولا قواعدهم الدينية ولا عاداتهم. والقانون الحق هو الحافظ لحقوق الأمة من غير أن يجني أو يغري بالجناية عليها بما يبيحه من الأحوال المحظورة عنده»[(٢)].

---

(١) انظر: مفاهيم خاطئة للحرية ٤.

(٢) انظر: مجلة الأستاذ، العدد ١٩، ٨ جمادي الثانية سنة ١٣١٠هـ، ص٤٣٩.

والخلاصة[(١)]:

١- أن الحرية من أهم القيم الإسلامية، لأنها فطرة الله التي فطر الناس عليها، ويتميز الإنسان بها عن سائر الكائنات الحية الأخرى.

٢- أن المفهوم الحقيقي للحرية هي تمكن الإنسان من أن يقوم بدوره الطبيعي في الحياة دون تعسف أو إضرار بالآخرين.

٣- إن تمام حرية الفرد تكمن في قمة عبوديته لله تعالى، وتخلصه من عبودية ما سواه، وهذا يتحقق بمجرد دخول الإنسان دين الإسلام.

٤- إن حرية الاختيار بالنسبة للدين تكون عند لحظة الاختيار الأول، أما بعد الدخول في الإسلام فهو ملزم باتباع كل أوامره واجتناب كل نواهيه، تحقيقاً لمسؤولية الاختيار.

٥- أن دوافع الأفعال شرعية، وليست من هوى النفس، أو إملاءات الشهوة، وهذا هو الفرق الأساسي بين الحرية والتفلت.

٦- الحرية الحقيقية في علاقتك بالآخرين تعني ارتباطك بهم طبقاً للقواعد الشرعية، وليست وفقاً لقدرتك على غلبتهم وقهرهم، وانتزاع حقوقهم.

٧- إن إحساسك بالعلاقة بينك وبين الآخرين ينمي فيك حسن المسؤولية وأداء الأمانة.

٨- أن للحرية صوراً نظمها الإسلام، ومنها حرية التفكير، والقول، والحرية السياسية، وحرية الكسب والتملك والتنقل، وحرية العقيدة، والتي هي من أحلى الصور في الإسلام.

---

(١) ملخصاً من بحث مفهوم الحرية في الإسلام، منشور بمجلة البحوث والدراسات الشرعية د. وفاء نايف خالد العجمي، وعلى موقع الملتقى الفقهي.

الخاتمة

الحمد لله رب العالم وصلى الله وسلم وعلى عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد:

فبعد هذا العرض لموضوع الدعوة إلى الله يمكن تلخيص ما سبق في النقاط التالية:

١- من البصيرة في الدعوة إلى الله، أن يعرف الداعي إلى الله إلى أي شيء سيدعو الناس؟ وما المجالات التي يخاطب الدعاة المدعوين بها؟

٢- موضوع الدعوة يتلخص في: بناء تصور عام عن رسالة الإسلام، وأصول التلقي والاستدلال فيه، والتعريف بمقاصد الإسلام الخمس وهي حفظ الدين والنفس، والعقل، والنسل، والمال، وبيان خصائص الإسلام، وتعاليم الإسلام التي هي أركان الإسلام والإيمان، والتعريف بمحاسن الإسلام، وبيان التشريعات الحقوقية في الإسلام.

٣- إن بناء تصور شامل عن رسالة الإسلام من أهم الموضوعات التي لا بد وأن تطرح على المدعوين لإقناعهم بالإسلام أولاً، ثم لتطبيقهم الإسلام التطبيق الصحيح ثانياً.

٤- لا نستطيع أن نقوم بإعداد رسالة واحدة عن الإسلام تقال في كل مكان، وعند كل أحد، لأن الذي يحكم هذا هو الزمان والمكان والحال والفئة المخاطبة، فيعطى كل موقف ما يحتاجه من رسالة الإسلام، وهناك أساسيات يمكن من خلالها بناء رسالة عامة عن الإسلام، يمكن صياغتها حسب الزمان والمكان والحال والمخاطبين.

٥- الإسلام هو دين الله الوحيد وهو دين كل الأنبياء الذي لا يقبل ديناً سواه، وهو يشمل العبودية لله وحده، وإقامة العدل، وتحقيق الرحمة للعالمين، وإتمام مكارم الأخلاق، ونشر العلم ورفع الجهل، والاستخلاف في الأرض وإعمارها، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والترغيب في الطيبات، والتيسير، والتعارف بين الشعوب لتحقيق التعاون.

٦- الأصل أن أول ما يجب أن يدعى الناس إليه في الإسلام هو التوحيد، مع اختلاف المداخل للدعوة للتوحيد من شخص لآخر، فلا بد أن تكون هناك رؤية واضحة متدرجة لنبني التوحيد في النفوس بناءً قويًّاً وأصيلاً، تقوم على تثبيت عقيدة الربوبية وأن لهذا الكون خالقاً، ثم تغرس حقيقة سبب الخلق والإيجاد، ومن ثم إفراد الله بالعبادة، ثم تثبيت أهمية حاجة الإنسان إلى منهج للحياة، ثم غرس حقيقة البعث والجزاء.

٧- من أهم ما لا بد أن يعلم عن الإسلام: المصدر الذي يتم تلقي الإسلام منه والذي وصل إلينا الإسلام من خلاله، والأدلة على تشريعات الإسلام وصدق خبره.

٨- أصول أهل السنة في التلقي والاستدلال ترتكز على تعظيم النصوص الشرعية والانقياد لها، والاعتماد على السنَّة الصحيحة، وصحَّة فَهمِ النصوص وأهميته في الاستدلال الصحيح، والاعتماد على منهَج الصحابة في الفَهم، والمَعرفة باللغة العربية، وجَمعُ النصوص الواردة في الباب الواحد.

٩- خصائص الإسلام: هي أوصافه ومميزاته ومقوماته التي تفرد وتميز بها عن غيره من الأديان والمذاهب الأخرى.

١٠- خصائص الإسلام لا بد للداعية من معرفتها معرفة جيدة وتفهيمها للناس حتى لا يختلط الخبيث بالطيب، والصالح بالطالح، وليدرك الناس عظمة هذا الدين، مما يتيح لغير المسلمين تكوين صورة صحيحة عن الإسلام.

١١- خصائص الإسلام هي: الربانية، والعالمية، والشمولية، والتكامل، والواقعية، والوسطية والتيسير، والتدرج والسماحة، والعدل.

١٢- من موضوعات الدعوة المهمة المعرفة بمقاصد الإسلام لأن هذا العلم يبحث ويدرس ويُبرز جوهر الإسلام وغايته ورسالته، ويكشف عن حِكَم الإسلام ومقاصد أحكامه وهذا مما يعين على إبراز محاسن الشريعة ومكارمها، ونفي الأفهام والتفسيرات المشوِّهة للإسلام، والتقويم والتسديد والإمداد لسائر العلوم والدراسات الإسلامية.

١٣- مقاصد الإسلام خمسة هي حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ المال.

١٤- من خصائص هذا الدين أنه دين شامل للعقيدة والعبادة والمعاملات.. فالإسلام ليس عقيدة قلبية أو حالة روحية يعيشها القلب فحسب.. والإسلام ليس تكاليف مالية وجهد بدني يقوم به المسلم.. والإسلام ليس نظاماً اقتصاديَّاً أو اجتماعيَّاً أو سياسيَّاً فحسب.. بل الإسلام هذا كله (عقيدة وعبادة وشريعة)، وإذا أردنا أن نعرض تعاليم الإسلام التي تُميز الإسلام عن غيره، فلا بد أن نعرض الإسلام وفق هذا الشمول والتكامل..

١٥- تعاليم الإسلام التي لا بد للمسلم أن يتعلمها ويلتزم بها بيّنها الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، وقد جمع حديث جبريل مع النبي ﷺ جانبي

العقيدة والعبادة.. أما جانب التشريع والمعاملات الأخرى فقد ورد في آيات من كتاب الله تعالى، وهي كثيرة تدل على وجوب اتباع الشريعة الإسلامية وتطبيقها في جميع شئون البشرية.

١٦- من أهم تعاليم الإسلام التي لا بد وأن يتعلمها المسلم بعد تعرفه على الإسلام ودخوله فيه، أركان الإسلام الخمس وأركان الإيمان الست، فأركان الإسلام هي الأصول التي بُني عليها شرع محمد ﷺ وتُشكل أعظم الواجبات التي تلزم المسلم، وهي: الشهادتان، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، وأركان الإيمان، هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

١٧- إن الحديث عن محاسن الدين الإسلامي هو حديث عن مظاهر رحمة الله بعباده، إذ شرع لهم من الدين أحكاماً وآداباً يسيرة وسمحة وكلها حُسنٌ وحِكمةٌ بالغةٌ.

١٨- موضوع محاسن الإسلام باب مهم لإبراز الوجه الناصع لديننا الحنيف، فهو باب كبير عظيم النفع في إيصال رسالة الإسلام، وفيه تثبيت وزيادة إيمان للمسلمين، ولغير المسلمين.

١٩- لا بد من أن تعرف المسلم وغير المسلم على محاسن تشريعات العقيدة والعبادة والأخلاق والاقتصاد والاجتماع والسياسية، والأسرة، والقضاء، والحربية، ومحاسن تشريع الحدود الإسلامية، وكذلك التعرف على عناية التشريع الإسلامي بالعلوم الإنسانية والدنيوية.

٢٠- لا بد للداعية من التعرف على التشريعات الحقوقية والدعوة إليها وإبرازها، ليدرك الناس تكامل الشريعة الإسلامية، وليكون لدى الداعية القدرة على عرض

الإسلام والسعي لتطبيقه مع واقعية تراعي ظروف الناس واحتياجاتهم، فالإسلام جاء لإرساء العدل وإقامة الحقوق.

وبهذا نكون من خلال هذا الكتاب قد بيّنا وأشرنا للدعاة إلى شمولية هذا الدين، وبيَّنا تصوراً واضحاً عن الإسلام الذي ندعو إليه في أذهان الدعاة إلى الله ليقوموا هم بدورهم في بناء صورة ذهنية عن الإسلام والدعوة وإليه وتعليمه.

وفي الختام نسال الله تعالى أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وممن يقومون على الدعوة وتبليغ دين الله تعالى، وأن نكون ممن يقوم على وضع لبنة من لبنات بناء صرح هذه الأمة العظيم.

كما أسأله سبحانه أن يجزي خيراً كل من ساهم في إخراج هذا البحث بتوجيه أو فكرة أو تصويب خطأ أو بيان، وأن لا يحرمنا وإياهم الأجر، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به المسلمين، وأن يكون حجة لنا لا علينا، اللهم آمين.

وآمل من إخواني القراء والباحثين المسارعة في المساهمة بتصحيح خطأ أو زيادة بيان وتوضيح أو ذكر بعض المقترحات، ولا يبخلوا على إخوانهم بما تجود به قريحتهم من أفكار ومعلومات.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

فهرس المصادر والمراجع

١- الإبانة الكبرى، عبيدالله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة، المحقق: رضا معطي، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤١٥ هـ.

٢- الإتقان في علوم القرآن، عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١٣٩٤هـ.

٣- الاجتهاد المقاصدي حجيته ضوابطه مجالاته، نور الدين بن مختار الخادمي، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر، ١٤١٩هـ، ط١.

٤- أحكام الابتعاث للخارج في الفقه الإسلامي، د. حصة بنت عبدالرحمن الرقيق، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٣٢.

٥- الأحكام السلطانية، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، دار الحديث، القاهرة.

٦- أحكام القرآن، أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي، تحقيق د. سعد الدين أونال، مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي، إستانبول، ط١.

٧- أحكام النسب في الفقه الإسلامي، رسالة ماجستير، فؤاد مرشد داؤود بدير، نابلس.

٨- أحكامِ ميراث المرأة في الفقه الإسلامي للباحثة د. ورود عادل إبراهيم عَورتاني، بإشراف د. مُحَمَّد الصُّلَيبي، جامعةُ النَّجاحِ الوطنية بفلسطين ١٤١٩هـ منشور في برنامج المكتبة الشاملة.

٩- أدب الدنيا والدين، علي بن محمد الماوردي تحقيق مصطفى السقا، الطبعة ٤، بيروت، دار الكتب العلمية ١٣٩٨هـ.

١٠- الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.

١١- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢ ١٤٠٥هـ.

١٢- أسباب نزول القرآن، علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، الشافعي، المحقق: عصام بن عبدالمحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط ٢، ١٤١٢ هـ.

١٣- الاستذكار، يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

١٤- الاستشفاء بالصلاة، د. زهير رابح، بحث منشور على الإنترنت، ولم أقف عليه مطبوعاً.

١٥- الإسلام في قفص الاتهام، د. شوقي أبو خليل، دمشق، دار الفكر ١٩٧٠م.

١٦- أسماء الله الحسنى وأثرها في سلوك الإنسان لأبو سنينة، دار الجنان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

١٧- الأسماء والصفات، أحمد بن الحسين الخراساني، أبو بكر البيهقي، حققه عبدالله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

١٨- أسواق الذهب، أحمد شوقي، مطبعة الهلال – مصر، عام النشر: ١٩٣٢.

١٩- الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

٢٠- إشراقات قرآنية في جزء النبأ، سلمان العودة، مؤسسة الإسلام اليوم، ط١، ١٤٣٥هـ.

٢١- أصول الدعوة؛ عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط ٩، ١٤٢١هـ.

٢٢- إضاءات للمعرفين بهذا الدين، إعداد الهيئة العالمية للتعريف بالإسلام، مذكرة، غير مطبوعة.

٢٣- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة – ط١، ١٤٢٦هـ.

٢٤- أضواء على الثقافة الإسلامية د. أحمد فؤاد محمود، دار أشبيليا للنشر، ط١، ١٤٢١هـ.

٢٥- أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين، محمد حسين محاسنة، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية المتحدة ط١،٢٠٠١م.

٢٦- الاعتصام، أبو إسحاق الشاطبي، دار النشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر.

٢٧- إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبدالسلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٤١١هـ.

٢٨- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط١، ٢٠٠٢ م.

٢٩- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لابن القيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩٥.

٣٠- الافتراءات على الإسلام والمسلمين، د. أمير عبدالعزيز، دار السلام، ط ٢٠٠٥م.

٣١- الأم، الشافعي أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبدالمطلب بن عبدمناف المطلبي القرشي المكي، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٠هـ.

٣٢- إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، أحمد بن علي بن عبدالقادر، تقي الدين المقريزي، المحقق: محمد عبدالحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ.

٣٣- الأموال، القاسم بن سلام أبو عبيدة، مكتبة الكليات الأزهرية، بمصر، ط٢ ١٣٩٥هـ، تحقيق وتعليق: محمد خليل هراس.

٣٤- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٥، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٣٥- الإيمان بالرسل د. عطية أحمد عطية، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع.

٣٦- الإيمان بالقدر خيره وشره، عمر الأشقر، دار النفائس، الأردن، ط٨، ١٤١٩هـ.

٣٧- الإيمان بالقرآن والكتب السماوية، د. علي الصلابي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط١.

٣٨- الإيمان بالقضاء والقدر لمحمد الحمد، دار ابن خزيمة، الرياض.

٣٩- الإيمان بالكتب، عمر الأشقر، دار النفائس، الأردن، الطبعة الثامنة: ١٤١٩هـ.

٤٠- الإيمان بالملائكة د. على الصلابي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط١.

٤١- الإيمان بالملائكة، عمر الأشقر، دار النفائس، الأردن، الطبعة الثامنة: ١٤١٩هـ.

٤٢- الإيمان باليوم الآخر الجنة والنار، عمر الأشقر، دار النفائس، الأردن، ط٨، ١٤١٩هـ.

٤٣- الإيمان باليوم الآخر لمحمد الحمد، دار ابن خزيمة، ط٢.

٤٤- الإيمان باليوم الآخر والقضاء والقدر أحمد البيانوني، دار السلام للطباعة والنشر، ط١، ١٩٨٥م.

٤٥- الإيمان باليوم الآخر، د. على الصلابي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط١.

٤٦- الإيمان، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ.

٤٧- البابا والإسلام، ليوسف بن عبدالله، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١ ٢٠٠٧م.

٤٨- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ.

٤٩- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، للإمام علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦ م.

٥٠- بماذا انتصر المسلمون أنور الجندي، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٣هـ.

٥١- بناء الإنسانية. بريفولت (نقلت عنه بالواسطة).

٥٢- بيان فضل علم السلف على علم الخلف، لابن رجب، تحقيق: محمد العجيمي، دار البشائر ط٤.

٥٣- بيان محاسن الإسلام ودوره في بناء الجسور الثقافية بين العالم الإسلامي والغرب، بحث مقدّم للمؤتمر العالمي عن العالم الإسلامي والغرب: الحواجز والجسور، إعداد د. أحمد بن عثمان المزيد، أستاذ مساعد بقسم الثقافة الإسلامية كلية التربية، جامعة الملك سعود.

٥٤- البيت المسلم القدوة أمل يحتاج إلى عمل، أبو الحمد ربيع، دار التوزيع والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.

٥٥- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية التاج والإكليل لمختصر الخليل لمحمد بن يوسف العبدري.

٥٦- التاج والإكليل لمختصر الخليل لمحمد بن يوسف العبدري، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٦هـ.

٥٧- تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، دار التراث – بيروت، ط٢، ١٣٨٧ هـ.

٥٨- تاريخ العرب، فليب حتى، دار الكشاف للنشر والتوزيع، ط ١٢، ٢٠٠٧م.

٥٩- التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد.

٦٠- تاريخ المدينة، عمر بن شبة واسمه زيد بن عبيدة بن ريطة النميري البصري، أبو زيد، حققه: فهيم محمد شلتوت، طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد، جدة، عام النشر: ١٣٩٩ هـ.

٦١- تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٢- تاريخ دمشق، على بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر، دار الفكر بيروت، ط(١٤١٥هـ).

٦٣- تجديد الفكر الديني في الإسلام، محمد إقبال، ترجمة: عباس محمود، دار الهداية للنشر والتوزيع.

٦٤- التحرير والتنوير، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.

٦٥- تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، العِراقي، وابن السبكى، والزبيدي، استِخرَاج: أبي عبدالله مَحمُود بِن مُحَمّد الحَدّاد، دار العاصمة للنشر، الرياض، ط١، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٧ م.

٦٦- التدرج في دعوة النبي ﷺ د. عبدالله المطلق، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤١٧هـ.

٦٧- التسهيل في علوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالله، ابن جزي، المحقق: د. عبدالله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ.

٦٨- التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، عبدالقادر عودة، دار الكتاب العربي.

٦٩- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٧٠- التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، محمد ناصر الدين الألباني، دار باوزير للنشر والتوزيع،

جدة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٧١- تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، تحقيق: أسامة الطيب، مكتبة نزار مصطفي الباز، مكة المكرمة، ط١٤١٧.

٧٢- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي السلامة، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.

٧٣- التفسير القرآني للقرآن، عبدالكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة.

٧٤- تفسير المنار، رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت الطبعة الثانية: ١٩٧٣م.

٧٥- تفسير جزء الذاريات، محمد بن عثيمين، مؤسسة ابن عثيمين الخيرية، دار الثريا للنشر، وتفسير السورة ضمن مجموعة سور في مجلد واحد.

٧٦- تفسير جزء النبأ، محمد بن عثيمين، مؤسسة ابن عثيمين الخيرية، ط١٤٢٣هـ.

٧٧- تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

٧٨- التقرير والتحبير على تحرير الكمال لابن الهمام، محمد بن محمد المعروف بابن أمير حاج ويقال له ابن الموقت الحنفي، دار الفكر بيروت، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٧٩- التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، دار الفكر للطباعة – لبنان، ط١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٨٠- تلبيس مردود في قضايا حية، صالح بن حميد كتاب الكتروني منشور على موقع طريق الإسلام.

٨١- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبدالبر النمري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ط١٣٨٧هـ.

٨٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي – مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٠هـ.

٨٣- التيسير المعاصر دراسة تحليلية؛ د. عبدالله بن إبراهيم الطويل، رسالة دكتوراه.

٨٤- التيسير في السنة النبوية ناجح سمارة، دار النوادر، ٢٠١٤م.

٨٥- الثلاثة أصول، الشيخ محمد بن عبدالوهاب، متن فقط، دار الوطن، الرياض ١٩٩٩م.

٨٦- جامع الأحاديث، جلال الدين السيوطي، ط٣، ١٤٠٧، ١٩٨٧ تحقيق: د. مصطفى البغا.

٨٧- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، القاهرة، ط١، ١٤٢٢، تحقيق د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي.

٨٨- جامع الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ، اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.

٨٩- جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبدالبر النمري، دار الفكر، بيروت لبنان.

٩٠- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ.

٩١- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، المحقق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف – الرياض.

٩٢- الجرح والتعديل، عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٣٧١.

٩٣- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، المغرب، ط١، ١٤١٨هـ.

٩٤- حاشية ابن عابدين، حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة، ابن عابدين، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٢١هـ.

٩٥- حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، محمد بن عبدالهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي، دار الجيل – بيروت.

٩٦- حجة الله البالغة، أحمد بن عبدالرحيم المعروف بالشاه ولي الله الدهلوي، المحقق: السيد سابق، دار الجيل، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٦ هـ.

٩٧- الحرية مفهومها وضوابطها وآثارها د. ناصر السيف، كتاب منشور على موقع صيد الفوائد.

٩٨- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، ١٣٨٧ هـ.

٩٩- الحسن بن الهيثم بحوثه وكشوفه البصرية، مصطفى نظيف، ضمن سلسلة تاريخ العلوم عند العرب، مركز دراسات الوحدة العربية ط١.

١٠٠- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، للمستشرق: آدم ميتز، ترجمة: محمد عبدالهادي أبو ريدة، (نقلت عنه بالواسطة).

١٠١- حضارة العرب، غوستاف لوبون، دار العالم العربي، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.

١٠٢- حقائق إسلامية في مواجهة حملات التشكيك، محمود حمدي زقزوق، دار الشرق الدولية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م.

١٠٣- حقوق الإنسان في الإسلام د. محمد الزحيلي، دار ابن كثير، ط٢٠٠٥م.

١٠٤- حقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية د. علي بن عبدالرحمن الطيار، ط١ ١٤٢٥هـ٢٠٠١م- كتاب إلكتروني منشور على موقع المكتبة الوقفية.

١٠٥- حقوق غير المسلمين في بلاد الإسلام تأليف أ. د. صالح بن حسين العايد، من مطبوعات: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٩هـ.

١٠٦- الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، د. سعيد بن على بن وهف القحطاني، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ.

١٠٧- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبدالله الأصبهاني أبو نعيم، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ.

١٠٨- الخراج، لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة الأنصاري، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، سعد حسن محمد، المكتبة الأزهرية للتراث.

١٠٩- خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ط١، ١٤٢١هـ.

١١٠- الدر المنثور، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م.

١١١- دراسة في فقه مقاصد الشريعة، د. يوسف بن عبدالله، دار الشروق، القاهرة، ط١.

١١٢- دروس العقيدة في الأكاديمية الإسلامية المفتوحة للمستوى الثالث، تأليف: أ.د. ناصر بن عبدالكريم العقل.

١١٣- الدعوة إلى الإسلام، أرلوند توماس، بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، ترجمة: حسن إبراهيم حسن، عبدالمجيد عابدين، إسماعيل النحراوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧١م.

١١٤- دلائل النبوة، أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١: تحقيق: الدكتور عبدالمعطي أمين القلعجي.

١١٥- دليل الداعية الفقهي، د. فهد باهمام، سماء الكتب للنشر والتوزيع، ط١ ٢٠١١م.

١١٦- دليل المسلم الجديد، د. فهد باهمام، سماء الكتب للنشر والتوزيع، ط١ ١٤٣٢هـ.

١١٧- رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبدالله، ابن بطوطة، دار الشرق العربي.

١١٨- رحلة ابن جبير، ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، دار بيروت للطباعة والنشر – بيروت، ط١.

١١٩- الرسالة التبوكية زاد المهاجر إلى ربه، محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق: د. محمد جميل غازي، مكتبة المدني – جدة.

١٢٠- الرسل والرسالات، عمر الأشقر، دار النفائس، الأردن، ط٨، ١٤١٩هـ.

١٢١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي، المحقق: علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.

١٢٢- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت.

١٢٣- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد السهيلي، المحقق: عمر عبدالسلام، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

١٢٤- روضة الطالبين وعمدة المفتين، يحيى بن شرف النووي محي الدين أبو زكريا، المكتب الإسلامي، المحقق: زهير الشاويش، ط٣، ١٤١٢هـ.

١٢٥- الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة، عبدالرحمن السعدي، دار المنهاج، مصر، ط١، ١٤٢٦هـ.

١٢٦- زاد المسير، ابن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ.

١٢٧- الزهد، أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: ضياء الحسن السلفي، الدار السلفية، ط١، ١٤١٣هـ.

١٢٨- زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار النشر: دار الفكر العربي.

١٢٩- الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيثمي، تحقيق مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، نشر المكتبة العصرية، لبنان، صيدا - بيروت، ١٤٢٠هـ.

١٣٠- سبل السلام، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير، دار الحديث.

١٣١- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد محمد بن يوسف الصالحي الشامي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ، ط١، تحقيق: عادل أحمد وعلي محمد معوض.

١٣٢- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ،١٩٨٥م.

١٣٣- سنن أبي داوود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ،١٩٨٩م، اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.

١٣٤- سنن الدارقطني، علي بن عمر الدارقطني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.

١٣٥- السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، مكتبة دار الباز، مكة

المكرمة، ١٤١٤ – ١٩٩٤، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا.

١٣٦- سنن النسائي، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع – الرياض – (١٤١٩هـ، ١٩٩٩م)، اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.

١٣٧- سياسة التدرج في تطبيق الأحكام الشرعية، د. إياد كامل الزيباري، رسالة دكتوراه، جامعة تكريت، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٣٨- السياسة الشرعية، شيخ الإسلام ابن تيمية، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٨هـ.

١٣٩- السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق مصطفى السقا، مؤسسة علوم القرآن، دمشق بيروت، دار القبلتين للثقافة الإسلامية، جدة.

١٤٠- السيرة النبوية، لابن كثير، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، ١٣٩٥ هـ، ١٩٧٦ م

١٤١- شرح أسماء الله الحسنى، أ.د سعيد بن وهف القحطاني، مطبعة سفير – الرياض.

١٤٢- شرح أصول الإيمان وعقيدة أهل السنة والجماعة، للشيخ محمد العثيمين، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.

١٤٣- شرح الزرقاني على موطأ مالك، محمد بن عبدالباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ.

١٤٤- شرح القواعد الفقهية، أحمد بن الشيخ محمد الزرقا، صححه وعلق عليه: مصطفى أحمد الزرقا، دار القلم، دمشق، ط ٢، ١٤٠٩هـ.

١٤٥- شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٩هـ.

١٤٦- شرح سنن ابن ماجه، السيوطي، عبدالغني الدهلوي، قديمي كتب خانة – كراتشي.

١٤٧- شرح صحيح البخاري لابن بطال، علي بن خلف بن عبدالملك، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ.

١٤٨- شرح مشكل الآثار، أحمد بن محمد بن سلامة المصري المعروف بالطحاوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥هـ.

١٤٩- شعب الإيمان، أحمد بن الحسيني البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١: ١٤١٠هـ.

١٥٠- الشمائل المحمدية، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٥١- شمس الإسلام تسطع على الغرب أثر الحضارة العربية على أوروبا، زغريد هونكه، ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٩٩٣م.

١٥٢- الصحاح تاج اللغة، إسماعيل الجوهري الفارابي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٩٠م.

١٥٣- صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ط٢، ١٤١٤ هـ.

١٥٤- صحيح الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل المغيرة البخاري، أبو عبدالله، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٨ هـ.

١٥٥- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ، اعتناء أبو صهيب الكرمي.

١٥٦- صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط٥.

١٥٧- صحيح الجامع الصغير وزياداته، محمد ناصر الدين الألباني، تعليق وفهرسة زهير الشاويش - المكتب الإسلامي - بيروت - ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

١٥٨- صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، تعليق وفهرسة زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٥٩- صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، تعليق وفهرسة زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٦٠- صحيح مسلم - مسلم بن الحجاج النيسابوري، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض،

١٤١٩هـ، اعتناء أبو صهيب الكرمي.

١٦١- صناعة الهدف، هشام مصطفى عبدالعزيز وآخرون، ضمن سلسلة الصعود نحو القمة، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

١٦٢- الصيام معجزة علمية، د. عبدالجواد الصاوي، دار القبلة ط١، ١٤١٣هـ.

١٦٣- الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، المحقق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، السعودية، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٦٤- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبدالوهاب بن تقي الدين السبكي، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبدالفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ.

١٦٥- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري، المحقق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م.

١٦٦- العدة في شرح العمدة، عبدالرحمن بن إبراهيم بن أحمد، أبو محمد بهاء الدين المقدسي، دار الحديث، القاهرة، ط١٤٢٤هـ ٢٠٠٣ م.

١٦٧- العقيدة وأثرها في بناء الجيل، لعبدالله عزام، منشور على موقع، مكتبة المسجد النبوي الشريف.

١٦٨- علم المقاصد الشرعية، د. نور الدين بن مختار الخادمي، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢١هـ.

١٦٩- عناصر القوة في الإسلام، السيد سابق، مكتبة وهبة.

١٧٠- عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ.

١٧١- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، ط/ دار ومكتبة الهلال، بيروت.

١٧٢- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين (المتوفى: ٧٣٤هـ)، دار القلم - بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.

١٧٣- عيون الأخبار، عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨ هـ.

١٧٤- فاتح القسطنطينية السلطان محمد الفاتح، عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، ط١ ١٤٢٧ هـ، ٢٠٠٦م.

١٧٥- الفائق في غريب الحديث، محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة، لبنان، ط٢، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم.

١٧٦- الفتاوى الكبرى، شيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: قدم له حسنين محمد مخلوف، دار، بيروت.

١٧٧- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبدالباقي، القاهرة، دار الريان للتراث، ١٤٠٧ هـ.

١٧٨- فتوح مصر والمغرب، عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم، أبو القاسم المصري، مكتبة الثقافة الدينية، عام النشر: ١٤١٥ هـ

١٧٩- الفروق، نوار البروق في أنواء الفروق، أحمد بن إدريس المالكي الشهير بالقرافي، عالم الكتب.

١٨٠- فضاءات الحرية، سلطان العميري، بحث في مفهوم الحرية في الإسلام وفلسفتها وأبعادها وحدودها...، المركز العربي للدراسات الإنسانية، القاهرة، ط١٤٣٣هـ.

١٨١- الفقه الإسلامي بين التيسير والتعسير، د. محمد بن الدناه الأجودي الشنقيطي، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، الأسكندرية.

١٨٢- فقه الأسماء الحسنى، أ.د عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر، دار التوحيد للنشر.

١٨٣- فقه السنة، سيد سابق، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٨٤- الفقه السياسي ونظام الحكم في ضوء قواعد الشريعة وأصول الفقه، د. أشرف محمد علي غازي، رسالة دكتوراه. جامعة يونيسا بجنوب أفريقيا، ٢٠١٦.

١٨٥- الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة، مجموعة من المؤلفين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط١٤٢٤هـ.

١٨٦- الفقه على المذاهب الأربعة، عبدالرحمن بن محمد عوض الجزيري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

١٨٧- الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي، مكتبة وهبة؛ ط١٣٨٣هـ.

١٨٨- الفلسفة وعلم الكلام، ألفريد جيوم، دراسة منشورة في كتاب (تراث الإسلام)، ترجمة: جرجس فتح الله، بيروت، ١٩٧٢م.

١٨٩- الفوائد الغيلانيات، أبو بكر محمد بن عبدالله بن إبراهيم بن عبدوَيْه البغدادي الشافعي البزَّاز، المحقق: حلمي كامل أسعد عبدالهادي، دار ابن الجوزي، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

١٩٠- فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦هـ، ط١.

١٩١- القاموس الفقهي، سعدي أبو جيب، دار الفكر، ط٢، ١٤٠٨هـ.

١٩٢- القاموس المحيط، للفيروزآبادي، تحقيق: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط ٨، ١٤٢٦هـ.

١٩٣- قصة الحضارة، وول دورانت، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، (نقلت عنه بالواسطة).

١٩٤- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبدالسلام، عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام، المحقق: محمود بن التلاميد الشنقيطي، دار المعارف بيروت.

١٩٥- قواعد المقاصد عند الإمام الشاطبي عرضاً ودراسة وتحليلاً، د. عبدالرحمن بن إبراهيم الكيلاني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار الفكر بدمشق.

١٩٦- القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكي، ابن جزي، أبو القاسم محمد بن أحمد، مطبعة الأمينية، الرباط، الطبعة ١، ١٩٥٨م.

١٩٧- القيامة الكبرى والصغرى، د. عمر بن سليمان الأشقر، دار النفائس، الأردن، ط٨، ١٤١٩هـ.

١٩٨- الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري، ابن الأثير،

تحقيق: عمر عبدالسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

١٩٩- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار المعارف، بيروت.

٢٠٠- كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المحقق: علي حسين البواب، دار الوطن – الرياض.

٢٠١- كلمة: الشيخ بن باز في المؤتمر الأول للدعوة والدعاة المنعقد في المدينة النبوية عام ١٣٩٧هـ، منشور في المكتبة الشاملة.

٢٠٢- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي المتقي الهندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، تحقيق: محمود عمر الدمياطي ١٤١٩هـ.

٢٠٣- كيف عاملهم رسول الله ﷺ، د. محمد المنجد، مجموعة زاد، مكتبة العبيكان، ط١٤٣٧هـ.

٢٠٤- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور المصري، دار الصادر، بيروت، ط١.

٢٠٥- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، ط٢، ١٤٠٢هـ.

٢٠٦- المبسوط، شمس الدين السرخسي، دار المعرفة، بيروت.

٢٠٧- متن مجمل معتقد أهل السنة والجماعة مع شرحها، للشيخ ناصر العقل، دار الصفوة، القاهرة.

٢٠٨- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت، ط١٤١٢هـ.

٢٠٩- مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام، أحمد بن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ.

٢١٠- مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام، أحمد بن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

٢١١- مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، محمد بن عثيمين، دار الوطن، الرياض، ١٤١٣هـ.

٢١٢- مجموعة فتاوى الشيخ ابن باز، عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض.

٢١٣- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ١٤١٨هـ.

٢١٤- محاضرات في الإيمان بالملائكة د. محمد أبو سيف، محاضرات ألقها الشيخ على طلاب السنة الثالثة بكليات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، منشورة على موقع طريق الإسلام.

٢١٥- محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، يوسف بن حسن الصالحي، المحقق: عبدالعزيز عبدالمحسن، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، ط١، ١٤٢٠هـ.

٢١٦- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المحقق: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ.

٢١٧- المحلى، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي الظاهري، دار الفكر، بيروت.

٢١٨- المحيط في اللغة، الصاحب الكافي إسماعيل بن عباد بن العباس، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، دار عالم الكتب، بيروت، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م، ط١.

٢١٩- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الحنفي الرازي، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ.

٢٢٠- المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة، المطبعة الحسينية المصرية، ط١.

٢٢١- مختصر معارج القبول، د. هشام آل عقدة، مكتبة الكوثر، الرياض، ط٥ ١٤١٨هـ.

٢٢٢- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تفسير النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، دار النفائس - بيروت ٢٠٠٥م.

٢٢٣- مدارج السالكين - ابن قيم الجوزية - دار الكتاب العربي - بيروت، ط١(١٩٩٠م).

٢٢٤- المدخل في التعريف بالفقه الإسلامي، مصطفى شلبي، دار النهضة، مصر.

٢٢٥- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد القاري، تحقيق: جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، ط١: بيروت ١٤٢٢هـ.

٢٢٦- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبدالقادر، دار الكتب العلمية، بيروت١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

٢٢٧- المستشرقون، نجيب العقيقي، دار المعارف، مصر؛ ١٩٦٤م، (نقلت عن بالواسطة).

٢٢٨- المسلمون والجرمان، إبراهيم العدوى، دار المعرفة، القاهرة ط١، ١٤٩٠هـ.

٢٢٩- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، إشراف: د عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ.

٢٣٠- مشكاة المصابيح، محمد بن عبدالله الخطيب التبريزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني.

٢٣١- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية – بيروت.

٢٣٢- مصنف ابن أبي شيبة في الأحاديث والآثار، للحافظ عبدالله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان ابن أبي بسكر بن أبي شيبة، ضبطه وعلق عليه الأستاذ سعيد اللحام، مكتب الدراسات والبحوث في دار الفكر.

٢٣٣- المصنف، عبدالله بن أبي شيبة، تحقيق: كمال الحوت. مكتبة الرشد، الرياض ١٤٠٩هـ.

٢٣٤- معارج القبول بشرح سلم الوصول، حافظ حكمي، دار ابن القيم، الدمام، ط١٤١٠،١هـ.

٢٣٥- معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، المحقق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

٢٣٦- معالم في أصول الدعوة، د. محمد يسري، دار اليسر للنشر والتوزيع، القاهرة.

٢٣٧- المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد،

عبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.

٢٣٨- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢، ١٤٠٤هـ.

٢٣٩- معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبدالحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ.

٢٤٠- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبه الشروق الدولية، ط ٤، ٢٠٠٤.

٢٤١- مغازي الواقدي، محمد بن عمر بن واقد الواقدي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ، عالم الكتب، الرياض، تحقيق: مارسدن جونس.

٢٤٢- المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

٢٤٣- مفاتيح الغيب، محمد بن عمر التميمي الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

٢٤٤- مفاهيم إسلامية، تأليف وزارة الأوقاف المصرية، نسخة المكتبة الشاملة.

٢٤٥- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، دار الفكر.

٢٤٦- مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، د. محمد سعد اليوبي، دار الهجرة.

٢٤٧- مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، محمد سعد اليوبي، دار الهجرة، ١٤١٨هـ.

٢٤٨- مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، عام النشر: ١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٤ م.

٢٤٩- مقاصد الشريعة عند ابن تيمية، د. يوسف أحمد محمد البدوي؛ دار النفائس؛ ط٢٠٠٠م.

٢٥٠- المقاصد العامة للشريعة، د. يوسف حامد، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٥هـ.

٢٥١- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الفكر، ط١، ١٣٩٩هـ.

٢٥٢- المقنع، عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، دار عالم الكتب، ط٢، ٢٠٠٥م.

٢٥٣- الملخص الفقهي، صالح الفوزان، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ.

٢٥٤- من روائع حضارتنا، مصطفى السباعي، دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

٢٥٥- من لطائف التفسير، أحمد فرح عقيلان، دار اليقين للنشر والتوزيع، المنصورة، ط١، ١٤١٩هـ.

٢٥٦- مناقب عمر بن الخطاب، لابن الجوزي، تحقيق: زينب القاروط، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٢٥٧- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

٢٥٨- منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد، الشيخ عثمان علي حسن، دار الوطن، الرياض، ١٤١٣هـ.

٢٥٩- المنهج الأسمى في أسماء الله الحسنى، الشيخ محمد النجدي، مكتبة الإمام الذهبي، الكويت.

٢٦٠- منهج التلقي والاستدلال بين أهل السنة والمبتدعة؛ د. أحمد بن عبدالرحمن الصويان، من إصدارات مجلة البيان.

٢٦١- منهج التيسير المعاصر دراسة تحليلية، رسالة ماجستير، عبدالله بن إبراهيم الطويل دار الهدي النبوي، مصر، ط١، ١٤٢٦هـ.

٢٦٢- الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحاق الشاطبي، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

٢٦٣- مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل، محمد بن محمد بن عبدالرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني، المحقق: زكريا عميرات، دار عالم الكتب، الطبعة: طبعة خاصة ١٤٢٣هـ.

٢٦٤- موسوعة الآداب الإسلامية، عبدالعزيز فتحي ندا، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.

٢٦٥- الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ط١٤٠٤- ١٤٢٧هـ.

٢٦٦- موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام، خديجة النبراوي، دار السلام، ط١، ٢٠٠٦.

٢٦٧- موضوعات سورة النور. أ. د محمد العواجي (بحث غير منشور، تحت الطباعة).

٢٦٨- الموطأ. مالك بن أنس، تحقيق: د. تقي الدين الندوي، دار القلم، دمشق، ط١: ١٤١٣هـ.

٢٦٩- نصب الراية، عبدالله بن يوسف بن محمد الزيلعي، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، بيروت، دار

القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، السعودية، ط١، ١٤١٨هـ.

٢٧٠- نضرة النعيم في أخلاق سيد المرسلين، تأليف: عدد من المختصين بإشراف الشيخ، صالح بن عبدالله بن حميد، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط ٤.

٢٧١- نظام الدولة في الإسلام، وعلاقتها بالدول الأخرى، جعفر عبدالسلام، مركز الهدف للدراسات، القاهرة، ٢٠٠٦م..

٢٧٢- نظرية الضرورة الشرعية مقارنة مع القانون الوضعي، د.وهبة الزحيلي، مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥م.

٢٧٣- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

٢٧٤- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٤هـ.

٢٧٥- النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ط١٣٩٩هـ.

٢٧٦- الوقف ودوره في تنمية المجتمع، بحث علمي للطالبة، حميدة بنت رجاء، جامعة المولى إسماعيل – مكناس، لعام ١٤٢٥هـ.

أبحاث منشورة في الشبكة:

١- **بحث**: الإيمان بالكتب السابقة وآثاره، د. أمين الشقاوي، منشور على شبكة الألوكة.

٢- **بحث**: الإيمان بالكتب، د. محمد الحمد، منشور في المكتب الشاملة، ولم أقف عليه مطبوع.

٣- **بحث**: التدرج في التشريع الإسلامي، د. ماهر حامد محمد الحولي، بحث مقدم لورشة عمل «تطبيق الشريعة الإسلامية في ضوء الواقع الفلسطيني» الذي تنظمه كلية الشريعة والقانون ١٩/ ١١/ ٢٠٠٩م

٤- **بحث**: الجريمة والعقاب في الإسلام، د. عبدالرحمن اللويحق، على موقع وزارة الأوقاف السعودية، ومنشور في المكتبة الشاملة ٣٣صفحة بدون بيانات.

٥- **بحث**: الحكمة من قطع يد السارق، مجلة البحوث الإسلامية

٦- **بحث:** الوسطية مفهوماً ودلالة، د. محمد ويلالي، بحث منشور على موقع الألوكة.

٧- **بحث:** اليسر والسماحة في الإسلام د. فالح الصغير، منشور في المكتبة الشاملة.

٨- **بحث:** ماهية المقاصد وأقسامها، د. أسماء الموسى، علمي منشور على موقع الملتقى الفقهي.

٩- **بحث:** محاسن العقيد الإسلامية، لأحمد بن عثمان المزيد، منشور في مجلة الدراسات الإسلامية، في جامعة الملك سعود.

١٠- **بحث:** مفهوم التدرج في تطبيق الشريعة، د. عطية فياض، منشور على موقع السكينة.

١١- **بحث:** مقاصد الشريعة الإسلامية، د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، منشور على موقع الألوكة.

١٢- **بحث:** من أركان العقيدة.. الإيمان بالرسل، د. علي محمد مقبول الأهدل.

١٣- بحث علمي في الرد على شبهة أن الإسلام أقر نظام الرق، منشور على موقع بيان الإسلام.

١٤- **بحث:** مفهوم الحرية في الإسلام، منشور بمجلة البحوث والدراسات الشرعية د. وفاء نايف خالد العجمي، وعلى موقع الملتقى الفقهي.

١٥- **بحث:** مفهوم الحرية من المنظور الإسلامي لـ يوسف محمد أبو سليمة، الجامعة الإسلامية بغزة، كلية التربية، ١٤٢٨م.

مقالات منشورة في الشبكة:

١- **مقال:** خصائص العقيدة الإسلامية، أ. د. عبدالله بن عبدالعزيز الجبرين.

٢- **مقال:** الإسلام والحياة، د. علاء سعد حسن، منشور على موقه رابطة أدباء الشام.

٣- **مقال:** النظام الاقتصادي في الإسلام ودوره في التنمية، د. محسن بن عبدالحميد، منشور على موقع الألوكة.

٤- **مقال:** الحرية والمسئولية في الإسلام، منشور على موقع منارات.

٥- **مقال:** بعنوان صفات المؤمنين في سورة المؤمنون د. عبدالله العواظي، منشور على موقع الألوكة.

٦- **مقال:** لماذا كان حفظ الدين أهم ضروريات الإسلام؟ د. محمد لافي، منشور على موقع المسلم.

٧- **مقال:** من معالم دين الواقعية، منشور على موقع التوحيد والاصلاح.

٨- **مقال:** البيئة ومفهومها وعلاقتها بالإنسان، موقع موسوعة البيئة.

٩- **مقال:** خصائص المنهج الإسلامي، د. أمير بسام، منشور على موقع نافذة مصر.

١٠- **مقال:** الإعجاز الطبي في الصيام، د. عبدالباسط محمد، منشور على موقع طريق الإسلام.

١١- **مقال:** محاسن الدين الإسلامي، د. أمين بن عبدالله الشقاوي، منشور على شبكة الألوكة.

١٢- **مقال:** منهج الإسلام في تحريم الرق، مقال علمي منشور على موقع مهارات الدعوة.

١٣- **مقال:** وسائل الشريعة الإسلامية لحفظ النفس المعصومة د. محمد لافي، منشور على موقع المسلم.

١٤- **مقال:** الحرية في المفهوم الإسلامي، حسام العيسوي إبراهيم، منشور على موقع صيد الفوائد

١٥- **مقال:** المفهوم الإسلامي للحرية، د. محمد عمارة، مجلة الأزهر ١٤٣٣هـ، ج١١ سنة ٨٥.

١٦- حدود العقل في الإلهيات والغيبيات، ماهر عبدالحفيظ، مقال منشور على موقع الألوكة.

١٧- **مجلة** الأستاذ، العدد ١٩، ٨ جمادي الثانية سنة ١٣١٠هـ، ص٤٣٩.

١٨- **محاضرة:** الضوابط الشرعية لفهم نصوص الكتاب والسنة، محاضرة مفرغة د. حمد بن عبدالمحسن التويجري، منشورة على موقع السكينة باختصار.

١٩- **تقرير:** الاعتداءات الجنسية على الراهبات في الكنائس، منشور على موقع طريق الإسلام.

٢٠- **دورة:** كيفية التعامل مع الشبهات حول الإسلام، م. فاضل سليمان من الدعاة المشهورين في أمريكا والدول الغربية، وهو مؤسسة ومدير مركز جسور للتعريف بالإسلام.

فهرس الموضوعات

الفصل الثالث: عرض مقاصد الإسلام

الفصل السادس: بيان التشريعات الحقوقية في الإسلام